

اتحاد كتاب مصر
فرع وسط الدلتا

وداعا .. فريد

الأدب و الواقع

دراسات في أعمال

الروائي

فريد محمد معوض

مؤتمر اليوم الواحد

مايو ٢٠١٠

سامول



اتحاد كتاب مصر
فرع وسط الدلتا

الأدب والواقع

دراسات في أعمال الأديب / **فريد محمد معوض**

مؤتمر اليوم الواحد مايو ٢٠١٠

سامول ٢٠١٠

الأدب والواقع دراسات
في أعمال الأديب فريد معوض

رقم الإيداع بدار الكتب
2010/9634
الترقيم الدولى I.S.B.N
978-977-374-589-1

دار الإسلام للطباعة والنشر
050 / 2266220
0122614363



اتحاد كتاب مصر
فرع وسط الدلتا

رئيس المؤتمر
فاروق خلف

أمين عام المؤتمر
محمد حمزة العزوني

الأمين المساعد
إيهاب الورداني

مؤتمر اليوم الواحد

الأدب والواقع

دراسات في أعمال الأديب

فريد محمد معوض

امانة المؤتمر

نشأت الشريف
شريف شفيق رزق
محمد محمد حسن تركي

عادل أحمد عصمت
محمود عبد الله محمد
محمد فريد معوض

للتذكر قبل التكريم

حين يقوم اتحاد الكتاب باستعادة حياة وأدب الكاتب الراحل فريد معوض فليس ذلك من قبيل التكريم والاحتفاء الواجب بأحد الأعضاء المتميزين الذين أسهموا في مسيرة وتطور الأدب فحسب، ولكن هذه الاستعادة وبالأساس إلى إعلاء قيمة التذكر في مجتمع يقترب من حالة الإصابة بالزهايمر الجمعي. نتذكر، ويجب أن نتذكر دائما، ما قدمه الراحلون لكي نعرف ما علينا أن نقدمه ونبني عليه.

فريد معوض رحل بعد صراع طويل مع المرض، ومن الألم نحت لنا فنه الجميل من الكتابة الواقعية، وقد يظن البعض أن الكتابة من الواقع تعني نقله حرفيا وآليا إلى الورق، ولكن الواقعية لم تعد كذلك، بل عادت تعني تصوير ما وراء ذلك الواقع، أي انعكاساته على مشاعر وأحاسيس الشخوص.

فالكاتب بأشخاصه لا يصف ما يحدث لهم ، بل يصور مشاعرهم تجاه ما يحدث لهم، بل يصور مشاعرهم تجاه ما يحدث. هذا لكي يغدو التاريخ جانبا من الحاضر عندما تستعيده الذاكرة، ولكي تكون الكتابة ليس عن واقع مفترض عناصره مستخرجة من الكتب أو من أشتات المعرفة بل عن واقع حي معاش وأمامي.

السرد إذن لن يعد يكتفي بمحاكاة الواقع، لكنه يؤسس وضعا اعتباريا جديدا يستعيد به قواه الإنتاجية والانتهاكية باتجاه التحول ويستثمر فيه إمكانات الشعر والأسطورة والحلم لتكوين الجسد الاستعاري الذي يسمح بتعدد مستويات الإنصات والشك والسؤال والنقد.

الكاتب يكتب من ريف متاخم للمدينة، ومن مجتمع يتميز بحالتين من حالات التحليل النفسي الاجتماعي:

حالة عصاب أي تضخيم رد الفعل والعيش برد الفعل نتيجة لإحباطات الحياة المتكررة.

وحالة فصام أي انكفاء على الذات والانفصال عن الواقع وترصد الآخر الذي هو غالبا غريب ومعادي.

وفي ظل هذا الوضع تتراجع هيمنة المدلول القصصي على الدال القصصي ، فيما كان الدال القصصي سابقا مجرد وعاء لمدلول قصصي هو القصد النهائي.

يتراجع المدلول الاجتماعي ويبرز المدلول الذاتي ، وهنا يصير الدال هو الغاية نفسها ، الغاية التي تصور تفسخ الذات وشيوع حضورها بأشكال متعددة وبتفاصيل مختلفة بحيث تشكل جسدا وعالما يتداخل مع عوالم الخيال الإبداعي.

هنا تصبح الحواس جسورا ينشئها السرد من أجل إقامة علاقات بين الشخوص والعالم، وهي أيضا مرايا تعكس في وضوح أو في نصف عتمة شيئا آخر غير الظاهر الذي يتقدم مباشرة.

شعرية حواس منفتحة على عالم يتعرى تماما ويتراوح فيه زمن السرد بين ماضي وحاضر هو بذاته الماضي المقابل ، فهو يستعرض صور الشخوص في مرايا متعددة بعلاقاتها مع الآخرين ويكامل تأثرها بأحداث ماضية معينة .

فريد معوض هو حلقة إبداعية مهمة ينبغي أن نتذكرها دائما، أن نتذكر سطحه الهادئ الذي تمشى عليه اليمامات دون أن ندبر أعيننا عما يدور في العمق .

فاروق خلف

رئيس المؤتمر

ظاهرة فريد معوض

رحم الله فريد معوض.. فقد كان فريدا فلا يعوض .

ففريد معوض لم يكن مجرد كاتب موهوب، كتب في مختلف الأنواع الأدبية، وأنجز في عمره القصير الكثير من الأعمال المتميزة .

وإنما هو- قبل ذلك كله- ظاهرة أدبية فريدة يجب الوقوف عليها طويلا بالتأمل والبحث والدراسة .

ففريد واحد من الأدباء الذين قضت عليهم الظروف الاجتماعية أن يبقوا في قُراهم الصغيرة ولا يغادروها إلى القاهرة أو غيرها من المدن الكبرى، خلافا لما جرت عليه العادة مع أجيال سابقة من الكتاب، حين كان الواحد منهم ما إن تُنشر له رواية أو حتى قصة قصيرة، حتى يحمل عصا الترحال ويغادر قريته فورا إلى القاهرة حيث الأضواء الساطعة والشهرة الواسعة .

لكن ظروفا موضوعية كثيرة ألمت بالواقع المصري في الفترة الأخيرة، وجعلت الهجرة إلى القاهرة مغامرة غير مأمونة العواقب، مما جعل أغلب كتاب جيلنا لا يغامرون بالذهاب إلى القاهرة، ويقنعون بالعيش في قراهم الصغيرة .

ولأننا نعلم ظروف القرية المصرية وأوضاعها الاجتماعية المعقدة فإن كثيرا من هؤلاء الكتاب كانوا لا ينجحون أغلب الأحيان في التوافق مع تقاليد القرية وأوضاعها، وكثيرا ما تبتلعهم هذه الأوضاع والتقاليد في دواماتها العميقة فلا يستطيعون أن يتفرغوا لإبداعاتهم، بل قد ينقطعون كلية عن الإبداع .

لكن فريد معوض يمثل ظاهرة خاصة ومتميزة ..

فقد استطاع بنجاح باهر أن يستمر في قريته وأن يواصل الحياة فيها، والانخراط في مشاكلها وهمومها، وأن يواصل في الوقت نفسه مشروعه الإبداعي المتميز .

بل إنه استطاع أن يجعل من بيته الصغير مؤسسة ثقافية متميزة، قدمت لحياتنا الثقافية ما قد تعجز عنه المؤسسات الكبيرة ، ففي هذا البيت المتواضع أقيمت الندوات والأمسيات وصدر كتاب "سامول الثقافي" بل إن هذا البيت تحول إلى ورشة إبداعية تعمل ليل نهار، وتخرج فيها بالفعل عدد من الكتاب النابهين، ويكفي أن نعرف أن بسامول وحدها أربعة من أعضاء اتحاد الكتاب ، هذا غير كثيرين لم يشرف الاتحاد بعضويتهم بعد .

وأستطيع أن أزعم أن هذه العلاقة المتميزة بين فريد و سامول- هذه العلاقة التي لم تنفصم عراها أبدا ولم تنقطع وشائجها- هي السرّ في تميز فريد معوض وثَراء أدبه.. فقد ظل الحبل السري بين فريد و سامول موصولا طوال حياته، وكان هذا الحبل السري يمده دائما بدماء حية متوفزة مما أكسب كتابته هذه الحيوية الدافقة، وهذه القدرة المدهشة على التعبير عن واقع القرية المصرية، وعن آلام الفلاحين المصريين وآمالهم، هؤلاء الفلاحين الذين توحد فريد بهم وانغمس في غمارهم وظل يحلم بأن يكونوا دائما "أعلى من كل الناس" .

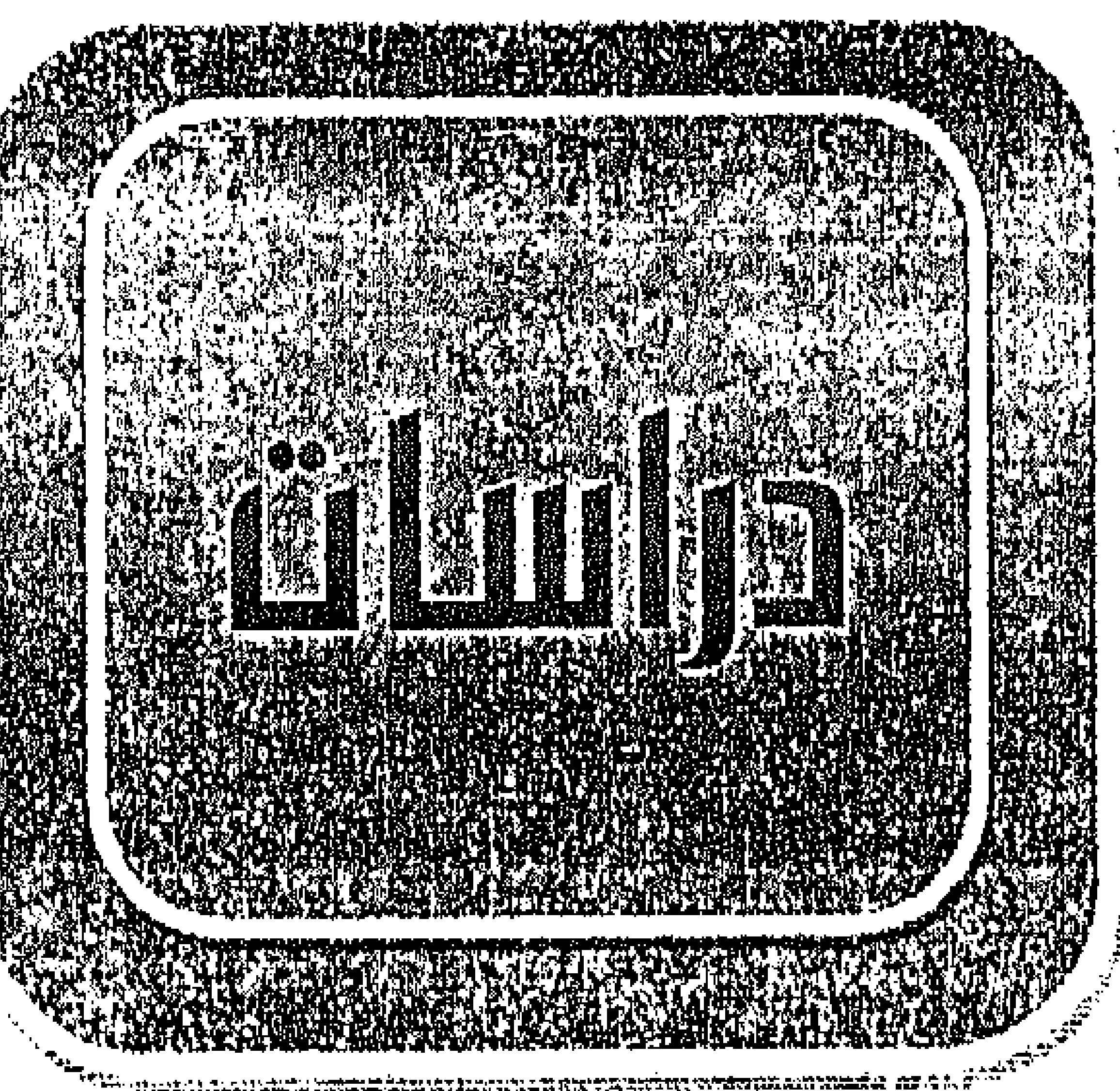
وهذا المؤتمر وهذا الكتاب الذي يصدر عن المؤتمر ليس إلا محاولة أولى لدراسة هذه الظاهرة ظاهرة فريد معوض .

فعلى امتداد صفحات هذا الكتاب سوف نناقش أدب فريد معوض ، هذا الأدب الذي تعددت فنونه وتنوعت أشكاله ما بين القصة القصيرة وأدب الأطفال والدراما التليفزيونية .

يقوم بهذه الدراسات عدد من النقاد والأدباء المتميزين الذين أحبوا فريد معوض الأديب والإنسان في آن معا .

محمد حمزة العزوني

أمين عام المؤتمر


دراسات


في
القصة والرواية

أيام في الأعظمية

بقلم

د. حلمي محمد القاعود

تزداد قيمة النص الأدبي حين يحتضن الإنسانية، ويبث روح الجماعة والأخوة وينحاز إلى قضايا كبرى تتجاوز الذات الفردية إلى المحيط العام، وعندما قرأت سيرة ذاتية لأستاذ جامعي قبل فترة أحسست بالإحباط والأسى حيث كان احتشاده لنفسه وامتلاؤه بالنرجسية مثيرا للغثيان وباعثا على الشفقة، فلا قضية عامة تشغله، ولا لحظة تسامح مع الغير تعبر سطوره، ولا التماس لعذر يبرز من بين كلماته، الناس كلهم تقريبا خطأ، وهو الصواب الوحيد تقريبا في الكون.. لم أندم على قراءة السيرة الذاتية هذه، لأن القراءة لها جانبها الإيجابي دائما، ولكنني اغتبطت حين طالعت رواية تفيض إنسانية وحدبا على الناس، ومشاركة لهم، ورؤية الجانب الآخر الذي يخفيه الجانب المعتم، وقد أسعدني أن تكون هذه الرواية لأديب من الريف المصري الذي غيرته الظروف والأحداث، فيكتشف معالم جميلة وعذبة ونضرة في قلب العتمة والمحنة، ويقدم لنا نموذجا من أدب الغربة التي عرفها أهلنا في العقود الثلاثة الأخيرة، يقومون من خلالها بالبناء والتعمير وإقامة مؤسسات العلم والإدارة والإنتاج لدى الأشقاء في ظروف صعبة وأحوال غير طبيعية.

يكتب "فريد محمد معوض" من قرية سامول مركز المحلة الكبرى "غربية" رواية جميلة بعنوان "أيام في الأعظمية" يعبر فيها عن تجربة من ملايين التجارب التي عاشها الشباب من أمثاله في العراق زمن حرب الخليج الأولى ، فيكشف عن طبيعة الناس في الوطن والغربة ، ويقدم نماذج إنسانية مصرية وعراقية تتأثر بالواقع وتتفاعل معه ، وهي في أخطائها قبل حسناتها ، تملك نفسا تواقة للأمن والسكينة والسلام ، ومع انحراف بعضها وإغراقه في الخطأ فهي تسعى للاستقامة وتحلم بها وتحاول من أجلها ..

عبد الرحمن بطل الرواية يحمل شهادة جامعية، ويعمل في مصنع نسيج نظير عشرين جنيها ، ويخرج من وردية إلى أخرى، ويميل إلى الثقافة والقراءة، ويرتبط مع فتاة "شروق" وهي طالبة في الجامعة، وتشارك في أعمال الحقل بعد رحيل إخوتها إلى العراق، عبد الرحمن يرى قسوة صاحب المصنع الذي لم يتردد في ضرب عامل كبير السن كان يصلي ركعتين قبيل الفجر بنصل "حذائه" ويفصله مع غلام آخر يرعى "كوم لحم" وحين يرى صاحب المصنع كتابا بجوار عبد الرحمن يسخر منه ويصفعه ، ولكن عبد الرحمن يرد له الصفعة ويثأر للعجوز والغلام ، ثم يرحل إلى العراق باحثا عن الرزق كي يساعد أباه وأهله فيعمل في مطعم "تل الزعتر" بالأعظمية ، وهناك يتعرف على مصريين وعراقيين يمثلون نماذج إنسانية غنية ، ومن خلال المطعم الذي يملكه فلسطيني نجا من مذبحة "تل الزعتر" في لبنان ، ومسجد الإمام أبي حنيفة النعمان، وحي السفينة في الأعظمية تكشف لنا الرواية مأساة شعوبنا عندما تُساق إلى حروب بلا هدف ، ويذوقون ويلاتها في شتى جوانب الحياة بدءا من البحث عن الخبز أو افتقاده حتى فقدان الحياة نفسها ، وقد نجحت الرواية في التعبير عن قسوة الحرب وعبثيتها من خلال لقطات سريعة ، ولكنها عميقة ومؤثرة ودالة ، ولكن بشاعة الغربة والموت في أثناءها تهيمن على الرواية ، ولعل موت سعد الصاوي ، في الغربة ومحنة تسفير جثمانه إلى أرض الوطن أوضح الأمثلة على عذابات الغربة ، بعد سنوات من العناء ،

مات سعد الصاوي ، الذي ترك أرضه وبناته السبع وزوجه ليبحث عن بعض المال من أجل زواج الكبرى ، فيعمل فرانا بأحد المخابز . ثم يموت فجأة . ويقوم المصريون المغتربون بقطع العراق شمالا وجنوبا لجمع المال اللازم ثمنا لتذكرة الرحيل ونفقات إعداد الجثمان للسفر ، وتسهب الرواية في وصف مشهد الترحيل والوصول والدفن والأسى الذي عم القرية حين استقبلت سعد الصاوي وودعته إلى مثواه .. وكأنها تقول – بل هي تقول .

"إن الغربة موت، سواء كان الموت معنويا أو ماديا، فلا فرق بين الحالتين ."

وعبر لغة تستقى مفرداتها من الواقع الريفي المتميز ببساطته وأصالته يسرد الكاتب أحداث روايته، ويكشف من خلالها مأساة الفقراء في أرجاء الوطن، ومعاناتهم في سبيل الحد الأدنى من الحياة، ومن خلال حوار داخلي "مونولوج" طويل جدا ، هو حجم الرواية، نعيش مع شخوص الرواية في تحولاتهم وأحوالهم ، وإني أعدها حورا داخليا، مع أن السرد يتنوع من خلال الضمائر الثلاثة، وهو سرد لا يتوقف عند التفاصيل الدقيقة إلا بقدر ما يكون التفصيل مهما وضروريا، وقد يأتي التفصيل عبر رسالة غالبا، ولكن الحوار يقوم أحيانا بتقديم التفصيل عبر رسالة غالبا، ولكن الحوار يقوم أحيانا بتقديم الصورة مركزة ومؤثرة للحدث أو الحال ، وهو أيضا حوار مركز وموجز ودال ، تأمل مثلا الحوار التالي بين "حنفي" وأصحاب العمل وهو يبحث عن عمل فيعود خالي الوفاض بعد أن يمر على الحوانيت والأسواق :

- تريدون عاملا ؟

- لا .. ما نريد

- تريدون عاملا ؟

(يضحكون)

- تريدون عاملا ؟

- نريدك بصحة

- تريدون عاملا ؟

- عندنا كثيرون ..

وتكشف الأمثال الشعبية والموال الشعبي عن عمق مأساة الفقير الذي يتغرب ويتعذب بحثا عن الرزق ، في ظروف غير مواتية ، وتنبع قيمة المثل الشعبي أو الموال من اقترابه من الوجدان الشعبي ومفرداته وهي ذات دلالة عميقة عمق التاريخ :

"جمل الأصيل انجرح من كتر أحماله.. ولا حد سمى عليه ولا حد قال ماله" .

صور الرئيس لا مفر منها

والحرب تلد حروبا في العراق

بقلم

يوسف القعيد

تجربتان في الكتابة الروائية لا يمكن الاقتراب منهما من دون أن تكون هناك تجربة شخصية تقف وراء الكتابة: إنهما الحرب والسجن. ذلك ان التجربتين تشكلان استثناء، بين التجارب التي قد يمر بها الإنسان. وبالتالي يحاول الحكاية عنها. وهذا هو الفارق بين الروائي المصري فريد محمد معوض، والروائي العراقي جنان جاسم حلاوي. الأول اغترب عن بلده وسافر الى العراق، ولكنه لم يمر في تجربة الحرب سوى من خلال أصدائها وردود فعلها في الواقع العراقي المدني. فهو كان يعيش في بغداد في زمن الحرب العراقية - الإيرانية. وتجربة هذه الحرب وما كان بطل الرواية عبدالرحمن يسمعه في المدينة عنها، يكادان يشكلان تجربة العمل كله، الى أن يعود الى مصر مع جثمان شهيد مصري من شهداء حرب العراق مع إيران.

أما الروائي العراقي، فليس من المؤكد إن كان مر في تجربة الحرب. إلا أن التفاصيل الصغيرة، في أكثر من حرب خاضها العراق، سواء في الشرق مع إيران أو الشمال مع الأكراد أو الجنوب مع الأميركيين، وكذلك قاموس أسماء الأشياء التي كان الروائي حريصا على شرحها في هوامش أسفل الصفحات، وإيقاع الحياة في المعسكرات، والحياة في مدن العراق بعد أن وضعت خوذة القتال على رأسها... تؤكد أن الروائي مر بأكثر من تجربة حرب عراقية.

أصل المشكلة أن دار النشر لا تقدم تعريفاً بالروائي، ولا تقدم نتاجه السابق لهذه الرواية. وهي أمور ربما كانت مهمة عندما يقرأ الإنسان نصا للمرة الأولى لكاتب لم يقرأ له قبلا. تركت القراءة في انطباعا ان الروائي إنما يكتب عما عرفه وعايشه ومر به من تجارب. وإن كانت أحداث رواية المصري لا تتعدى جغرافيا مدينة بغداد وبالتحديد حي الأعظمية، الذي كان يعمل ويعيش فيه، فإن رواية العراقي تغطي العراق كله جغرافيا. تبدأ من بغداد حيث البطل عبدالله جلال يدرس، ثم تسافر معه جنوبا الى البصرة. والروائي يشرح أسماء المعالم التي يمر بها، ويركز على الأسماء التي كانت تطلق عليها خلال الحرب مع إيران، ويقارنها بالأسماء التي أطلقت عليها بعد ذلك.

في الروايتين نقابل أدب الرحلة: رحلة المصري الى العراق، ورحلة العراقي داخل العراق، من وسطه الى جنوبه ومن جنوبه الى شماله. والبطلان ينتهي بهما الأمر الى الخروج من العراق.

"أيام في الأعظمية" (١٢٨ صفحة) رواية فازت بالجائزة الأولى في مسابقة "هيئة قصور الثقافة" في ١٩٩٧ ونشرت في ١٩٩٩. وهي حافلة بالاستشهادات من الشعر العراقي والأمثال العراقية والفولكلور العراقي. والبطل يصف حاله: "منذ أن قدمت من مصر وأنا لا أستطيع أن أبرح الأعظمية، كأنه الحب من النظرة الأولى". وما زال يردد أن: "بغداد لن تموت أبدا"، وهو الشعار الذي لا يزال العراقيون والعرب في أمسّ الحاجة إليه الآن.

يعمل المصري المغترب لدى عراقي مهنته تصليح الدراجات. سافر ابنه الى الجبهة ولم يعد، فأصبح ينادي البشر جميعا باسمه. وكأن الابن أصبح بالنسبة الى أبيه هو كل الناس. والبطل يزاوج بين رحلته الى العراق ورحلته في مصر وفصله من عمله، وتركه أسرته، وحبيبته شروق هناك على أمل العودة ذات يوم. والعراق كان بالنسبة إليه قبل السفر مكانا في خريطة الوطن ودرسا يقرر عليه في المدرسة. لم يعد أمامه سوى الغربة والاغتراب وهو لا يرى في العراق سوى صور الرئيس التي لا مفر منها: "هوذا العراق أمامك يا عبدالرحمن وها هم الناس. تنظر الى صورة صدام، المعلقة بجوار المرآة. وكنت لاحظت - يحكي الروائي - ان كل العربات تزدان بصوره. ولاحظت قبل صعودي آن سائق السيارة يطمئن الى وقودها وعجلة القيادة ثم يتأمل الصورة. أما مواكب الشهداء فما أكثرها. ما من يوم يمر إلا ويأتي شهيد محمولا. كان الصندوق الخشبي فوق الأعناق متدثرا بعلم العراق. المشهد يتكرر لكنه هذه المرة، كان كبيرا ويتبعه عدد غفير من الناس. وإن كان البطل المصري يبدو مرتبطا بخطيبته شروق، فإن البطل العراقي الذي سافر الى الجبهة ولم يعد، ترك وراءه حبيبته أثيل. وهي تسترجع ما قالته لحبيبها قبل أن يسافر. كان قال لها انه مسافر من أجل حماية البوابة الشرقية فترد عليه: "كذب يا أحمد. هذا "مو" عدونا الحقيقي، عدونا الحقيقي من يكره النخيل، عدونا هذا نعرفه جيدا، ضد النفس وضد القدس وضد الأمان". فيقول لها: "كفاك أثيل، للحيطان آذان.

تبدأ الرواية عبر ضمير المخاطب "أنت" وتتحول الى ضمير الغائب "هو" والحرب هي أكثر الكلمات تكرارا في الرواية. وتنتقل الرواية بين زمن مصر حيث العدو الداخلي الذي فصل البطل من عمله، وزمن العراق حيث العدو الإيراني الخارجي. ومع أن النص لا يقدم الأساس أو السند الذي يجعل من إيران عدوا، فالرواية يكتمل فيها قوس النص والحي. والبطل يبدأ من مصر وينتهي الى مصر. وإن لم يهزم في العراق، فإن الهزيمة كانت في انتظاره في مصر: رحيل والده، واختفاء حبيبته التي راحت هي الأخرى الى دكرنس.

أقبلت على قراءة رواية جنان جاسم حلاوي، انطلاقاً من ثقتي باختيارات "دار الآداب" ناشرة الرواية. ولو كنت كاتبها لسميتها "ليل العراق" لأن ما من حاجة الى تخبئة العراق وراء كلمة البلاد. والرواية تغطي الزمن العراقي من ١٩٨١ الى ١٩٩١ وهو عقد كامل من عمر العراق، ملأته الحروب. "ليل البلاد" رواية واقعية، تقوم على حشد أكبر قدر من التفاصيل الصغيرة الناتجة من معايشة حثيثة. وتتخللها وثائق هي عبارة عن بيانات الحرب الصادرة عن القادة السياسيين والتوجه الإسلامي هو أبرز ما في هذه البيانات على رغم التوجه العلماني العراقي الذي كان سائدا قبل هذه الحرب. تبدأ الحرب مع إيران ولا تنتهي بوصول دبابات أميركا الى البصرة في الحرب التي سميت بحرب تحرير الكويت، ثم أصبحت حرب تدمير العراق أيضا.

نحن أمام قصة حب: عبدالله جلال ونوال وهي صبية كردية هاربة من أهلها في شمال العراق، تعرّف إليها البطل في بغداد، فأخذها وهرب الى أهله في البصرة. كان البطل هاربا ومتخلفا عن التجنيد وأجبره والده على تسليم نفسه الى الجيش. فيبدأ الرحلة من أولها حتى يصبح مجندا في الجيش العراقي. ومن يقرأ هذه الرواية يصبح كمن مر في تجربة التجنيد في الجيش والحرب مع إيران. لكن هناك مشكلة وحيدة وهي أن الفن اختيار للكثير من التفاصيل. في حين أن صاحب هذا النص قام مشروعه على الحشد الروائي. اي أنه يقدم كل ما مر به من أهوال. إنه يصف (ص ٢٧) اللقاء مع غجرية في معسكره: "لذة كهربية رعشته، يريد للحظة أن تطول، يريدها الآن نملة تقوده صوب سلالم البرج الشاهق السامق: سلالم لا

تؤدي إلا الى سلالم، وقمم لا تفضي إلا الى قمم وهو يتسلق ويضاجع عند كل سلم(...). كان ينظر اليها وهي متمددة. وجهها باهت. لحمها مصبوغ. أحمر وأسود ورمادي وترابي وطيني: وجه امرأة يملأها الهم: وجه ينطق بالبؤس والحيرة: وجه لو رأته النمور لأشفقت عليه: وجه ستبكي الغابة من أجله ويغني الفجر له ويذرف الدموع من أجله: وجه لو وضع على أريكة لبان رديفا للموت الذي يشير الى أصله، إلى الفناء البدائي، الى صرخات غامضة مبهمة، تأتي وتختفي في أعماق غابات نخيل البصرة". لم تكن الغجرية جميلة، لكنها مؤثرة، أكثر إنسانية منه. "هل لاحظت كل هذه المترادفات اللغوية"؟ ومحاولة وصف الشيء الواحد أكثر من مرة؟

أما لقاء عبد الله مع الإيرانيين، وهو يمثل ذروة النص الروائي، فيصفه هكذا (ص٢١٤)"استدار عبد الله وأطلق رشقة من رشاشه، اصطدم جسده بكتلة داكنة ولدنة: جسد آخر: جندي إيراني عاجله عبد بسنكه فاخترق بطنه، انحنى الجسد إثر الطعنة وارتمى عليه، أطلق النار في جوفه وارتد الى الوراء. كان نائب الضابط تحسين يجندل بطلقات من مسدسه وعن قرب، أحد المهاجمين الإيرانيين المسلحين بالبلطات والسيوف". (وفي هامش سابق (ص ٢٧) يكتب الروائي أن عبد مختصر اسم عبدالله وهو ما درجت عليه العامة في العراق). ما من نص روائي عراقي إلا وترد فيه الكويت باعتبارها المكان الذي تهرب منه البضائع المستوردة. لكن الكويت تصبح هذه المرة مكانا يفكر البطل في الهروب إليه (ص:٨٩)"استغرقه التفكير في الذهاب الى الكويت. ولكن كيف سيقيم خارج على القانون في تلك الإمارة الموالية لحكومة بلده؟!"

هذه رواية لا تنتهي أبداً. بدأت ولم تنته. وتحت عنوان خاتمة نقرأ: "لم تنته الحرب لأن الحروب لا تنتهي إنما يلد بعضها بعضا، مثل سلالات الجن. لذا عاف البشر مدينة البصرة الملعونة، فالأرض ملأى بأماكن أكثر شفقة ورأفة ورحمة من هذا الطين الفائر بالخراب والنار."

إن المشهد الأخير الذي ما كان يجب أن يعطيه الروائي عنوان "خاتمة"، ينتهي هكذا":لم يغامر امرؤ للقياه إلا لما مرّت الطائرات بهول عاصف مخلفة وراءها آلاف القصاصات الراقصة في الهواء. سرعان ما تلقف إحداها. وقرأ فيها تلك العبارات العجيبة: "أيها الجندي العراقي سلم نفسك الى قوات المارينز الأميركية لتنقذ روحك وأرواح الآخرين.

قاوم عبد الله موته وقدم سيرته في دروب القدر الإنساني والحرب، ليجد نفسه أمام الجحيم، أي أمام قوات أميركا، التي حاولت تدمير العراق منذ اثني عشر عاما مضت.

كسر الخاطر

قراءة في رواية أيام في الأعظمية

بقلم
أسامة فرج

لم أجد أفضل من تعبير (كسر الخاطر) لأصف به المشاعر التي نجحت رواية فريد معوض (أيام في الأعظمية) في تصديرها لي.. فهي حالة من الحزن، ولكنه ذلك النوع من الحزن الرحيم الذي لا يدمر صاحبه ولا يدمر معه ما حوله.. هو حزن شفيف عذب، فيه شيء من العشم والرجاء وليس فيه ما يكدر صفوه من مشاعر النقمة أو الغيظ أو الكراهية.. هو حزن طيب كأهله..

تتناول الرواية تجربة شاب مصري سافر فيمن سافروا الى العراق سعيا وراء الرزق.. وكانت العراق مع بداية السبعينيات أرضا واعدة بالمستقبل المشرق.. أرض، وماء، وبترول، وثروات، وقيادة، كنا نحسدها في ذلك الوقت على قدرتها على الحلم والسعي نحو تحقيقه.. قيادة كانت تتمتع برؤية، وتطرح شعارات مليئة بالأمل للوطن وللناس الذين بهم ولهم سيتحقق الرخاء.. وفتحت العراق أبوابها لكل أبناء الوطن العربي للمشاركة في صناعة الحلم.. ولم يكن المسافر إليها في حاجة للوقوف المذل في طوابير أمام السفارات طلبات لتأشيرة الدخول، ولم يكن في حاجة إلى تلمس الوساطات للحصول على عقد عمل.. كل ما كان يحتاجه هو تذكرة سفر بالوسيلة التي تتلائم مع قدراته، وبطاقته الشخصية التي تثبت أنه عربي.. ولم لا؟!.. ألم نرضع من لبن أمهاتنا فكرة الوحدة العربية، ألم نترنم بها مع الأغاني والأناشيد الأشعار وخطابات الساسة؟!.. فها هي فرصة حقيقية لتحقيق الفكرة التي لا تعني بالنسبة للناس سوى زيادة في مساحة الوطن، ذلك الذي يقبلك ويضمك ويعطيك الفرصة لتعطيه وتأخذ منه.. وطن أكبر نملك فيه حرية الحركة والقدرة على الفعل الذي يجمل الحاضر وينير المستقبل.. ها هي الفرصة التي لو نجحت لكانت نموذجا قابلا للتكرار في مناطق أخرى كثيرة من الوطن العربي.. مناطق تحتاج لعرق الناس وجهدهم لتتحول إلى جنات، وتحول الوطن الى كيان قوي لديه ما يكفيه وما يغنيه عن الوقوف الذليل في طوابير المنتظرين للإعانات الخارجية.. ولكن يبدو أننا لم نخلق للفرح، فسرعان ما انتبه شياطين العصر إلى حقيقة ما يحدث فاستدرجوا القيادة العراقية إلى مستنقع جنون العظمة، ثم زينوا له الدخول في حرب سخيفة مع إيران، ثم في حرب أسخف مع الكويت، حتى إذا اطمأنوا إلى تبدد الحلم ووهن الحالمين انقضوا بكل قواهم ليحتلوا المكان الذي كان في هذه الفترة التي بدأ فيها الحلم يتحول إلى كابوس.. فترة الحرب العراقية الإيرانية.. جنازات يومية، وبيوت تنعي موتاها، وبيوت تنتظر بلا أمل عودة الغائبين في ميادين القتال، والجميع يتهامسون "ليش نحارب" بينما التليفزيون يهدر بالعسكريين والأناشيد :

"العرااق.. العرااق.. احنا مشينا للحرب" وصور سيادة الرئيس تحتل كل الأماكن.. الشوارع والميادين والمؤسسات وحتى عربات التاكسي ودكاكين العجلاتيه.. الكل يتهامس في السر بغير ما يعلنه على الملأ.. الكل يرفض الحرب، ولكن قوة باطشة رهيبة تسيطر على الجميع وتجعلهم يطمئنون على سلامة صورة سيادة الرئيس ووضعها قبل حتى أن يطمئنوا على سلامة أسباب أرزاقهم.

وفي خضم هذه الحالة من الحرب العبثية يرصد لنا الأديب فريد معوض حالات الضياع التي يعيشها أبناء البلد..

أبو إسماعيل يطول به الانتظار لبكره الغائب في الحرب دون أن يعلم شيئا عن مصيره فيقوده ذلك إلى حالة من الانهيار فيمل عمله ويترك الدراجات بلا إصلاح لتأكلها الفئران ويستسلم هو لشراب العرق.. وأحمد الشاعر يسلمه اليأس إلا الانخراط في عصابة لقطع الطريق ..

وأثيل الجميلة تفقد الأمل في استعادة المحبوب فتهاجر.. والهارب الساخط يقطع أصابع يديه حتى لا ينخرط في الجندية وينتهي به الحال قوادا ..

الجو خانق، ولكن عبد الرحمن قابض على جمر الأمل، وها هو ككل المصريين الطيبين يتفاعل مع الناس والمكان واللغة.. بسرعة يتعلم اللهجة العراقية، ويقيم علاقة صداقة ومودة مع أهل الحي من الصنايعية والشباب والمثقفين، وها هو يتعلق بمنطقة الأعظمية في بغداد، وهي منطقة لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في القاهرة ودمشق والخرطوم والرباط.

منطقة يعيش فيها المساتير من الناس الطيبين.. موظفين ومثقفين وتجار وحرفيين.. إنها تذكرني بحي السيدة.. يقول عنها الراوي "تعلقت بها كأمي .. رأيت فيها وجه شروق حبيبتي.. ناس الأعظمية مثل ناس قريتي.. أرى فيهم وجه أبي وأمي وخالي وعمي، وما أكثر ما أرى وجه شروق في هامات البنات".. ويجد بطلنا عملا في مطعم (تل الزعتر) وينفذ الوصية التي سمعها من قبله الكثيرون ممن سافروا "كن رجلا يا عبد الرحمن.. أعمل أى شيء.. كن كناسا إن أرادوا.. كن خبازا.. كن نجارا.. كن سباكا.. ولا ترجع لوطنك بزي النساء ولا تترك نفسك للضياع.. جوازك لصق جلدك ولا تعرض نفسك للضياع.. جوازك لصق جلدك ونفسك أشبعها بالقناعة".. ويعمل عبد الرحمن (الجامعي-دارس التاريخ) في المطعم غاسلا للأطباق ونادلا وطباخا أيضا إذا لزم الأمر.. يعمل برضا وحب وتفان، ويجمع القرش فوق القرش ويبعث لأسرته ما يسدون به الدين، وما يكفي لشراء جلباب صوفي للأب الصبور.. ويموت أحد رفاق الغربة فيجوب عبد الرحمن أرض العراق طولا وعرضا ليجمع من أبناء قريته ما يكفي لشراء التابوت وتذكرة شحن الجثة..

صورة رائعة من تكافل المصريين الطيبين واجتماعهم في الشدة ينقلها لنا فريد معوض بشاعرية تدفع الدمع إلى العيون..

وتستحكم الظلمة ويتمخض الكابوس عن واقف مخيف.. الخبز أصبح سلعة نادرة، وها هو مطعم (تل الزعتر) يغلق أبوابه بعد أن تعذر الحصول على الخبز، لأن المخابز مكرسة لإنتاج الخبز للعسكريين" العسكريون يتقدمون بالأكياس الكبيرة يعبئونها بكل ما يخرج من حلق الفرن، وينغلق كل حلق.. لاحس ولا حركة، إلا حديث كسير لامرأة عجوز: بس عشرة عيني للولد..

ويمد مسعود (الخباز) يده ليعطيها فتهوى ذراع العسكرى على يده.

نريد نروح..

عشرة تريد عشرة.. بس عشرة

وإيش نسوي هذا للجبهة

ونطق أحد الواقفين وعيناه شاردتان نحو مئذنة النعمان:

خليه يروح.. خليه يروح..

ثم يردف هامسا: ولكن إيش وقت تروح الغمة..

ومضى العسكريون يحملون الخبز، فتتابعهم العيون بنظرات اختلفت أشكالها، واختلفت معانيها..

ويكتب عبد الرحمن للحبيبة "كل شيء أصابه الوهن.. لقد مال كل شيء فلماذا أنتظر.. لا شيء إلا العودة والعودة العاجلة.. حين خرجت من البيت مودعا أهلى بكيت والآن أجدني أبكي، صحيح أن كل شيء يبدو مؤسفا، ولا شيء يدعو للبقاء غير أن الأعظمية بدت لي كحلم يهرب مني ..".

ويعود عبد الرحمن بحصاد غربته.. قدر من الملابس وبطانية (جلد النمر) وحقيبة جلدية وسجادة حائط وكتاب للمتنبي.. ها هو يعود ليجد الجلباب الصوفي الذي أوصى بشرائه لأبيه وهو معلق في مسمار على الحائط وها هو يجد الوجوه الصامتة المطرقة التي أجابت بصمتها عن كل الأسئلة.. الأب مات.. والحبيبة (شروق) أجبرها أهلها على الزواج من آخر ورحلت عن القرية.. وتدفقت دموع عبد الرحمن بلا صوت.. إنها دموع رجل مكسور الخاطر كان يملؤه الأمل والرجاء فخيبت الدنيا آماله.. وها هو الموال العراقي يحوم حول رأسه ويطن في أذنه:

اللي يضيع الذهب أبسوج الذهب يلجاه

وما أكثر ما تحوية رواية (أيام في الأعظمية) من اشعار ومواويل مصرية وعراقية.. الرواية نفسها شاعرية، وكأنها موال بكل ما يمكن أن يحتويه الموال من أشجان وتحانين.. فيها جمال فطري أخاذ، وتكاد تخلو من أى تكلف أو اصطناع في اللغة أو في طريقة السرد.. نال عنها مؤلفها فريد معوض (قرية سامول مركز المحلة-محافظة الغربية) الجائزة الأولى في مسابقة هيئة قصور الثقافة عام ١٩٩٧ وصدرت طبعتها الأولى في يوليو ١٩٩٩ عن الهيئة العامة لقصور الثقافة-سلسلة الجوائز (٥) .

المنادى[1]

دراسة في شخصية روائية شعبية تقف في مواجهة الريح

بقلم

قاسم مسعد عليوة

على كثرة الشخصيات الروائية المنتمية إلى بيئات شعبية، فإن القليل منها ما يستحوذ على ذواكر القراء، ومن أمثلة هذا القليل شخصيات من نوع: "زيطة" صانع العاهات عند نجيب محفوظ، المعلم "شوشة" سقاء يوسف السباعى الذي تحول إلى مطيباتى جنازات قبل أن يموت، والشيخ" حسنى" الأعمى صائد العميان الشخصية التي انتقاها إبراهيم أصلان من بين زحام شخصيات منطقة الكيت كات.

فما السبب الذي أدى إلى تمايز هذه الشخصيات الثلاث؟.. هل هي طبيعة البيئات الشعبية التى تحتويها بما تتصف به هذه البيئات من بساطة وعفوية ومشاعر متطرفة أو بكر؟.. أم هي علاقات التواشج والتنافر التي تمارسها هذه الشخصيات مع الأوساط اللصيقة بها المتفاعلة معها؟.. أم تراها المهن التي تمتهنها ومدى إخلاصها لها أو تبرمها منها؟.

❖❖❖

إذا كان ممكناً رد هذا الاستحواذ إلى طبيعة البيئات الشعبية، فلماذا برزت وغيرها ذاب أو اندثر، وجميعها ـ البارز والذائب والمندثر ـ ابن لهذه الطبيعة ومعها يمارس ـ شاء أم أبى ـ أفعال التأثير والتأثر؟.. وإذا كانت شخصيتا المعلم "شوشة" والشيخ "حسنى" متآلفتان مع وسطيهما المعيشيين، فلماذا جاورتهما شخصية ذلك الشيطان الأسود "زيطة" بممارساتها غير المتوافقة مع مألوف الممارسات الشعبية؟.. ذات الأمر مع المهن، فإذا كانت الضرورات المجتمعية قد أوجبت على "زيطة" و"شوشة" امتهان صنع عاهات الشحاذين ـ ويا لها من مهنة – وسقاية أهل حى الحسين والتطييب فى جنازات موتاه من أفراد الطبقة الوسطى، فلماذا نافستهما شخصية الشيخ "حسنى" الذي لا مهنة محددة له؟.. فهل يعود السبب إلى الدقة والرهافة التي رسمت بهما كل شخصية من هذه الشخصيات الثلاث؟.. أم إلى تفجرات الحياة داخل جسومها التي هي من كلمات مرصوصة على ورق؟.. أم هي الدرامية النابعة من والمصاحبة لكل شخصية منها؟..

❖❖❖

شخصية شعبية أخرى هي التي أثارت في ذهني هذه الأسئلة، وأظنها قادرة على إثارة العديد من الأسئلة الأخرى، هذه الشخصية هى شخصية "عبد الجواد" منادى القرية متواضع الحال، عديم الحيلة، الذي لا يملك من مظاهر القوة سوى صوته الذي ينادى به، من خلاله يحقق ذاته، وبواسطته يخدم مجتمعه؛ وهى الشخصية الرئيسة المهيمنة على فضاء رواية (في وجه الريح: المنادى) لفقيد الحركة الأدبية المصرية، الموهوب "فريد محمد معوض"، وكان قد أصدرها عن سلسلة إبداع الحرية في العام ٢٠٠٤م. إنها شخصية جامعة للمقومات الثلاثة

[1] فريد محمد معوض، في وجه الريح: المنادى، رواية، إبداع الحرية، المنصورة، ٢٠٠٤م.

المذكورة آنفاً من حيث كونها: صنيعة بيئة شعبية محضة، مارست علاقات التآلف والتضاد مع الأوساط اللصيقة بها، وامتهنت مهنة استلزمتها شروط الحياة في القرية المصرية، ولهذا ستلتصق بذاكرة قرائها إن أفسح الناشرون للرواية التي تحتويها المجال.

❖❖❖

شخصية المنادى ليست بالجديدة على الأدب الروائي في مصر، فقد ظهرت فيه بمستويات مختلفة سواء فى الروايات التي تماحكت بالتاريخ كروايتى (الزيني بركات . جمال الغيطانى) و(ليل أوزير . سعد القرش) على سبيل المثال، أو ازورت عنه واتجهت إلى الواقع الشعبى كرواية (يحدث فى مصر الآن . يوسف القعيد)، لكن منادى "فريد معوض" تميز بكونه محور رواية بأكملها، احتل فيها المركز ومن حوله دارت والتفت سائر الشخصيات والأحداث شأنه في هذا شأن سقاء حي الحسين عند يوسف السباعى.

❖❖❖

ونتيجة لرهافة الرسم ودقته، جاءت شخصية هذا المنادى حية مكتملة التكوين وملائمة لزمن ومكان الرواية، مثلما جاءت حاملة لصفات وخصائص البطل التراجيدى المعروفة، كالوضوح والشفافية والنبل . وإن مع الفقر والسمت الشعبي . وهى أيضا تمتلك القدرة على الارتجال ولديها القابلية لارتكاب الأخطاء، تلك التى أطلق عليها أرسطو اسم "الهامارشيا" ونترجمها عادة بـ "الأخطاء التراجيدية". وللخطأ التراجيدى أسباب إن اتصلت بها الشخصية وقع، وتكاد تكون هذه الأسباب محصورة فى: جهل الشخصية، سوء تقديرها للأمور، وتسرعها أو تهاونها في إبداء آرائها دونما روية أو تمحيص؛ وقديما كان للقدر دوره فى صنع هذه النوعية من الأخطاء، لكن دور القدر الإلاهوتى ما لبث أن تلاشى في العصور الحديثة بعدما تحطمت الآلهة التي أوجبته، وهبطت المثل التى كانت تبثها من قمم الجبال والسماوات العلا إلى صدور البشر وأمخاخهم، فباتوا يصنعون أقدارهم بأنفسهم.

وعادة ما يُمثِّل الخطأ التراجيدي نقطة انقلابية عظيمة الخطر على الشخصية لأنه ينقلها حال وقوعه من خمائل السعادة إلى رمضاء الشقاء؛ ومن مرافئ الطمأنينة إلى مهاوى المآسي. وهذا ما حدث لـ "عبد الجواد" المنادى الشعبي الذي أوقفه "فريد معوض" (في وجه الريح).

❖❖❖

"عبد الجواد" هو جهاز إعلام القرية، وككل أجهزة الإعلام اتصل بكل ما له صلة بالمجتمع، إن في مجال التجارة والاقتصاد، أو الصحة، أو الدين، أو الحياة الاجتماعية، أو حتى الترفيه. فهو ينادى على الأسماك والسلع التي يجلبها التجار إلى القرية؛ مثلما ينادى على الحيوانات الضالة: ماعز، طيور، بط ؛ ويستنفر الأنفار لجمع الدودة؛ ويساعد مسئولي الصحة بالنداء على الأهالي في حملات تطعيم الأطفال؛ وكمتدين حقيقي، يؤذن للصلاة في مواقيتها؛ ويلتاع وهو ينادى على العيال التائهين؛ وهو أيضا يغنى وينشد المواويل:

- الدنيا مالها كده يا عبده؟

ليه جاروا على الحدود..

واتعدوا؟

جايز أما نغنى يوم..

يتهدوا.

❖❖❖

يتجاوب مع محن الوطن وأزماته فينادى على أهالي القرية ويستنهضهم لاستقبال مهجري بورسعيد الذين اضطروا إلى مغادرة مدينتهم بعد هزيمة ١٩٦٧م. وحرب الاستنزاف:

- يا أهل البلد.. المُهجرين وصلوا من بورسعيد.. ساعدوهم وشيلوهم جوا حبابي العين.

وبعدما تحقق نصر أكتوبر ١٩٧٣م. سمع الجميع نداءه:

- يا أهل البلد أهلنا ماشيين.

ويخاطب الراحلين إلى مدينتهم في رجاء:

- أمانة ما تنسوا الطين.

ومع كل هذا وقبله وبعده لا ينى يحذر القرية مما ينتظرها، ولعله حينما كان ينادى "العينة بينة يا ولاد" كان يجمع بين التحذير والترويج للسلع التي يكتريه أصحابها من أجل الإسراع في تصريفها.

❖❖❖

بسبب عمله هذا يصطدم وذلك الوافد الذي ابتلع الطين وسلب المال واستولى على الديار.. هذا الوافد هو "شوقى الملا" الذي أهانه ذات مرة حينما أطلق عليه وصف أبو جلمبو، وعاث في القرية فسادا، وأرهق أهليها بضغوطه فاضطر كثيرون منهم إلى مغادرة القرية بعدما سلبهم هذا المتغول ما يربطهم بها، وما زال أهل القرية في هجران مستمر حتى إن شارعا بأكمله صار يُعرف بشارع "الهج" بعدما هج منه ساكنوه جميعهم. لم يتوقف إجرام "شوقى" هذا عند حد النصب والسلب واغتصاب زوجته من خطيبها وممارسة العهر، وإنما تعدى هذا كله إلى إزهاق الأرواح فقتل "أبو المعاطى مصباح"، بعدما تصدى له وكشف ألاعيبه وفضحه بمساعدة المنادى "عبد الجواد". قتله وألقى بجثته في موزع المياه لتبدو الوفاة طبيعية؛ ولأن "عبد الجواد" إنسان، ويد الظالم باطشه، كاد يستسلم، من فرط الرهق، لليأس والقنوط ، ليس من تأثير مقتل صديقه فقط ، وإنما أيضا بسبب ما آلت إليه القرية من هوان وقبح، لكن حدث في الوقت الذى ظن فيه أنه قد فقد قدرته على التحريض أن قتل "شوقى الملا" "الششتاوى إبو على" دهسا بسيارته، فيقوى من جديد وتهييج القرية معه وتثور، فلا يجد القاتل موئلا يحتمى به سوى البوليس، وأمام الضابط يتحدى أن يتقدم أحد من أهالي القرية بالشهادة ضده، فقد هددهم قبل دخوله قسم البوليس بالخسران المبين إن هم أقدموا على شيء كهذا.

- هخرج يعنى هخرج.. لكن اللي عايز يخرج من الدنيا أو يخسر عيل من عياله يبقى يشهد إنى ضربت الششتاوى.

❖❖❖

في الوقت الذي بدا فيه أنَّ الأحوال قد بدأت تتغير وظن " عبد الجواد". ومن الظن ما لا يزيد عن كونه وهما. أنه قد استراح من بطشة هذا الباطش، وأنه قد محا الإحساس بإهانته له، إذا

به يواجه بطشة أشد إيلاماً من باطش لم يتوقع مواجهته. باطش هو الشر عينه. الميكروفون. تلك الأداة التكنولوجية المستحدثة التي أحالته إلى الاستيداع بأسرع مما يحيله المرض، فانقلبت حياته جحيما مستعرا. قاوم بقدر ما تساعده قواه، واحتال من أجل البقاء في المهنة بالغناء، وأقنع نفسه بصواب فلسفته المبنية على أهمية النداء الحي، هذا النداء المرتبط بالأرض وبوجدانه وبآذان الناس، ربما بدا الميكروفون قويا لكنه في حقيقته يخلو من أمرين: الجمال والإخلاص، وهو أضعف من "عبد الجواد" لأنه أسير الكهرباء لو انقطعت انقطع، ثم هو أجش قبيح.. لكن هيهات، فكل هذا لم يخرج عن كونه "حلاوة روح".

القرية نفسها عاشت مرحلة "حلاوة الروح" هذه، ودخلت مرحلة الاحتضار، بما طرأ عليها من متغيرات مفاجئة صاحبت دخول التكنولوجيا المتمثلة في الميكروفون، فتبدلت ملامح كل شيء، وتلاشت معظم البيوت الطينية وحلت مكانها بيوت تراصت دون قشرة تحمي أحجارها من العرى، وظهرت بقايا أشجار عملاقة، بدت كئيبة أشبه بجراح اندملت فوق الأرض، جراح عنيدة كأنها تأبى الرحيل.

❖❖❖

لمّا ظن "عبد الجواد" أنه وأهل القرية قد انتصروا على الجبار المتغول "شوقي الملا" إذا بضربة أخرى، الضربة التي هي الضربة، تأتي "عبد الجواد" من حيث لم يحتسب فتفقده كل مقومات التوازن، ضربة ربما جاءت من قِبل أعوان "شوقي الملا"، من أمثال العمدة و"إسماعيل الشنواني"، ومَن عساه أن يُفقده ابنه "عادل" سواهم؟.. مَن وهو الذي يخدم الكل، يعرف الكل والكل يعرفه، مَن؟.. وهاهو يطوف شوارع القرية الضيقة فاقدا رشده ينادي بأعلى صوته:

- ابن المنادى ضاع يا ولاد الحلال..

- ابن المنادى تاه يا ولاد الحلال..

- يا عادل يا ولد..

- يا ولد يا عادل

ومع ضياع عادل الابن ضاعت أشياءٌ كثيرة، وتغيرت أشياءٌ كثيرة، وشارع "الهج" كما هو، شاهد على الظلم وأفاعيل الجبروت، والقرية ها هي تضيع مثلما ضاع ابنه، وها هما قدماه تغوصان في الأرض، فيتماسك ويمضي ويواصل النداء.

❖❖❖

إنه إذن بطل تراجيدي بما في التراجيديا من معان.

سما وقاوم ودافع عن قيمه الشعبية النبيلة، وكان واضحاً، صريحاً، شفافاً، وقادراً على الارتجال والتحدي، لكنه كعادة الأبطال التراجيديين ارتكب خطأين قاتلين لم يتوقعهما أو يتحسب لهما، ولم يعرف - من ثم - من أين أتيا. لم يستعد، وهو المتفاني في أدائه لمهنته، للتكنولوجيا الحديثة ولم يُعِد لها عُدتها، ونسى وهو الخيِّر المحب للناس وللحياة أنَّ الشر بإمكانه أن يثأر لنفسه بتحطيم من فضحوه وأوقفوا نشاطه.

لقد نجح "فريد معوض" في تقديم هذه الشخصية ورسمها بهذه الصورة المؤثرة، التي جمعت بين المعنيين الأرسطيين التليدين: الخوف والتطهير ووسط بيئي شعبي هو الأكثر إدقاعاً في المجتمع الريفي المصري؛ وواقع الأمر أن مكمن البراعة في هذه الرواية لا ينحصر في

رسم الشخصية وحدها، وإنما يمتد إلى المهارة في تقديم شخصية بهذه الصفات والخصائص التقليدية بصورة عصرية فكرا ومنهجا وسلوكا، الأمر الذي أضفى عليها قدرا من المصداقية غير هين.

❖❖❖

التقليدية وصف مستنبط من طريقة رسم الشخصية ومن سماتها العامة والخاصة، فهي شخصية تنتمي لتاريخ، ولها اسم تعرف به "عبد الجواد الغريب"، شخصية من لحم ودم، لا تفترض تصديق آدميتها وإنما تفرضه فرضا، فتفاصيل حياتها وثقافتها وطريقة حديثها وتحركها إزاء خلفية القرية الفقيرة محددة المعالم ببيوتها وشوارعها المأهولة والمهجورة. كـ "شارع الهج". وبغيطانها ومساقيها ومصارف زراعاتها وموزعات المياه فيها، وغيرها من المحددات، جميعها معطيات تولد لدى القارئ قناعة خالصة بحقيقة وجود الشخصية.

ومثلما هو الحال في معظم الأعمال الروائية التقليدية تتسيد شخصية هذا المنادى فضاء الرواية، وتهيمن على مجريات الأمور فيه، وأحد صور هذه الهيمنة توظيفها للأحداث والوحدات القصصية الصغرى والشخصيات الثانوية من أجل خدمتها وتهيئة الأجواء والظروف كيما تسمح بتصدرها للمشاهد الروائية.

❖❖❖

الشخصيات الثانوية ليست بالكثيرة، لكنها مثلها مثل قريناتها في الروايات التقليدية تقوم بأدوار ووظائف محددة، كأن تجلو شخصية "عبد الجواد" المنادى، أو تبث النبض في شوارع وحقول القرية وداخل بيوتها، وكشأن سائر الشخصيات الثانوية في سائر الروايات التقليدية لا يبدو في الغالب من كل شخصية ثانوية مماثلة في هذه الرواية إلا جانب واحد، الأمر الذي يصلح معه وصفها بـ "الشخصيات المسطحة"، وهى سمة تؤدى إلى إبراز أوجه التعقيد والعمق في شخصية "عبد الجواد"، وعلى الرغم من اتصافها بهذه السمة التي ربما تسرِّع البعض وحكم عليها، بسبب تسطحها هذا، بالهشاشة، وما هي كذلك، فإنها بحكم أدوارها ووظائفها، وسلوكها، وهى تؤدى هذه الأدوار والوظائف، شخصيات لديها من الصفات والخصائص ما يؤهلها للانطباع في أذهان القراء فلا تُنسى، فشخصيات كـ "شوقي الملا" و"أبو المعاطى مصباح"، و"عبادة البسيونى" مثلها مثل شخصية "عبد الجواد" من لحم ودم ولديها من الصفات ما تتفرد به. وهى في علاقاتها مع "عبد الجواد" / المركز موزعة بين تنافر وتآلف، فتثير شخصيات مثل: "شوقي الملا" و"إسماعيل الشنوانى" والعمدة التنافر، بينما تستوجب شخصيات مثل: "أبو المعاطى مصباح" و"سيد عبد الدايم" و"عبادة البسيونى" عاطفة التآلف؛ وجميعها شخصيات تتمرد على التنميط وإن تماست معه في أكثر من موقف مثلما تماست مع الرمز الفني.

❖❖❖

بما أن الرواية لم تقدم "عبد الجواد" والشخصيات الثانوية التي تجلوها وتضيء للقراء جوانبها على أنها كائنات لغوية، أو شخصيات من ورق، أو مجرد مادة من المواد التي يستلزمها البناء السردي، أي شخصيات بلا رؤى ولا مواقف ولا فعاليات كحال الشخصيات الروائية في كثير من الروايات المعاصرة، هذه الروايات التي أنزلت - في معظمها - الشخصيات الروائية من فوق عروشها ونزعت عنها ألقاب البطولة، وجردتها من كل زينة، ودققتها لتصبح مجرد عنصر ممسوح الملامح ومندغم في غيره من العناصر، حتى بات من مألوف هذه الروايات ألا

تحمل شخصياتها أسماءً تعرف بها، واستبدلت الأرقام والرموز والعبارات الوصفية بالأسماء، وحتى إن أسبغت رواية منها على شخصية ما اسما فهو مجرد وسيلة للتمييز لا أكثر، بل إنَّ من الروايات ما يمنح الشخصية أكثر من اسم أو رقم أو رمز. وأي من هذه الحالات لا نجده في (في وجه الريح)، فهذه الرواية تقدم شخصيات تخاصم أنماط الشخصيات الروائية المعاصرة تلك.

فإذا كان الأمر كذلك، فإن التساؤل حول مصداقية الصورة العصرية التي قدمت بها شخصيات الرواية يكتسب قدرا من الوجاهة يوجب الوقوف أمامه والبحث عن إجابة مقنعة عليه.

❖❖❖

تحيل الإجابة إلى ثلاثة عوامل التجنيس هو أولها، فهي نوفيللا NOVELLA، ذلك الجنس الأدبي الذي استخدمه "فريد معوض" وجعله محيطا يقدم هذه الشخصيات من خلاله. والإقبال على النوفيللا NOVELLA في زماننا الحاضر أخذ شكل الظاهرة، وهي ظاهرة استلزمها لهاث الحياة المتسارعة، ومعروف تميزها بالقصر، ووقوعها في المنطقة الوسط بين القصة القصيرة والرواية، وقد أدى قصرها إلى تخليصها من الزوائد ومما لا طائل منه، وليس كل ما يتخلص من زوائده ومما لا طائل منه يُعَدُّ نوفيللا NOVELLA جيدة، فقد يحدث هذا ويظل السرد عقيما وفاقدا للمقومات الفنية، لكن (في وجه الريح) جاءت مكتملة، رشيقة، ورهيفة، بفضل مهارات "فريد معوض" وخبراته. فبسبب من هذه المهارات والخبرات جمعت هذه النوفيللا NOVELLA بين البساطة والعمق، والإيجاز السردي وغزارة المعاني، إلى الدرجة التي تتيح إلحاقها بمصفوفة من النوفيللات ذات القيمة والشهرة في الساحة العربية كـ (قنديل أم هاشم) ليحيى حقي، (خالتي صفية والدير) و(شرق النخيل) لبهاء طاهر، (الطوق والأسورة) ليحيى الطاهر عبد الله وغيرها.

❖❖❖

النوع عامل ثان يلفت الانتباه إليه غير التجنيس، فالرواية رواية شخصية، وقد أتاح هذا اقتصار التبئير على الشخصيات دون غيرها، ونبذ ما لا يتقاطع أو يتلاحم معها من تفاصيل المكان والزمان والأحداث. فأدى هذا إلى الاهتمام بها وبعلاقاتها مع بعضها البعض، مثلما أتاح الاستغناء عن أشياء كثيرة الاحتفاظ بها يُثقل الرواية بما لا لزوم له، ويُفقد الشخصيات، لا سيما شخصية "عبد الجواد"، حضورها ويسلبها حيويتها. ونتيجة لعكوف الكاتب على هذه الشخصية أمكنه إظهار الحالات المختلفة التي عاشتها، وإلقاء الضوء على الشخصيات الأخرى المطوية بين جوانحها، فغير الشخصية الظاهرة التي يبديها "عبد الجواد" أمام أهل القرية وبها يتعامل معهم ويعيش، لديه أيضا شخصيته السرية - إن صح التعبير - وعلى الرغم من شفافية "عبد الجواد" الظاهرة، فإنه لا يبدي للعامة هذه الشخصية ولا يُظهرها إلا حينما يخلو لنفسه، وهي شخصية مُهانة، مذعورة، من فرط خوفها من بطشة الباطش "شوقي الملا" وأعوانه، ولديه أيضا شخصيته الواعية أو الشعورية والشخصية غير الواعية أو اللاشعورية المقابلة لها. مع الأولى يتصرف "عبد الجواد" في فضاء الرواية برغبته وكامل إرادته، وتسلك به الثانية مسالك لا يرتضيها وعيه، ومع هذا يسلكها دونما رغبة منه أو إدراك، وبذا قدَّم "فريد معوض" شخصية مركبة، نامية، دينامية، ومحورية.

❖❖❖

العامل الثالث هو عامل تقني متصل بتقنية السينما، فقد اعتنى الكاتب في بنائه للرواية بالقطع والمزج اعتناءه بالمشهد واللقطة، واهتم بما هو لفظي وما هو غير لفظي، لغة الصورة ولغة الحوار، بالإشارة والإيماءة والفعل والحركة والاسترجاع. وللحوار حضور لافت، ودوره في البناء المشهدي بارز، وهو حوار سلس، حي، مقتضب، وسريع، صيغ بالعامية، وحفل بما لا حصر له من مفردات البيئة القروية، وفوق هذا وذاك حمل جيناتها وترجم ثقافة ساكنيها وهموم وآمال الشخصيات وفي مقدمتها شخصية المنادى "عبد الجواد"، واستخدم الحوار كمثير حسي صوتي في المشاهد المتضمنة حوارا منطوقا.

❖❖❖

التنويع اللوني واحد من مظاهر الاهتمام بلغة الصورة فالبيوت طينية بلون الرماد أو حمراء بلا قشرة تحميها، والحقول خضراء، والسواد الملتصق بفروع التوتة أكثر سوادا من هباب الفرن، والجن الذي يتبادل "عبد الجواد" و"أبو المعاطي" الحديث عنه أزرق، والذباب أيضا أزرق، والروح تبدو في بياض القطن حين يستخلص من الأرض بلا قشرة. وبتوزيعات الضوء ما بين شروق وغروب وليل غطيس تحددت زمنية المشاهد واللقطات ما بين ليل ونهار بغير ما ذكر للجمل الإرشادية المعتادة في الكتابات السينمائية.

❖❖❖

الرواية من خلال هذه التقنية تجمع بين خطابين: أولهما سردي بحكم كونها قصة تتضمن أحداثا وشخصيات وأمكنة وأزمنة وأبعادا درامية شأنها شأن سائر الروايات الأدبية، وثانيهما سينمائي يرتكز على المكنات البصر سمعية من خلال عين السارد التي تكاد تماثل عين الكاميرا في حركاتها ما بين إسراع وإبطاء واستعراض وتركيز، وأصوات البشر والحيوانات (نباح كلب "شوقي الملا") والأشياء (هدير موتور سيارة "شوقي الملا").

❖❖❖

مثلما هو الأمر مع الأفلام السينمائية توزعت مشاهد الرواية على مجموعة من اللقطات المتنوعة ما بين عامة ومتوسطة وقريبة، وتراكبت الصور والأصوات بالهيئة التي تتيح للقارئ / المشاهد فرصة التعايش مع ما يقرأه بعينيه ويراه ويسمعه بمخيلته. ولم يحل هذا التراكب من استعمال الصوت خارج المشهد البصري، وهي تقنية مستمدة من الأدب الشفاهي ويكثر استخدامها سينمائياً بتطبيقات مختلفة، فإذا كان السرد معادلا للصورة، باعتباره تصويرا بالكلمات، فإن حزَماً من الحوار المنطوق (أصوات) تأتي أحيانا سابقة على السرد أو منفصلة عنه، أي خارج المشهد البصري.

ومن أمثلة هذه الحزَم المنطوقة خارج المشهد البصري ما سبق المشهد رقم (٤):

- اللحمة بكام؟

- بعشرة صاغ.

وما سبق المشهد رقم (٧):

- ألف جنيه.. يخرب بيتك.

- ما انخرب خلاص يا حضرة العمدة.

- وعايزني أعمل لك إيه؟

- تجيب لي فلوسي.. يا يجيب العقد.

وما سبق المشهد رقم (١٣):

- يا بني لا حتطول حاجة من شوقي ولا العمدة هيعمل لك حاجة.

- والفلوس يا به؟

- عليه العوض.. شق طريقك بقه.

وفي الرواية ما من سرد سبق أو تخلل هذه الحزَم الصوتية، ومن ثم أمكن لهذه الحزَم أن تلعب دورا تمهيديا أتاح تأمل وتقبل المشاهد البصرية الجزئية المحملة بها الجمَل السردية التالية لها، وذلك عبر أدوات الربط المتخيلة كالوصل المباشر بين اللقطات بعضها البعض، أو الوصل غير المباشر عن طريق الإظلام قبل الانتقال من لقطة إلى أخرى (تقنية مونتاجية)، وليس شرطا لحدوث التأمل والتقبل أن يكون سرد المشهد البصري متوافقا أو متعارضا مع هذه الحزَم، فمع الحالين يحدث التكامل بين الصوت والصور التي تتلوه وهذا ما توفره هذه التقنية.

❖❖❖

يقودنا هذا إلى القول بأن المؤلف قد عمد،عن طريق التوليف (المونتاج)، إلى الجمع بين أسلوبين أحدهما متصل بالسرد الروائي طبقا لتسلسله الزمني عبر مجموعة من اللقطات التي حملت كل واحدة منها مضمونا ساهم في دفع الأحداث قدما والاتجاه بها، عبر الخطأ التراجيدي، نحو التفجير الدرامي والانهيار المأساوي الذي حطم المنادى "عبد الجواد"، والآخر متصل بالتوليف التعبيري،المؤسس على قطع اللقطات وتركيبها بطريقة استهدفت إحداث التأثير المباشر على عاطفة وذهن القارئ، الذي تحول إلى مُشاهِد مشارك في إنتاج الدلالة المتماسة مع الرمز القريب الداني أو البعيد المتنائي، كأن يرى مثلا في "شوقي الملا" رمزا للبطش والاستغلال وكل ما هو قبيح مستهجن في دنيا البشر، أو يجد فيه رمزا للغزاة الطامعين كالصهاينة على سبيل المثال، أو ينظر إلى العمدة باعتباره رمزا للسلطة المتواطئة، أو المتنصلة من المسئولية، أو يتلمس في ثنايا الرواية إسقاطات سياسية كالتطبيع مثلا.

❖❖❖

من خلال هذه التقنية السينمائية عالج "فريد معوض" أحداث روايته وقدم شخصياتها عبر الزمنين الطبيعي (الكرونولوجي) والداخلي (الباطني)، الأول هو ذلك الذي نراقبه من خلال زجاج الساعة أو أوراق النتائج أو تتابع دورات الشمس أو القمر، والثاني من خلال آثاره التي تدل عليه أبنية القرية وجسوم وسلوك الشخصيات لا سيما شخصية المنادى"عبد الجواد"؛ ويسرت له هذه التقنية معالجة المكان عبر لقطات سردية انتخبها وولفها (مَنتجها) للإسهام في تكثيف مخاطبته للقارئ / المشاهد من خلال إطار محدد هو إطار القرية، الذي نمت فيه الشخصيات والأحداث بطريقة واضحة المتطلقية.

❖❖❖

بلغ من اعتناء "فريد معوض" بهذه التقنية أنه كاد ينتزع وظيفة "الديكوباج" من مخرجي السينما، وما تقسيمه المشاهد إلى لقطات، وتحديده لزواياها وأحجامها، وانتقاله من لقطة إلى أخرى، ووصفه لحركات الشخصيات، وحشده للمؤثرات الصوتية والضوئية إلا

التأكيد الأوفى على صحة ما نقول وإن لم يستخدم العبارات الإشارية والمصطلحات المستخدمة في الحقل السينمائي؛ ومصداق ذلك أنّ الرواية عَرفت بعنوانها الفرعي (المنادى) طريقها إلى الشاشة الصغيرة فكتب لها محمد فتحي الشرقاوي السيناريو وأخرجها رضا النجار وقام بأداء الدورين الرأسيين فيها كل من أحمد بدير ورياض الخولي؛ وليست هذه هي الرواية الأولى لـ "فريد معوض" التي تعرف طريقها إلى الشاشة الصغيرة فقد سبقتها روايته (المرسى والأرض) وكان قد أخرجها محمد السيد عيسى واضطلع بالسيناريو والحوار محمد فتحي الشرقاوي . أيضا . وأدى أدوارها الرئيسة كمال أبو رية وجيهان فاضل والسيد راضى و سهير المرشدي، وسبقتها أيضا سهرة تليفزيونية عنوانها (عزاء أهل القرية) من إخراج الدكتور أحمد فهمي عبد الظاهر.

❖❖❖

شعرية السرد الروائي ملمح يفرض نفسه من بين ملامح كثيرة تتمتع بها رواية (في وجه الريح)، وسنقتصر هنا على ما يربط بين شخصية المنادى، الشخصية الرئيسة في الرواية، وهذه الشعرية، وعلينا بادئ ذي بدء ألا نغفل حقيقة إسهام العوامل الثلاث السابقة في هذه الشعرية، ولعلها هي الأساس الذي بنيت عليه، فكون الرواية نوفيللا NOVELLA كثف السرد وهذب جُمله وبراها حتى أضحت كالسهام المريشة يعرف كل سهم منها طريقه إلى هدفه برشقة واحدة، وكونها معنية بالشخصية ضيّق من بؤرتها وأغناها عن تفاصيل لو احتفظت بها لأثقلتها، أما تقنية السينما فوفرت بحركيتها وإيقاع الصوت والصورة فيها الدعم الرئيسي لهذه الشعرية.

❖❖❖

إنّ منشأ شعرية السرد الروائي إنما يعود إلى المكون اللغوي بما يحمله من معان وإيحاءات يسبغها على الشخصيات والأشياء والأفعال، والمكون اللغوي في الرواية التي بين أيدينا هو مجموع لغتين امتزجا معا: لغة الاستعمال الريفي المألوفة بعاميتها البسيطة ومجازها المتفق وسياقات العيش في القرى المصرية، وهى في الغالب الأعم لغة استهلاكية أحادية الدلالة، وبحكم تداوليتها تتحاور بها شخصية المنادى والشخصيات المحيطة بها، وعلى أساس منها تقيم علاقاتها بالواقع المعيشي، أما اللغة الأخرى فلغة أكثر تعقيدا، مركبة، وقادرة على بث الإيحاء وتوليد الرمز، وهى اللغة التي تفكر بها شخصية المنادى "عبد الجواد" وتجرى بها مونولوجاتها وحواراتها الداخلية.

❖❖❖

شخصية "عبد الجواد" ذاتها غنية بمقومات الشعرية ليس فقط من حيث كونها ضحية وذات كثافة نفسية، وإنما أيضا لأنها نتاج وضعية إدراكية افتقدتها الشخصيات الثانوية المحيطة بها؛ ومع هذا، وعلى الرغم من أن الدور الذي تلعبه في الرواية هو دور من الدرجة الأولى، وانتظام عناصر السرد المختلفة إنما ينطلق منها ويرتبط بها، فقد وفق الكاتب حينما أولى الشخصيات الثانوية . وإن صغرت أدوارها . نفس الاهتمام الذي أولاه لشخصية المنادى، مثلما وفق حينما جمع في تعامله مع الفروق، التي تميز هذه الشخصيات عن بعضها البعض، بين منظورين أحدهما كمّي والآخر كيفي، فأحدث بهذا الجمع قدرا من الموازنة استلزمته ضرورات الشعرية.

وقد يكون من المفيد توزيع شخصيات الرواية حسب الفروق الكمية والكيفية على النحو التالي:

١. **شخصيات تشغل المساحة الأكبر من الرواية:**
المنادى "عبد الحفيظ" (الشخصية الرئيسة) / شوقي الملا (الباطش).

٢. **شخصيات تشغل مساحة أقل:**
ابو المعاطي مصباح (ضحية) / عبادة البسيوني (ضحية) / إسماعيل الشنواني (من رجال شوقي الملا) / العمدة (متواطئ).

٣. **شخصيات تشغل مساحة دنيا:**
سيد عبد الدايم (ضحية)/ البسيوني (والد عبادة - ضحية)/ الششتاوي أبو على (ضحية)/ زوجة عبد الجواد الغريب/ زوجة أبو المعاطي مصباح/ زوجة شوقي الملا/ الشحاذة (من استمد منها عبد الجواد الدافعية للغناء)/ الضابط (متواطئ)/ عادل(ابن عبد الجواد - ضحية)/ أم الحسن (صاحبة الرؤى التي لا تخيب)/ توفيق (من رجال شوقي الملا)/ بنت أم حلاوة "الشعنونة" (من ممارسات العهر السري)/شعلان السيد (مشترى فوائض مصنع الحلوى)/ الشيخ موسى (فقيه القرية)/ عوض الله (صاحب البقرة الدائخة)/ على الغنَّام (واحد ممن شاهدوا حال شوقي الملا عند قدومه إلى القرية)/ الغرباء (ضيوف شوقي الملا)/ أهل القرية وأطفالها ومهجرو بورسعيد الذين وفدوا إليها ورحلوا عنها.

❖❖❖

وطبيعي أن يكون لكل شخصية بالرواية دورٌ محدد لا يمكن الاستغناءِ عنه ليس لوظيفته فحسب، وإنما لإسهامه الجمالي في شعرية السرد. ومن الطبيعي أيضا أن تتفاوت الفروق فيما بين هذه الأدوار حتى داخل المستوى التصنيفي الواحد، بل إنَّ من الشخصيات التي يحتويها التصنيف الأخير.ما لا يظهر البتة في المشهد السردي وإنما يأتي ذكره من خلال الجمَل الحوارية فقط كـ "مُهَجّري بورسعيد"، أو من خلال التذكر كشخصية الشيخ "موسى"، وقد لا يظهر من الشخصيات الثانوية إلا آثارها على تراب السكك كالغرباء ضيوف "شوقي الملا". وجميعها مترابط الخيوط بشخصية المنادى "عبد الجواد" ومُسيطر عليه من خلال بنية السرد.

❖❖❖

من تتبع شخصية "عبد الجواد" يمكن وصفها بالشخصية الواقعية ذات التوجه الأخلاقي، فمحتواها السلوكي وما يحتشد بداخلها من اتجاهات وحاجات ورغبات ونوازع وأفكار ومقاصد كلها أمور تؤكد على أنها شخصية خيِّرة، متدينة، عطوف؛ لكنها بنفس النِسبة. إن لم تتجاوزها . شخصية جمالية، فعلى ما هي فيه من إيقاع ومكابدةٍ تمتلكُ أبعادا فنية متكاملة، فما من نشاط فسيولوجي أو سيكولوجي تؤديه إلا كان فنيا جماليا يضيف إلى شعرية السرد ما يغنيه، سواء بحركتها داخل القرية، أو سكونها في ظل التوتة العتيقة، وعند اتصالها بأقرانها المطحونين، أو بمواجهتها لأشرار القرية، أو بانعزالها عن الكل بالبيت أو الغيط . وهى بانفعالها تجاه الجرائم التي تُرتكب بحق القرية وحقوق أهلها إنما تنفعل بطريقة فنية تتبنى قيم الجمال وتبثه في محيطها، ذات الأمر تفعله وهى تتأمل بيوت وجدران شارع "الهج" وموزِّع المياه الذي ألقيت به جثة "أبو المعاطي مصباح". وعلى الرغم من

أنها كائن لفظي . بحكم أنها مصاغة في رواية أدبية، إلا أنها ممتزجة إلى حد الانصهار بالمعطيات البصرية والسمعية على النحو السابق إيراده في هذه الورقة، ولعل مصدر الدفقات الشعرية التي تتمتع بها هذه الشخصية هو هذا النبع الذي لا يغيض ماؤه.

❖❖❖

وثمة خواص ثلاث ميزت شعرية السرد في اتصالها بشخصية المنادى"عبد الجواد"، وهذه الخواص هي:

خاصية التدرج: فلم يقدم "فريد معوض" هذه الشخصية دفعة واحدة، إنما بثها هي والمعلومات المتصلة بها منجمة غير متصلة، فبدأت الرواية بالنداء الغامض "العينة بينة يا ولاد" ثم ما لبث الغموض أن انقشع درجة فدرجة حتى بلوغ النهائية المأساوية ومناداة "عبد الجواد" على ابنه الضائع " يا ولد يا عادل"، وبدأ أيضا بالرصد الخارجي ثم تدرج في رصد الملامح الداخلية إلى أن رصد خلجات "عبد الحفيظ" الموارة بالحزن والمرارة والضعف الإنساني. نفس الأمر اتبعه مع الشخصيات الأخرى.

خاصية التآلف: بين "عبد الجواد" وبسطاء القرية من أمثاله، سواء أولئك الذين بقوا بها أو غادروها من الضحايا، أو حتى الصغار الذين ماتوا ودفنوا تحت جدار البيت "أبو قفلين" في شارع "الهج".

خاصية التقابل: بين "عبد الجواد" و"شوقي الملا" ورجاله والمتواطئين معه، وأساس هذا التقابل هو النفور من البطش والطمع واختلال موازين العدل.

❖❖❖

مع الخواص السابقة استعان "فريد معوض" في تشكيله لهذه الشعرية بتقنية التكرار، وراعى التناسب، والاتزان، وتطبيق مبدأ الوحدة والتنوع.

جاءت تقنية التكرار متوافقة ومستلزمات السرد من ناحية، ومهنة الشخصية، التي هي المناداة، من ناحية أخرى؛ فكررت النداءات مثل: " العينة بينة"، "عيل تايه"، "اللحمة بكام؟"، كما كرر الاسترجاعات الذهنية التي تعتمل في رأس "عبد الجواد"، وراعى أن تكون بصياغات وترددات صوتية مختلفة دعمت شعرية السرد بإيقاعية مبعثها جرس الألفاظ المبنية في تراكيب خالية من النشوز، ومجافية للمجانية ونابذة للثرثرة؛ فقدمت ما كفل لشعرية السرد الاستمرار، والتدفق، والكثافة، والخصوبة، ونشّطت فيها المعطيات البصرية، وأكدت على الحس الدرامي للشخصية الرئيسة.

ووفر التناسب بين أدوار الشخصيات الرئيسة والثانوية من ناحية، وبينها جميعاً والحجم الكلي للرواية . وهو حجم قصير NOVELLA كما أسلفنا . من ناحية أخرى، قدرا من الهارمونية الشكلية عال.

ولأن ثمة تقابل في الرواية ناتج عن التفاعل بين المتناقضات، فقد اجتهد الكاتب كي يحقق الاتزان بين طرفي ثنائية الخير والشر، التي شملت القرية كلها. وما فضح " عبد الجواد" بنداءاته لألاعيب "شوقي الملا" التي استهدفت العبث بعقل "أبو المعاطي"، وكشفه لـ "إسماعيل الشنواني"، إلا الدليل على أنَّ الاتزان في تحقيق المكاسب أمر ممكن لكل من أهل الخير وأهل الشر ولو مرحليا. وفي نفس الوقت وفر هذا الاتزان الإحساس بأن كل ما يدور

مع وحول الشخصية الرئيسة إنما هو مُكَوِّن مِن مكونات نظام جزئي متصل بالنظام الكوني الأرحب.

أما مبدأ الوحدة والتنوع، ذلك المبدأ الديالكتيكى المعروف، فقد وجد تطبيقه في الفكرة الواحدة المهيمنة على العمل كله، تلك الفكرة التليدة التي تنتصر للحق والعدل، وتواجه الظلم والعدوان من خلال تعدد الوحدات والعناصر المتفاعلة مع بعضها البعض تآلفا واختلافا داخل هذه الفكرة ذاتها.

❖❖❖

استخدم الكاتب الوصف لكن باقتصاد ملحوظ، كأن يكون السمك "فضياً"، أو الصوت "مشروخا"، أو الأسطح "عالية"، أو التوتة " قديمة"، أو ذراع إسماعيل الشنوانى "طويلة"، أوفروع الشجرة "لدنة".. وهكذا. وشأنها شأن سائر العناصر لم تنل شخصية "عبد الجواد"المنادى من الأوصاف إلا أقل القليل. وجاء هذا لصالح الشخصية الرئيسة وصالح الرواية ككل، فعلى الرغم من أنَّ الوصف ـ كما هو معروف ـ مظهر مهم من مظاهر الشعرية السردية بما يتيحه من لفت الانتباه إلى عناصره الموصوفة، سواء كانت أمكنة أم أزمنة أم شخصيات أم مواقف..الخ، فإنه قد يُثقل السرد ويُصيبه بالترهل وهو ما خلت منه الرواية.

ولعل ما دفع الكاتب إلى الاقتصاد في استخدام الوصف إدراكه بأن السرد يمكنه أن يؤسس كيانه بمعزل عنه، وأنَّ الوصف أداة محافظة لأنها لا تدخل إلا على ما يمكن وصفه، أي المتحقق فعلا وإلا ما أمكن وصفه. ساعده على هذا نهج الحذف والاستبعاد الذي اتبعه وهو يشكل شعرية السرد في الرواية. والحذف خاصية ليست غريبة ولا مستحدثة، على العكس هي خاصية لغوية عربية صميمة، فقد كان البليغ الحاذق هو من يحسن الكلام بأقل جهد، وأقل عدد من الأصوات، وكانت البلاغة في الإيجاز.

❖❖❖

ومثلما اقتصد الكاتب في الوصف اقتصد أيضاً في المجاز، ولم يستخدم المجاز في رسم شخصية "عبد الجواد"، فما أرادها إلا شخصية حية من لحم ودم وإن تشكلت بالكلمات، ولعله في استخدامه للمجاز المحدود رأى أنَّ قليله قد يكون أكثر إفادة في تحقيق الكثافة الشعرية، وقد أصاب في هذا، وإصابته الأكثر دقة جاءت من استلهام الثقافة الشعبية في الضياغات المجازية على قلتها، فـ "سكة شوقي اشتكت من كثرة ما داسها إسماعيل الشنوانى"، و"الدار أم قفلين تقف في زور الشارع".. وهكذا، ودعم هذا المجاز الشعبي التعبيرات الشعبية مثل: "ليه يا أبو الفكاير؟"، "البقرة شامّة"، "اقعدوا انتو بعافية"، "يا رب الدنيا تشتي"، "صلاة النبي أحسن"، "يا حول الله".. وهكذا.

❖❖❖

بعد كل ما فات يبزغ سؤال منطقي: هل الرواية إذن خالية مِن العيوب؟ الموضوعية تقضى بأن تكون الإجابة بالنفي، فما من عمل كامل كمالا مطلقا، لكن عيوب رواية (في وجه الريح) قليلة جدا إذا ما عُد كل ما سبق ذكره من قبيل الإيجابيات.

من هذه العيوب المبالغة في تصوير شخصية "شوقي الملا" الشريرة بطريقة تستدعى إلى الذهن الصورة التي كانت مألوفة للشرير في الأفلام المصرية والهندية القديمة، نعم هو كائن حي، ذكى ومناور، كما قدمته الرواية، لكنه أيضا باطش وخشن ولا يتورع عن القتل

السريع لمن يناوئه، ولعل تزويد وجهه بحاجبين كثيفين وشفتين غليظتين وأنف مُكور من شأنه أن يستعيد تجسيد صور أبو جهل وأبو لهب كما قدمتها بعض الأفلام المصرية؛ وما هكذا يكون حال الشخصية الشريرة.

❖❖❖

استخدام الكشاف الضوئي لصنع أخيلة الهدف منها إقناع "أبو المعاطي مصباح" بأنه إنما يرى عفاريت بغية العبث بعقله للوثوب على أرضه، هي حيلة تفترض السذاجة في شخصية "أبو المعاطي"، وما هو كذلك، وتثبت سذاجة من ظن أنها حيلة ناجعة ومن قام بمباشرة تنفيذها: "شوقي الملا" وساعده "إسماعيل الشنواني"، وما هما كذلك، والأسوأ أنها قد تؤخذ على محمل الاستهزاء بذكاء القارئ، والقارئ لا يقبل هذا.

❖❖❖

تحول "أبو المعاطي مصباح" إلى ولي بعد مصرعه، في فصل لعله من أكثر الفصول تحرراً وخيالاً، هو تحول مفتعل، تكرر كثيرا حتى خلق من فرط التداول والاستعمال، وإذا كان الكاتب قد استهدف منه لمس حالة الجهل التي يعيشها أهل القرية، أو رأى فيه محاولة من هؤلاء الناس معدومي الحيلة لمقاومة القاتل بالإعلاء من شأن القتيل وإضفاء هالة من القداسة عليه، فإن الوسيلة تكون أفضل إذا ما جاءت غير مكررة أو معادة.

❖❖❖

أدوار المرأة الهامشية.

وبعد.. هل تُنقص هذه العيوب الأربعة من مكانة الرواية شيئاً؟

بمعامل ثقة عال أقول: لا.

قراءات:

- د. أحمد صبرة، تشريح الرواية، الصديقان للنشر والإعلان، الإسكندرية، بدون تاريخ نشر.
- حاتم الصقر، ترويض النص: دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر . إجراءات.. ومنهجيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- د. شاكر عبد الحميد، الفنون البصرية وعبقرية الإدراك، مكتبة الأسرة. مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- عبد الرزاق الزاهير، السرد الفيلمي: قراءة سينمائية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.
- فاضل الأسود، السرد السينمائي: خطابات الحكي . تشكيلات المكان . مراوغات الزمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ولاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.

فريد معوض والتوحد بالزمان والمكان

"..هل تحولت القرية إلى شجرة توت عجوز هي الأخرى؟"

بقلم

د.محمد زيدان

هذا السؤال الذي فشل عبد الجواد في صياغته، وهو يتكوم تحتها، هناك تجاويف مظلمة. وفروع مخنوقة، والسواد الملتصق بالفروع، يبدو أكثر سوادا من هباب الفرن. ما يعرفه عن شجرة التوت أن جذرها يتوغل لأسفل، ولا يتفرع قرب سطح الأرض، ليس كتلك الجذور العائمة التي تشبه سرطان البحر"-بهذه الكلمات يؤول الراوي علاقة الذات بالمكان، والتحولات التي تطرأ على المكان من خلال المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل وحتى النفسية، والراوي بهذا الرصد، إنما يعبر عن حالة من التوحد، تتداخل فيها عناصر الزمان والمكان من خلال الذوات التي تحل فيها حلولا يشبه إلى حد كبير حلول المتصوفة، وذلك من خلال شخصية "عبد الجواد" المنادي، والذي يعكس هذه العلاقة- الحتمية بين الذات وبين المكان، هل تعرف كيف يتعرف المنادي على دقائق المكان وتفصيلاته، وأوصاف الأشياء وأحوالها.

إن فريد معوض بتصويمه على الدخول في مناطق تبحث عن العلاقة الخاصة التي تربط الإنسان بالمكان، يعد واحدا ممن يهدفون إلى إقامة مشروع إبداعي في هذه المنطقة الحساسة من مناطق التماس الإبداعي بين الإنسان كموقف، والمكان كحالة، وبين الرصد الذي يعتمد على التوحد بالمكان، إنه لا يلجأ إلى وصف المكان وصفا آليا ولكن تعامله مع المكان (القرية على وجه الخصوص) يعكس روح الفنان إذا التصقت بروح المكان، وتبدأ هذه الروح في الانصهار كلما تعمقت أسراره، لا من خلال تفاصيل المكان وحدها، ولكن من خلال رؤية الآخر للمكان.

ففي إبداعه على مستوى الرواية، نجد أن الاحتفاء بالمكان يبدأ من العنوان (المرسى والأرض). "أيام في الأعظمية" "أرض الهويس" حيث تتعدى الدلالة مجرد الإشارة إلى الاحتواء، ثم التأويل الخاص بهذا الاحتواء، ثم التوحد، الذي ينم عن طبيعة خاصة ربما لأن فريد معوض من القلائل الذين يلتصقون بالقرية التصاقا شديدا رغم تخطيه على مستوى الإبداع الحواجز الكثيرة التي صنعتها المدن الكبيرة، وهذا الالتصاق يبدأ من علاقة الذات بالأرض، ليس كمكان، أو كحالة فقط، وإنما كموضوع للقيمة كما في المرسى والأرض. ثم تتشرب الذوات الأرض، والمكان، وتتخلى الذوات عن طبيعتها لتحل في المكان، وتعكس ذلك على مستوى انهزام الذات، أمام المدينة الطاغية، وانكسار الحلم أمام الجبروت المديني، وهذا ما صنعه في روايته التي تشبه الحركة الموسيقية (أيام في الأعظمية) إذ تحمل الذات هموم الوطن، الفرد/الجماعة، حتى بعد الابتعاد عن المكان كمادة، وإنما بمنطقة الحلول، كلما ابتعدت شخصيات فريد معوض في روايته وأعماله الإبداعية عن المكان، كلما كانت أكثر التحاما به، ففي قصصه القصيرة، يعمد فريد معوض إلى رصد حركة الحياة الواعية في القرية كأبجدية أولى لمشروعه الإبداعي، وهذه الحياة بتقلباتها، وميولها، وتحفزاتها إنما تطرح المكان كفاعل منتج لحوافز النص، مؤثر في طبيعة الأحداث، تجعل من طبيعة الذوات، الكادحة، الباحثة عن الحق والعدل والمساواة، رؤية موازية لفاعلية المكان، إنه توحد وانسجام بين الذات ممثلة للأنا، وبين المكان والموقف والحالة كتمثيل للآخر، وفي هذه الرواية، التي

اعتبرها مفردة من مفردات التصور الإبداعي العام في نصوص فريد معوض، يقوم برصد علاقات الذات بالمكان من خلال التحولات التي تصيب المكان، وتؤوله، لتصل به في نهاية الأمر إلى اكتشاف للذات، من خلال نماذج جديدة من شخصيات ومواقف ترتبط بالمكان، وتتوحد به، بل يجعل المنادي، تحت كلمة "في وجه الريح" هذا العنوان الذي ينفعل بالمجاز أكثر من انفعاله بالحقيقة، وذلك لأن استعارة كلمة "ريح" للمتغيرات القائمة يشير إلى التصادم الواقع بين الذوات التي تقاوم لتعيش، وتتحدى لتبقى، وتصد لكي توجد، ولا تخفى دلالة الكلمة التي تنبعث من رائحتها معنى الهلاك والتدمير، ويلجأ فريد معوض إلى ترميز اللغة الروائية ترميزا يحمل من الدوال النصية كتلا من المعاني. تقوم مقام الذوات في المواجهة، لأن الرمز في النص يتخذ أحيانا من المواقف القصيرة، صورا بلاغية تعادل تلك المشاهد المطولة التي لا تحمل اللا مضمونا واحد، وها هو يصف الدار وبابها الذي يقف في مواجهة التغيرات الحادثة:

"يحاذى الباب، ومايزال يحتفظ بعلوه، ولم يزحف عليه ارتفاع الشوارع الأخرى، ربما لأن شارع الهج مازال واطئا، الباب مازال يحتفظ بهيبته، لم تفلح أشعة الشمس القاسية أن تخفي المنمنمات الصغيرة التي يعرفها عبد الجواد، الجدران هي الأخرى ما زالت بارتفاعها".. إن فريد معوض يعمد إلى صنع بؤر دلالية صغيرة تحمل في طياتها دلالات متنوعة، ويخلق المواجهة من قلب الموقف، والوصف النصيين، ويفرغ دلالات المقاومة وعلاقة الذات بالمكان من خلال الصور الرمزية البسيطة التي تعتمد على بلاغة الموقف، كما فعل مع هيبة الباب، وارتفاع الدار، وعجز الشمس على محو الهوية التي يحملها المكان، وهكذا تتوسع الدلالة لتشمل الكيان الإنساني، في مواجهة كافة التغيرات التي يتلفها النص، ويعيد إنتاجها وصياغها.

إن هناك جهداً بارزاً في مجال التحول الحكائي، والتجريب الخلاق في إبداع فريد معوض يتعرف عليه كل من يتعرف على عالمه الإبداعي، في القصة القصيرة، والرواية، وأدب الأطفال ، إنه يحفل بكل أدوات النص، وكل علاقاته، ويعمل دائما على تطويرها بشكل يليق بعالمه الإبداعي.

متى يصبح الفلاحون أعلى من كل الناس

بقلم

محمد حمزة العزوني

فريد معوض كاتب موهوب غزير الإنتاج، يكتب القصة والرواية وأدب الطفل والتمثيلية التلفزيونية.

ومجموعته القصصية الجديدة "أعلى من كل الناس" هي المجموعة الثانية له بعد مجموعته القصصية الأولى "عود ثقاب" والتي صدرت عن الهيئة العامة للكتاب منذ أكثر من عشر سنوات.

وقد صدرت هذه المجموعة عن سلسلة إبداع الحرية بالمنصورة، والتي يشرف عليها الكاتب الفنان عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل.

وتتضمن هذه المجموعة أكثر من عشرين قصة تدور في أغلبها حول محورين أساسيين، هما: القرية المصرية، والقضايا العربية.

ولعل المحور الأول والأكثر حضورا في هذه المجموعة - وربما في كل أعمال فريد معوض - هو محور القرية المصرية، وهموم الفلاح المصري.

ونحن نرى الحضور الضاغط لهذا المحور، بدءا من القصة الأولى عن البنت التي تدير الساقية "هي والساقية" وانتهاء بالقصة التي اختارها الكاتب على الغلاف الأخير، وهي قصة "دينار" حيث تعثر الجدة على ورقة مالية خضراء، فتظنها دولارا، ولكنها لخيبة أملها تكتشف أنها مجرد دينار عراقي.

ومرورا بأغلب قصص المجموعة التي تدور حول الهموم الاجتماعية للقرية المصرية والفلاح المصري، والتي تمثلها أفضل تمثيل قصة "المنجل"، والتي تتناول العلاقة الأزلية بين الفلاح الأجير، والمالك صاحب الأرض، حيث يمتص المالك دم الفلاح حتى القطرة الأخيرة.

وإن كان الكاتب لا يقتصر في هذا المحور على تقديم هموم الفلاحين وآلامهم، ولكنه يقدم أيضا المحاولات البائسة واليائسة التي تقوم بها الفلاحون المقهورون للانفلات من قيود الواقعة الثقيلة، وحصاره الرهيب، الذي يضيق عليهم الخناق.

ويتمثل هذا في المحاولات التي يقوم بها بعض أبطال القصص لخلق بعض المسرات الصغيرة، التي قد تخفف عنهم بعض المعاناة، مثل محاولة الفلاح البسيط في قصة "البندر" أن يختلس لحظة من حياته لكي يذهب إلى البندر، للحصول على صورة "ميه" ومحاولة ابنه لتكبير هذه الصورة، لتظل صورة الأب معلقة دوما، وهو يضحك على الحائط المنهار.

ومثل محاولة "الصواف" لمضاجعة زوجته "الكلافة" فوق سطح العمارة - التي يعملان في زريبة صاحبها - حتى يكونا "أعلى من كل الناس" كما في القصة التي تحمل عنوان المجموعة.

ولا يكتفي الكاتب بهذه المحاولات الصغيرة، إذ هناك محاولات أشد يأسا، تتمثل في الهجرة من هذا العالم الخانق، واللجوء إلى العالم الأخر، وقد يتمثل هذا إما بشكل معنوي، كما في محاولة مسعود أن يأخذ العهد على أحد مشايخ الطرق الصوفية، كما في قصة (العهد)، وإما

بشكل مادي، كما في الاحتفالية التي تقيمها إحدى العائلات أثناء قيامهم ببناء مقبرة جديدة كما في قصة "خروج".

أما المحور الثاني في هذه المجموعة، فيتناول فيه الكاتب بعض القضايا العربية الكبرى كما في قصة (صديقي الذي أحبه في حفر الباطن)، التي تعالج حرب الخليج، وقصة (تداعيات)، التي يتناول فيها القضية الفلسطينية.

وهذا المحور ليس بعيدا تماما عن المحور الأول من حيث الرؤية الاجتماعية، وإنما هو توسيع لدائرة القضايا التي يتناولها الكاتب، فبدلا من أن تكون مقيدة بقرية مصرية صغيرة، كما في المحور الأول فهي في هذا المحور تتسع لقريتنا الأم، للوطن العربي كله.

- البناء الفني للمجموعة -

ربما كانت هذه النبذة ضئيلة عن تلك الهموم الكبيرة التي تنوء بحملها هذه المجموعة الصغيرة الحجم الناحلة الأوراق.

ولكن.. فلنحاول أن نلقي نظرة على البناء الفني لقصص المجموعة.

لقد قسم الكاتب مجموعته إلى قسمين، وهو يسمى القسم الثاني "قصص قصيرة جدا"، بينما ترك القسم الأول دون تسمية، على اعتبار أنه يضم القصص القصيرة بشكلها المعروف والمتداول.

وربما أجرى الكاتب هذه القسمة بناء على حجم القصص، ولكننا سنجد -باعتبار الطول والقصر- أن في القسم الأول قصصا قصيرة جدا، تقترب من حيث الحجم من قصص القسم الثاني، كما في قصص (هي والساقية، انسجام، كان وكان.. إلخ)، ولهذا، فنحن لسنا مضطرين لقبول هذه القسمة الضيزى، ونستطيع -بعد القراءة المتأنية-أن نضع تصنيفا فنيا آخر؛ يراعى فيه البناء الفني للقصص، وليس معيار الطول أو القصر وحده.

وبناء على هذا، سوف نجد أن القسم الأكبر من هذه المجموعة سوف يندرج تحت ما يسمى باللوحة القصصية، أو القصة/اللوحة، ويضم أغلب قصص القسم الثاني، وجزءا كبيرا من قصص القسم الأول.

أم القسم الثاني والأصغر -بناء على هذا التقسيم المقترح-فيضم القصص القصيرة بشكلها الفني المعروف.

اللوحة القصصية :

واللوحة القصصية، أو القصة / اللوحة، أو الصورة القصصية؛ هي شكل من أشكال القصة القصيرة؛ يقوم على وصف المكان، أو مشهد، أو تصوير شخص، أو شيء من هذا القبيل.

والفرق بين القصة القصيرة العادية؛ واللوحة القصصية-كما يرى شكري عياد- ينحصر في درامية المكان.. هذه الدرامية التي تعطي القصة القصيرة وحدتها البنائية الكاملة، ولكنه يستدرك قائلا :

"ليس معنى هذا خلو الصورة من الأحداث ، ولكنها أحداث تروى وتوصف، ولا تمثل"[٢].

ويرى بعض النقاد أن اللوحة القصصية نشأت نتيجة للتخفي عن الحبكة الزمانية، وانتقلت إلى نوع من الحبكة المكانية التي جعلت من القصة القصيرة لوحة تبدأ وتنتهي في خط أفقي؛ معتمدة-فقط-على الوصف المحايد، دون ميل إلى التصعيد المعتاد في القصة القصيرة .[٣]

فاللوحة القصصية إذن في جوهرها شكل مكاني يقوم على تجميد الزمن في لحظة مهمة، ثم تعميق هذه اللحظة من خلال الرسم في المكان، وشحن الكلمات بطاقة مضيئة .[٤]

وفريد معوض مغرم بهذا الشكل من أشكال القصة منذ بداياته الأولى .

ولعلي لا أستطيع أن أتناول هنا كل اللوحات القصصية التي قدمها فريد في هذه المجموعة؛ لذا سأتوقف عند لوحتين فقط، هما (دينار -هي والساقية) .

دينار :

ولوحة (دينار) لوحة قصصية صغيرة الحجم قد لا تتعدي نصف الصفحة، لكن الكاتب استطاع من خلالها أن يعبر عن مصيبتنا العراقية أو أقل مصيبتنا العربية كلها أبلغ تعبير .

فهذه اللوحة تربط بين مصائبنا كلها اجتماعية وسياسية بدءا من المستوي المحلي الصغير علي مستوى القرية المصرية وانتهاء بالمستوي القومي الأكبر علي امتداد الوطن العربي كله .

فقد عثرت الجدة العجوز علي ورقة خضراء فصاحت:"درر..درر"،ومجرد معرفة العجوز-وهي الفلاحة الأمية- بأن هناك عملة لها هذه الأهمية، وأن هذه العملة هي الدولار فهذا يدل دلالة أكيدة على مدى التخريب الذي حدث لاقتصادنا الوطني ولحياتنا في ربع القرن الأخير.

وإذا كانت معرفة الجدة العجوز بهذا الدولار اللعين هي مصيبة في حد ذاتها وأن المصيبة الأكبر أن هذه الورقة كانت دينارا عراقيا لا يغني ولا يسمن من جوع .

رغم أن الراوي راح يقلب الدينار وهو يغني وينوح :

"كان للدينار وجهان، وجه لنخيل العراق الذي كان يملأ أرضها خضرة وارتفاعا، ووجه ابن الهيثم الذي امتد شروقه في بلاد الرافدين وما حولها علما"ص٥٥.

مما يعني أن هذين الوجهين للدينار كانا يجب أن يعطياه أهمية أكبر من هذا الدولار اللقيط، فهنا ثراء في الطبيعة، وثراء في الحضارة والتاريخ، هذا غير ما تستدعيه كلمة "دينار" نفسها في الذاكرة التاريخية؛ حيث كان عملة لدولة الخلافة الإسلامية في عصورها

---

[٢] د. شكري عياد: القصة القصيرة في مصر-دراسة في تأصيل فن أدبي، دار المعرفة القاهرة ١٩٧٩،ص ٦٥

[٣] د.خيري دومة: تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨،ض ١١٦-١١٧

[٤] المصدر السابق،ص٢١٣

الزاهرة، حين كانت تمتد عبر القارات الثلاث في العالم القديم قبل أن توجد أمريكا ودولارها بأكثر من ألف عام .

ولكن هذا كله لم يعد يغني شيئا، وتنتهي اللوحة المؤسية :

"أفقت على صوت جدتي، كانت ما زالت شاخصة كنخلة عجوز، قالت: يعني ينفع. ولا أدري بماذا أجيبها) ص ٥٥

ولا نحن أيضا ندري بماذا نجيب هذه الجدة العجوز فيا لخيبتنا !

هي والساقية :

أما لوحة (هي والساقية) فقد كان يمكن لها أن تكون واحدة من أجمل اللوحات في هذه المجموعة، بل ربما واحدة من أجمل اللوحات القصصية في الأدب العربي كله، ولكن هذا لم يحدث لأسباب سوف أبينها حالا .

فهذه اللوحة تتحدث عن بنت تقود البقرتين اللتين تديران الساقية، وقد فرحت البنت بهذه المهمة، مهما كان أحسن من الانحناء في الأرض، هنا تلف وتدور وترى الخلاء واسعا أمامها .

وراحت البنت تلف وتدور وتغني .

هنا بالقطع ليس ثمة أحداث تحدث، فاللوحة كلها تبدأ بدوران البنت وتنتهي بدورانها، دون أن يحدث شيء يعوق هذا الدوران .

فبداية اللوحة هي نفس نهايتها، إذ تبدأ القصة (هي والبقرتان لا تكف عن الدوران)ص٥، وفي السطر قبل الأخير تتكرر نفس العبارة (هي والبقرتان والساقية لا تكف عن الدوران)ص٦.

وقد استطاع الكاتب أن يجعل من هذه اللوحة الثابتة في المكان لوحة متفجرة بالحركة، فإننا لو تتبعنا ألفاظ (دار ، ويدور ، دائرة) لوجدنا أن الجذر (دار) قد تكرر حوالي عشر مسرات، فإذا أضفنا إليه الجذر (لف) نجده قد تكرر ست مرات ، أي أن هذه الألفاظ الدالة على الحركة والدوران، قد وردت حوالي ١٦ مرة مما جعل اللوحة تتفجر بالحركة والحياة .

فهي إذن لوحة قصصية بامتياز -أو كان هذا المفترض والمتوقع- حيث تغيب الحبكة الزمانية لغياب الحدث والصراع، وكان لابد أن تحضر الحبكة المكانية، كان لابد أن يضاء هذا المكان حيث عناصر الطبيعة الأولى بنور سماوي، هنا لابد أن يتوهج الشعر، وتستيقظ الألفاظ من سباتها لتشارك البنت فرحتها بهذا الدوران البهيج، ولعلنا لا ننكر أن الكاتب قد حاول شيئا من هذا في مثل قوله :

(عليها أن تسرق الأغاني لحظة، فتغمر الروح بومضة) ص ٦

ولكننا نجد أن الكاتب قد وقع أسير للبلاغة القديمة ، فنراه يقول :

(مدار الساقية تظلله الأشجار.. لكن الحر يتسلل بعضه من بين الأشجار.. تضرب الشمس رأسها عند نقطة تعرفها في المدار) ص ٥

القصة القصيرة :

ننتقل الآن إلى القصة القصيرة بألف لام التعريف، هذا الشكل الذي ظل – رغم كل التجديدات التي حدثت فيه – مرتبطا بالأسس التي أقيم عليها منذ موباسان وتشيكوف، مرورا بهمنجواي ويوسف إدريس ويحيى الطاهر وأصلان والمخزنجي وغيرهم، إذ يظل الحدث والدراما ووحدة الانطباع هي أهم الأسس البنائية التي يقوم عليها هذا الشكل .

وسوف نناقش هنا أربع قصص من هذه المجموعة، قصتان منهما تنتمي إلى المحور الأول الخاص بالقرية (المنجل – على مدار الساقية)، وقصتان تنتميان إلى المحور الثاني الخاص بالقضايا القومية .

المنجل :

وهي قصة ممتازة شكلا ومضمونا ، فقد نجح الكاتب في العثور على لحظة قصصية متوهجة، هي لحظة القصة القصيرة الأثيرة حيث يتجمع الماضي والحاضر والمستقبل في لحظة واحدة .

والقصة تحكي عن فلاح أجير (عطية) يعمل في حقول أحد الإقطاعيين حيث يقوم بضم القمح، ويبذل الفلاح جهده ليضم أكبر كمية من القمح رغبة منه في الحصول على أكبر أجر، وأثناء عمله يأتي صاحب الأرض، الذي أخذ يقيس، ويقيس ، ثم يفاجئ الفلاح بأنه لم يضم إلا نصف فدان فقط، ثم يمضي دون أن يعطيه أجره .

والقصة مشهدية خالصة ليس فيها تعليق واحد للمؤلف، ولا كلمة خطابية واحدة، أو عبارة زاعقة من هذا النوع من العبارات المألوفة في هذه النوعية من القصص، وقد ساعد على هذا أن القصة محكية بلسان صبي صغير؛ هو ابن (عطية) الذي كان معه في الحقل .

ولنتأمل هذا المشهد بين المالك والأجير :

(رمى أبي المنجل عندما اقترب منه الحاج، وقال وهو يمسح جبهته بظهر كفه :

- الأرض نورت يا عم الحاج .

ولم يرد الحاج، لكنه أمسك بالعصا الطويلة وأرقدها ، ثم أوقفها على رأسها وأرقدها وهو يردد :

- واحد اثنين ثلاثة

ثم انتبه لوجود أبي فأشار إليه بالذهاب إلى عمله ، وعاد يرقد العصا ويوقفها من جديد حتى أدرك آخر المسافة التي أرقد أبي قمحها، ثم عاد ناحية أبي :

- نص فدان يا عطية ؟

شد أبي المنجل من قلب القمح ، ثم شد المنجل من إصبعه

- كل ده نصف فدان !؟

- كنت فاكر إيه يعني ؟!

نزل الدم من إصبع أبي كثيرا ورآه الحاج فنبهه :

- سد طمعك يا عطية) صـ٨

ونحن نرى من خلال هذا المشهد سوء معاملة المالك للفلاح الأجير، بدءا من تجاهله التام له، وعدم رده على تحيته، ثم محاولته التهوين من شأن الإنجاز الذي حققه، حتى يغمطه حقه، ثم بهذه الكلمة الرصاصة التي أطلقها حين رأي الدم ينبثق من إصبعه (سد طمعك يا عطية) .

ويجب أن ننتبه جيدا لهذه الكلمة الرصاصة، أو الكلمة المنجل، فالدم النازف من جسم الفلاح أصبح طمعا في نظر هذا الإقطاعي المستغل .

ثم تنتهي القصة حين حاول الفلاح أن يطالب بأجره .

(والفلو .....

وانحبست السين في فمه حين قال الحاج وهو يعطينا ظهره: بعدين.. بعدين" صـ٩

تنتهي القصة، ولا تنتهي المرارة في حلوقنا، ولعلنا نتساءل.. ترى أي منجل يقصده الكاتب حين عنون القصة بهذا العنوان ؟

هل هو المنجل الذي حصد به عطية القمح ؟ أم هو المنجل الذي سدده المالك في قلب عطية وابنه حين قال (سد طمعك يا عطية) ومضى دون أن يعطيه أجره ؟

على مدار الساقية :

هذه قصة أخرى جميلة؛ لعلها من أجمل القصص التي تحكي عن حرمان المرأة، وعن رغبتها الفطرية في الأمومة، تلك المرأة الفلاحة (بهانة) التي تأتي بالغداء لزوجها الشاذلي في الحقل، حيث كان يشاركه فلاح عجوز هو أبو صالح .

ولنرى كيف تسير حركة القصة، وكيف يتكشف المشهد القصصي شيئا فشيئا بطريقة رائعة .

(سألت بهانة عن القطن وأخباره، قال لها أبو صالح :

- بذرته كانت عال .. سنتك لبن إن شاء الله

أصابتها الكلمة في الصميم... أحست بشيء يتدفق في عروقها، لمحت الجاموسة في البعد ترضع ابنتها) صـ ١٥

ولعلنا نتساءل لماذا أصابتها الكلمة (بذرتها كانت عال) في الصميم ؟

لماذا لمحت في نفس اللحظة الجاموسة التي كانت ترضع ابنتها ؟

هكذا يدفعنا الكاتب الفنان إلى التساؤل، وإلى التوقع، لكننا لن نلبث إلا قليلا حتى نتلقى الإجابة .

(كانت بهانة تقوم بعمل الشاي، وكان الصديقان يتحدثان (ولم تكن تتابع حديثهما، إلى أن قال أبو صالح :

- العيل مفتري وطلباته كتيرة

قلبت بهانة النار، فهاجت والتقطت أذناها الكلمة وسمعت رد زوجها

- فعلا العيل مفتري

ويتجلى عمق النار قويا، وتريد هذا العيل، تريده ولو كان مفتريا ..

عشر سنوات وهي في عصمة الشاذلي الذي أقر الطبيب أنه لن ينجب الآن)صـ١٥

ها هو الموقف يتكشف تماما، وها نحن أصبحنا في قلب المشكلة، إنها امرأة محرومة من الأمومة، ويتجلى عمق النار قويا في قلبها، وها نحن الآن نعرف لماذا أصابتها كلمة (البذرة العال) في الصميم، فالأرض خصبة عفية، ولكن العيب كل العيب في البذور الضعيفة التي تتلقاها الأرض، فلا تهتز ولا تربو ولا تنبت من كل زوج بهيج .

ولكن الموقف ما يلبث أن يتكشف أكثر .

"عادت تدقق النظر في ملامحه (أبو صالح) هذا الضئيل العجوز بوسعه أن يبذر الأرض أولادا"صـ ١٦

وراحت بهانة في مونولوج طويل تقارن بين زوجها وبين أبي صالح :

"زوجها يحب الشاي الثقيل ذا السكر الخفيف، على عكس أبي صالح الذي يحب أن يكون السكر كثيرا، ماذا لو تزيد السكر في كوب الشاي، تعبت كثيرا من الوصفات ونفذتها... ما شعر بهذا ولا ذاك، بمجرد عودته للدار يستسلم للأرض كالميت" صـ ١٦

إنه إذن ليس حرمانا من الأمومة فقط ، ولكنه أيضا وأساسا حرمان من الجنس والارتواء الجنسي، فزوجها رغم كل الوصفات يستسلم للأرض كالميت ، وتستمر المقارنة في داخلها بين زوجها وبين أبي صالح.. حيث تقارن بين صدر أبي صالح الممتلئ بالعظام القوية النافرة، والمغطى بالشعر الأسود، وبين صدر زوجها الأملس .

هل كانت بهانة، في هذه اللحظة، تفكر في خيانة الشاذلي؟ هل كانت تفكر في ضرورة أن تصبح أما ولو بأي طريقة؟

من المؤكد أن هذا قد حدث، ولكنها كانت لحظة.. لحظة واحدة فقط، سرعان ما أفاقت منها، لتنتهي القصة هكذا:

"استقرت عيناها على وجه الشاذلي، انبسط أمامها أرضا واسعة تخللتها الدروب، راحت تعيد اكتشافه، يا له من طيب ودود، يحبها، ويغرس في أرضه وعلى حوافي الترع والمصارف صفصافا وجازورين وقمحا، وحين تكل البهيمة يتعلق بالساقية كالغشيم، ابتسمت وهبت واقفة، وصاحت:

- شاذلي .. يا شاذلي

كان صوتها أكثر رقة من ذي قبل" صـ ١٧

فالشاذلي القادر على أن يغرس في أرضه الصفصاف والجازورين والقمح، سوف يقدر يوما ما أن يغرس الأولاد، والشاذلي الذي يتعلق بالساقية ليروي الأرض، سوف يتمكن بالتأكيد أن يتعلق ببهانة ويروي أرضها العطشى ذات يوم قريب .

- القضايا القومية -

ننتقل الآن إلى بعض القصص التي تناولت القضايا القومية العامة، لنرى كيف عالجها الكاتب .

ورغم أن البعض يفترض وجود فجوة طبيعية بين الموضوعات القومية العامة، وشكل القصة القصيرة، لأن مثل هذه الموضوعات تناقض طبيعة القصة القصيرة الفنية، وتقع في منطقة ذهنية موضوعية يسيطر عليها نطاق المفاهيم العامة، ونظام الإحالات الموضوعية التي لا تنطلق من طبيعة الخبرة الذاتية المرتبطة بزمن محدد وتجربة محددة[*]، إلا أن هذا الافتراض غير صحيح على إطلاقه، فالمسألة هنا تتوقف على قدرة الكاتب نفسه على المزج بين الخاص والعام، فكما أن الكاتب الجيد حين يتناول موضوعا خاصا ومغرقا في الخصوصية فإنه يستطيع أن يعطيه معنى عاما وشديد العمومية ، فكذلك حين يتناول الكاتب موضوعا عاما وقضية عامة فعليه ألا يتناول مفاهيم مجردة، بل عليه أن يقدم موضوعه في قالب تجربة خاصة وشديدة الخصوصية .

ولعلنا أشرنا إلى أن الكاتب قد فعل هذا بشكل شديد البراعة في لوحته القصصية (دينار) .

ونحن هنا سنتناول قصتين هما (صديقي الذي أحبه في حفر الباطن، وتداعيات) .

صديقي الذي أحبه في حفر الباطن :

هذه القصة تتعرض لقضية الحرب الأمريكية العراقية الأولى سنة ١٩٩١، والمسماة بعاصفة الصحراء، والقصة تحكي عن أحد الجنود المصريين الذين لقوا حتفهم في حفر الباطن، وهي محكية على لسان راو واحد هو صديق هذا الجندي، حيث يقدم لقطات متنوعة من حياته منذ طفولته حتى استشهاده .

والقصة مكونة من ستة مقاطع.. في المقطع الأول نجد البطل وهو جالس على مكتبه وكتب القانون مبعثرة على المكتب، وهناك كنبتان مضمومتان يتكوم عليهما لحم إخوته، ونعرف أنه حصل على الليسانس ولا يجد عملا .

وفي المقطع الثاني يتحدث الراوي عن طفولتهما الفقيرة المشتركة، حيث كانا يتبادلان المخلل، ولما ماتت أم البطل أصبح لفتهما واحدا .

وفي المقطع الثالث نعرف أشياء أخرى عن شخصية البطل، منها أنه كان يحفظ صفحات الكتب، وكان لا يحب الرسم، وإن كان قد رسم فجأة لوحة رائعة لأمه المتوفاة .

وفي المقطع الرابع نجده جالسا مع سيدة عجوز يدبج رسالة لابنها في العراق يتحدث فيها عن هارون الرشيد وأبي حنيفة ودجلة والفرات... إلخ

---

[*] د.إبراهيم عبد الله غلوم: القصة القصيرة وقضايا بلورة الهوية القومية، مجلة البيان الكويتية، مايو ١٩٨٩،ص١٦٣

وفي المقطع الخامس نجده مرتديا الزي العسكري، ويحدث صديقه الراوي بأنه ذاهب لحفر الباطن، وليس لوحدته العسكرية بالسلوم.

وفي المقطع الأخير نعرف أن رسائله قد انقطعت، ونتعرف على مقاطع من رسالته الأخيرة.

وقد تكون هذه المقاطع جيدة في ذاتها، فهي مكتوبة فعلا بطريقة ممتازة، ولكن هذا لم يغن شيئا في هذه القصة.. فهذا الحديث عن الطفولة الفقيرة واليتيم والمخلل وكوم اللحم المعلق بالرقبة، وكتب القانون المبعثرة، كل هذا ربما لا يفيد شيئا في هذه القصة بالتحديد، فهذا كله لم يتسبب في إرسال بطل القصة إلى حفر الباطن إلا إذا كان الكاتب يعتمد على المقولة الشائعة من أن الفقراء وحدهم هم الذين يدفعون ثمن الحروب، وهذا صحيح بالفعل، ولكن هذا مفهوم عام قد يصلح للواقع الخارجي، ولكن كان عليه أن يقنعنا به من داخل القصة نفسها (كما فعل يوسف القعيد في روايته الحرب في بر مصر على سبيل المثال)

لقد سافر هذا الجندي إلى حفر الباطن لأنه جندي بالجيش المصري، ككل الجنود الذين ذهبوا إلى هذه الحروب تنفيذا لأوامر القيادة بصرف النظر عن فقرهم أو غناهم أو أوضاعهم الاجتماعية .

المشكلة هنا إذن أنه لم يحدث التلاحم الضروري بين الخاص والعام .

وكل هذه اللقطات كانت ستصبح موظفة في خدمة القصة لو أن هذا الشخص قد تطوع في الجيش نتيجة لفقره وكوم اللحم المعلق في رقبته .

ثمة إشكالية أخرى في هذه القصة، هي أنه رغم تعدد المقاطع إلا أنها مقدمة من وجهة نظر واحدة، هي وجهة نظر الراوي صديق بطل القصة، مما يدفع إلى التساؤل عن جدوى تعدد المقاطع، فالمقاطع حين تستخدم في هذه النوعية من القصص، فإنها تقدم أساسا لنقل وجهات نظر مختلفة للحدث الواحد، ولكن أن يظل شخص واحد يتحدث خلال المقاطع كلها، فلعل هذا من ضمن الأسباب التي أدت إلى فشل القصة في تحقيق غرضها .

تداعيات :

أما في قصة "تداعيات" وهي قصة تدور حول القضية الفلسطينية، فقد استطاع الكاتب ببراعة شديدة أن يربط الخاص بالعام، وأن يصل الماضي بالحاضر، وواقع الأمة العربية بتاريخها .

فالقصة تدور حول مثقف كان يقرأ الجبرتي قبل النوم، وحين نام طاردته الكوابيس المزعجة، فقد حلم أن جماعة من الزبانية يطاردونه ثم يمسكون به ويستجوبونه .

(- أنت متهم بتحريض سليمان الحلبي لقتل كلبير ساري عسكر

- أنا ؟ والله ..
- بل رسمت له الخطة في رواق الأزهر والطريق إلى الأزبكية حيث يقيم الجنرال
- أنا؟!

- لا داعي للإنكار

- أنا لم أفعل شيئا سوى أنني قرأت الجبرتي وتأملت) ص ٤٤- ٤٥

ولأن هذه القصة كلها تتكون من أحلام مزعجة بل كوابيس، فإن بنيتها تماثل بناء الحلم، حيث تنتظم الأحلام بمعزل عن الترتيب المنطقي، فالحلم تركيبة مهوشة وتنتظم صوره وفقا لنزوات الحالمين ورغباتهم ومخاوفهم، فلا بأس إذن أن يختلط سليمان الحلبي بسليمان خاطر.

"جاءني سليمان وكان متهالكا محاولا كبت أنفاسه العالية، قال الآن استرحت.. قتلت ألفا منهم ردا على قتل الساجدين، وعلمت أنه غير اسمه من الحلبي إلى خاطر"ص٤٦

ولا بأس أن نرى الجبرتي مطلا علينا يؤرخ لأحداث الاعتداء على الحرم الإبراهيمي بلغته المعهودة:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. في فجر يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٤ هجرية الموافق ٢٦ فبراير ١٩٩٤ ميلادية، وبينما كان المصلون ساجدين في المحراب في ساحة الحرم الإبراهيمي.. أخذ اليهود يرشونهم بالنار .. وجرى نهر الدم في الجامع ، وتدفق منه إلى الشارع، ولما "انسألوا" عن القاتل، قالوا إنه مجنون"ص ٤٦،٤٧

وهكذا نرى أن الكاتب قد نجح في هذه القصة أن يقيم علاقة جدلية بين الخاص والعام، كما أنه نجح أيضا في إقامة العلاقة بين التاريخ والواقع؛ حيث تنعكس صورة الحاضر على مرايا الماضي بطريقة ترهف إحساسنا بواقعنا المحبط المتردي.

ولعلنا نرى-من خلال العرض السابق-أن قصص المجموعة، وإن تجانست هما وأفقا إلا أنها تتفاوت في مستوى الأداء الفني، فبينما نجد أن هناك قصصا قليلة لم يستطع الكاتب أن يسيطر عليها فجاءت أقرب إلى الفكرة العامة التي لم تتجسد في شكل قصصي كما رأينا في قصة (صديقي الذي أحبه في حفر الباطن) فإننا-من ناحية أخرى-نجد أن أغلب القصص جاءت على مستوى جيد من الأداء الفني كما في قصص (دينار، المنجل، على مدار الساقية) وغيرها من قصص المجموعة.

فريد معوض كاتب لا يزال يعيش في قريته موحولا في طينها، متعاطفا مع أهله وناسه من الفلاحين المقهورين ومتورطا في همومهم ومشاكلهم مشاركا لهم في حلمهم الكبير أن يصبحوا يوما ما-لعله يكون قريبا-أعلى من كل الناس.

بلاغة الصورة وشاعرية الرؤية في "أعلى من كل الناس"

بقلم
صبري قنديل

بعدان جوهريان يكمل كل منهما الآخر وهما يعكسان ملامح شخصية الكاتب "فريد معوض"، البعد الأول وهو الإنساني يؤكد عمق البعد الثاني ألا وهو ولعه بالطفولة لدرجة سيطرت على مساحة كبيرة من اهتماماته الإبداعية فكانت أغلب كتاباته القصصية والروائية المنشورة للأطفال أحد عشر كتابا ما بين قصة ورواية ومسرحية في مقابل ثلاث روايات وثلاث مجموعات قصصية للكبار .

صحيح أن ما من كاتب إلا ويمثل البعد الإنساني له بشكل أو بآخر نوعا من الحضور وتحديد ملامح شخصيته، لكن أن يؤثر الكاتب كتاب صديقه على كتابه من أجل أن يطبع بنفس راضية حتى وإن لم يطبع كتابه فيطبعه بعد ذلك على نفقته الشخصية حاملا الإهداء لصديقه أيضا وصديقنا الكاتب الراحل جمال عساكر، فإن ذلك يكشف عن عمق الأصالة ونقاء النفس عند فريد معوض .

وقد أكدت الجوائز المهمة العديدة التي حصل عليها من مؤسسات ثقافية بمصر والوطن العربي أننا أمام شخصية تشبعت عبر مسارات متعددة تشكلت من خلالها على مجموعة من القيم الإنسانية التي لا يمكن أن تحل محلها أية قيم أو متغيرات مهما كان تأثيرها ، كما أن منابعه الثقافية بكل ما عكسته على هذه الشخصية من حميمية بالبشر والأصدقاء والوطن إنما هي منابع رائقة ، كلما نهلت منها ذائقته الثقافية ازدادت توهجا وتألقا سواء على مستوى العلاقة مع الناس أو على مستوى الإبداع ، حيث يتوهج نصه بتلك النظرات اللماحة التي تلتقط من بين كل هذه الهموم التي تحاصر عالم تلك النماذج البشرية ما يكشف عن مدى عمق جمالية هذا الواقع على الرغم من أن الحلم البسيط يتمسك بكل أسباب الحياة وسط هذا الخضم الهائل من عواصف وأعاصير المعاناة .

إذن لا تنفصل شخصية فريد معوض عن نصه الأدبي ، بل إنها تتوحد مع نماذجه توحدا جعل من أحلامهم وإحباطاتهم وأحزانهم على بساطتها قاسما مشتركا ، حتى ليكاد القارئ يشعر أن القصة خاصة في تلك المجموعة البديعة "أعلى من كل الناس" هي انعكاس صادق لحياة الكاتب وعالمه ، لأنه اقترب من مكونات تلك النماذج التي جسدت أحداث أقاصيصه حتى صارت ذاته صوتهم الذي يطلق أنفاسهم ونبضات قلوبهم في هذا الفضاء المثقل بالمعاناة والهموم ، غير أنهم لا يستسلمون للإحباط بل يواصلون جسارتهم ويتحصنون رغم كل هذا بكبريائهم ويواجهون أزماتهم بأصالتهم .

في أولى قصص المجموعة "هي والساقية" يتحول المشهد المألوف ممثلا في تلك الساقية التي تُدَوِّرها بقرتان لكي تروي الأرض إلى عالم يقرأ الكاتب من خلاله الأحلام، وكيف تمضي بالذات في هذا المناخ والمخاوف والهواجس والآلية التي تفرض حصارها على هؤلاء البسطاء من أصحاب الأرض التي يعملون فيها كأجراء، بل إنه يقيم من خلال هذا العالم جمالية يمتزج فيها التعبير اللغوي بالزمان والمكان واللجوء إلى الغنائية التي تحلق بحلم هؤلاء الفقراء في خيال يمتد بامتداد ذلك الفضاء الذي يحتويه الكثير ممن يعملون في هذه الأرض، وليس

الحلم هنا مجرد استشراف غد تتحقق فيه درجة أعلى من الإنسانية لهؤلاء، لكنه نوع من مقاومة العناء في ظل منظومة شقاء لا يتوقف حتى وإن توقفت الساقية لتبديل البقرتين .

تطارده مقولة مقاول الأنفار تلك الفتاة — إياك أن تقفي لحظة واحدة — فلا تكف عن الدوران مع البقرتين حتى تظل الساقية تمد الأرض بالمياه، وفي هذا الجو الحار الذي تضرب فيه الشمس رأسها تجد فرصتها، حيث رأت في اختيارها دون غيرها كبنت لهذه المهمة نوعا من التحقق الإنساني، فمهما كان أحسن لها من الانحناء في أرض جرداء أو خضراء أو في جنائن الوسية الموحشة، كما أن هذه المهمة رغم صعوبتها حققت لها نوعا من الخصوصية وفتحت أمامها الأفق لتتخيل وتزعم بل وتحلم، وهنا جمال الصياغة التي انتقل بها الكاتب "فريد معوض" من الحركة المرهقة إلى أفق الحلم- هنا بوسعها أن تزعم أنها سقت حقولا لا حصر لها، وهي دائرة لا تكف والرأس يلفّ في دنيا أكثر اتساعا من المدار- هذا المدار تظلله الأشجار، لكن نقطة تعرفها الفتاة تضرب الشمس رأسها من خلالها ورغم ذلك لم تنج من الحسد وتقول زملاؤها وزميلاتها ...إلخ .

ودلالة الشمس في هذه النقطة تتجاوز حدود الوصف المباشر لهذا المشهد، إذ أن الطبقة الفقيرة محاصرة في مناخ يقيدها في كل الأحوال، لذلك فإن الغناء هنا هو البديل عن الصمت الذي يفتح أمامها في هذا الفضاء الشاسع أفكار انتهى بها إلى هموم وأحزان الإنسان في هذا المجتمع ، بينما همومها وأحزانها كفتاة تكتم بين جوانحها انتظارا لفتاها الذي ينقذها وتتحقق معه آدميتها .

أما في قصة "النذر" فيستخدم فريد معوض أسلوب تأكيد اللحظة الراهنة انطلاقا منها للماضي، فالطفلة تحرك بسؤالها لخالها عن جدها- متى يطلع من الصورة يا خال؟ ذكريات إنسانية عبر التراسل الحسي تتفجر فيها المعاناة بالعذوبة الإنسانية، فبعد أن تسلم الجد نقود القطن كان عليه أن يوف بالنذر الأول وهو- شموع لسيدي عبد الله الدكروري والثاني هو حلم في صيغة النذر أن يجلس قدام المصوراتي الذي يمد يده في هذا المربع الأسود، وانظر تشبيه الكاتب لذلك المصور- كأنه يختبر عشر جاموسة في شهرها الأول- وتتحرك ذكريات الابن في استدعاءات جمالية، فقد استقطع من مصروفات طعامه وهو يدرس في المدينة حتى يوفر بعض القروش لكي يكبر الصورة المائية حتى يعلقها فوق الجدار ، وقد تحول النذر عند الأب إلى أمل عند الابن .

لا تزال البنت-سلمى- تتحدث مع خالها وهي تتأمل صورة جدها المعلقة على الجدار وهو يضحك قائلة- جد البنت سلوى لا يضحك على الجدار، بينما جدها- بضحك حتى وهي تبكي، لاحظ هذه القوة اللماحة التي عكستها تجليات الرصد .

الأمل الأكبر قد تحقق باطمئنان الأب إلى ابنه، قد استعد لتحمل المسئولية فقال لزوجته وهو يسلم روحه-الماء في الشراقي والبهائم في السواقي-و (الرز) سنبل في أرضنا والإيجار ندفعه بعد المحصول.. ابنك متنور وأنا خلاص- هكذا عكست القصة قيمة التواصل في عمق معناها، وقد أدرك الكاتب أنها لابد أن تتوقف نهايتها عند ملمح دلالي-مرت أمي بكفها على وجهه، كانت ستصرخ لكنها لمحته على الجدار.. وكان يضحك- .

تمثل الساقية مرتكز الحلم الخصيب الذي يتحول عند الفلاح إلى واقع مبهج في موسم الحصاد، غير أنه لا يعني في قصته "على مدار الساقية" قمة الحلم، لأن الخصب ممتد في معناه إلى إنجاب الأبناء مثلما تنجب الأرض الزروع وتعطي المحاصيل وهو ما تكتمل معه معادلة الحياة، الشاذلي الذي لم يرزق بالأولاد منهمك في جمع القطن مع أبي صالح يدفعه الجوع

للهبوط مسرعا لملاقاة زوجته (بهانة) التي جاءت بالغداء، تسأل عن أخبار القطن فيسارع أبو صالح.-بذرته كانت عال.. سنتك لبن إن شاء الله-، انظر حساسية الكاتب وهو يضفر الدلالتين لكي يصوغ مشهدا جماليا عميقا.. أصابتها الكلمة في الصميم، أحست بشيء يتدفق في عروقها، لمحت الجاموسة في البعد ترضع ابنتها قالت: بركة وشك علينا .

تناهت إلى جملة اقتطعتها من كلام أبي صالح بعد أن تركته مع زوجها يأكلان ومضت تنشغل بأشياء قبل أن تشعل النار لكي تعد لهما الشاي-العيل مفتري وطلباته كثيرة- وقد صادفت هذه الجملة أوجاعها من طول انتظارها لاستكمال حلم الحصاد بإنجابها للأولاد.

وفي مشهد بديع يصوغ الكاتب أيضا استغراق زوجها الشاذلي وأبو صالح في نوم عميق تحت ظل الشجرة وهي تقارن بين زوجها وذلك العجوز الضئيل الذي بوسعه أن يبذر الأرض أولادا، إن صدره يعلو ويهبط يغطيه الشعر الأسود وعروقه نافرة وعظامه كجذور الأشجار بينما الشاذلي لا عظام نافرة، فتنتقل بهانة من هذه المقارنة إلى تأمل عميق مسحت من خلاله بعينها الشجرة العالية بعدما عرفت سر اخضرار الفروع، ثم ينقلها هذا التأمل إلى تأمل آخر للجذور والشعر الغزير وقد أرسلت نظرة استهانة على حقول القطن لكنها في النهاية تدرك أن الشاذلي ليس له دخل بعد مضي هذه السنوات، فيحيلها الشرود الجديد إلى أن عينها استقرت على وجه الشاذلي فرأته أرضا واسعة تخللتها الدروب، وأدركت أنه طيب ودود يحبها ويسعى لكي تكون الأرض من حولها جنة .

وفي قصة (العهد) يقف مسعود في مواجهة مع ذاته في مرآة الشيخ عبد الحميد شيخ الطريقة تكشف عن خطايا النفس، وما ارتكبه مسعود من معاصي كثيرة يحاول أن يتطهر منها خاصة وهو يرى زوجته على حافة الموت، حيث تعاني من مرض السل وأولاده كثر ولا يملك غير قطعة أرض صغيرة، فيسترجع شريط الذنوب الذي يقل نفسيته، لكنه العجز الذي أخرجه عن سياق الطموح الطبيعي في أن يبحث عن حلول لحياته عبر جهوده في إنماء موارده، إلى اللجوء للشيخ عبد الحميد حتى تحول حصوله على العهد إلى حلم للتطهر، كأنه سيكون المخرج مما هو فيه من أزمات طاحنة، وهو إلى جانب ذلك يداعبه التمني في أن يجد عشر جنيهات باعتبار أن الأرض التي تنبت الزرع عليها أن تنبت نقودا، وقبل كل ذلك وبعده ماذا سيفعل في مواجهته مع الشيخ الذي يعرف كل شيء لأن يرى بنور البصيرة، فمضى يعترف بكل ذنوبه أمام نفسه فيزداد خوفه ويسألها هل يمكن أن يفعل معه ما فعله بالصفطي حين خلع فردة الحذاء وظل يضربه ثم طرده قائلا: اخرج يا نجس يا بطال .

في هذه القصة يمزج الكاتب لكي يقيم بناءها الفني كما نلحظ بين المأساة واسترجاع الشريط المحمل بكل هذه الذنوب وسط مناخ يضيق الفقر عليه الخناق لحد الاختناق، وقد حرص ألا تكون هناك جملة تشوبها أية لمحة وعظية أو مباشرة، إذ ترك المشاهد داخل اللقطة تقيم عالما على هذا النحو دون تدخل .

وبين الواقع والحلم مضت أحداث "أعلى من كل الناس" تلك القصة الجميلة، حيث يعيش ذلك-الكلاف-في سفح الحياة يقوم برعاية عجول في زريبة لا يبرحها لا هو ولا زوجته ولا حتى أحلامه-دفقة من أنفاس ديستوفيسكي-، غير أن كل معالم القرية تتغير للأفضل بعد أن سافر الشباب للعمل وعادوا بالمال من أجل بناء البيوت الحديثة وقد أخذت البيوت الطينية في التضاؤل، بينما ما يزال الصواف محاصرا في الزريبة ومستسلم تماما لما هو فيه، بل إن الحاج صاحب العجول زوجه من فكرية الكلافة حتى يظل طموحه متجمدا على هذا النحو في حدود عالمه الانسحاقي .

لكن التغيير الذي يزحف بسرعة على كل معالم القرية يسرب إلى نفسه الشعور بالضيق ويحرض هواجسه لكي يتغير على أي نحو، بينما يقف العجز حائلا ضد تحقيق أي شكل من أشكال التغيير، فإذا به يقفز إلى سطح عمارة الحاج ليرى كل البيوت أقل فيسيطر عليه الإحساس بأنه أعلى من كل الناس، وأن إحساسا إنسانيا مغايرا قد تملكه، ينادي على زوجته فكرية فتلبي النداء مسرعة، تضحك كاشفة عن أسنانها البيضاء حين تشعر بتحرك رغبته فتقول له مندهشة:هنا يا رجل؟!الناس، فيقول لها-هنا في العالي يا بنت.. أعلى من كل الناس، يحيك الكاتب ذلك العناق العاطفي إلى التقاء السحابة الشاردة التي تعلقت بها عينا الصواف مع سحابة أخرى ليجسد جمالية توظيف التواصل في علاقة الإنسان بالطبيعة والعكس، لكن يظل التغيير الذي يحلم به ذلك الفقير هو أن ينتقل ولو في لحظة التحقق الجنسي من هذا المكان الغير آدمي إلى مكان ولو سطح عمارة صاحب العمل، وهو تغيير كان يمكن أن يكون حقيقيا في أعقاب هذا التفجر الجمالي الذي حفلت به القصة لو أنه اتجه إلى مكان مستقل حتى ولو كان مهجورا، المهم أن يكون ذلك دافعا لتحقيق التغير الذي ينتهي إلى بادرة للحلم الخاص والذي يخلص هذا المعدم من أسر هذا العدم.

أما في "قصة تداعيات الحزن والغربة" فتنطلق هذه التداعيات من ذلك الحزن المكتوم الذي يحاصر حلم-زكريا-ذلك القصصي الموهوب حيث يفتح لنفسه من خلال هذا العالم الخانق أفقا يتواصل فيه مع كاتب شهير-يوسف إدريس-يعترف بعظمة موهبته بينما العمدة الذي ضجر لرؤية الكاتب الشهير لا يدرك قيمة ذلك الشاب الموهوب في بلده-وهنا تكون المفارقة-، يردد العمدة في استغراب-زكريا، وسرعان ما يحيل استغرابه إلى أبيه ذلك الرجل الطيب المسالم والذي كان يعمل أجيرا عنده وبها يكشف الكاتب "فريد معوض" عن نظرة السلطة السياسية والاجتماعية للكاتب مادام ينتمي لقاع المجتمع، إذ أن التقييم المعياري عند هذا المستوي السلطوي للمكانة الاجتماعية يعتمد على وضعية العائلة سواء في الماضي أو الحاضر، وعليه يقيم الكاتب هذا المنظور وليرصد عبره تلك المتغيرات التي تتداعي بكل هذه الأحزان، ثم تفضي إلى حالة اغتراب أكثر إيلاما للنفس، وتمتد تداعيات الاغتراب هذه إلى ذلك الحلم الجماعي الذي يضم تلك التي كانت تنظر زوجها العائد من سفر للعمل بعد أن باع مصاغها لكي يحقق لها وللأبناء الحلم البعيد، فإذا به يعود في نعش ليمثل دلالة الفصل بين تلك المرأة المنتظرة وذلك الرجل الذي أحب امرأة هناك ، ولما لم يتفقا على حلّ سواء باستمراره هناك أو عودتها معه إلى مصر وضعت له السم في الطعام، ونظرا لقوة هذه التداعيات لجأ الكاتب لأسطورة المقاطع حتى تعكس تتابعاتها الدلالات الفنية للقص دون أن تفصل أي من هذه المقاطع الإثنتا عشر عن المنظور العام، رغم أن كل منها تأخذ شكل اللوحة القصصية المستقلة.

وتقوم فكرة قصة "انسجام" على صراع نفسي من خلال انسجام مفروض على حموده ذلك المريض داخل مستشفى مع جلبابه الذي أعتاد أن يغسله في البئر لينظفه من الطين ثم يلبسه، وبين ذلك الثوب الذي لابد وأن يرتديه بالمستشفى على اعتباره أنه الزي الموحد الذي يعكس مدى الالتزام بنظام المستشفى، هنا يقيم الكاتب معادلة لحالة الصراع التي تنتهي بقهر حمودة على ارتداء الثوب بينه وبين عباد الشمس، حيث يبتسم له وهو يتبع الشمس في انسجام ليكون في مواجهتها، وبين رضوخه في النهاية وانكفاء قرص العباد إلى الأرض لتبدو الأوراق الصغيرة فوقه كغطاء.

وحالة الصراع تبدو فيما بين نظام نمطي باهت لا تنسجم معه النفس البشرية بسهولة وبين ذات لم تتعود الانسجام إلا مع الطبيعة، رغم كل هذا الفقر والمرض، فكان من الطبيعي

أن تتمرد تلك الذات حتى تجد نفسها في مواجهة قهر يخيرها بين الطرد من المستشفى والخضوع لذلك الانسجام القهري حتى يتم علاجه، والمستشفى هنا دال على فضاء يحتوي حياة معتلة ومريضة وكل مرضاها موضوعون في خيار ليس له بديل، من أجل أن يظلوا على قيد الحياة ألا وهو الخضوع القسري لما يفرض وإلا الضياع.

تنتقل حركة أحداث قصته "رأيته يتعثر" من حدود التلازم مع المكان إلى حدث ساخر مرتبط بامتداد الشارع، حيث ترتبط دلالته بحالة تضخم الذات التي بدا عليها ذلك الناقد والذي مضى يوزع رذاذ فمه على المارة وهو يلقي أوهامه في الهواء، كأنه صار وهو الذي حطم شاعرا أجنبيا لم يحضره، لأنه درس كل ما أنتجه شعراء الكرة الأرضية.

هناك شرائح من البشر تنتمي لكل نشاطات الحياة تمتلئ صدورهم بأوهام لا تنتهي بأنهم مفاتيح الكون، وأن الحياة بغيابهم تتوقف مع أن أغلبهم يمارسون نشاطات بالغة التواضع، لكن حينما تتحول أوهامهم ومزاعمهم إلى أمراض فلا يكفون عن مطاردة المارة في الشوارع وفي وسائل المواصلات وأماكن العمل ولا يتخلون عن تصديق أنفسهم رغم نظرات الدهشة التي تتحول في كثير من الأحيان إلى سخرية لاذعة ، مثلما فعل فريد معوض في هذه القصة التي انتهت إلى ما ينتهي إليه الواقع غالبا من أن هذه الضخامة المتوهمة لابد وأن تنتهي خاصة إذا دفعت بصاحبها لأن يدوس على أشياء جوهرية ويفرط في أساسيات لا تدركها المزاعم والأوهام.

وفي قصة "تداعيات" تختلف الفكرة نسبيا عن فكرة قصة "تداعيات الحزن والغربة" إذ تأخذ منحى وطنيا ما بين التاريخي والسياسي يتجلى معه الكاتب بين وعيه المتوهج بمنظور تحمل تفاصيله الاجتماعية والتاريخية داخل السياق القصصي البعد الفني لكل هذه التفاصيل التي أقامت بنية القصة على هذا النحو.

انطلقت التداعيات من حالة أرق ثقيلة لذلك المهموم بقضايا وطنه ويلازمه حلم ممتد متحررة من أية قيود داخلية أو خارجية خاصة احتلال ولو جزء من الأرض والاعتداء على سيادته، يزداد الأرق حتى طرد النوم من عينيه في حين أن الكل يغط في نوم عميق حتى تحول هذا إلى كابوس، ثم تفجرت منه تداعيات الأخيلة والاسترجاعات التاريخية حتى أن الكاتب ربط في إنتاج الدلالة بين سليمان الحلبي وسليمان خاطر والجبرتي-وهيكل سليمان- فسليمان خاطر ذلك الفتى الذي تفجرت مشاعره حين استفزه بعض أبناء الصهاينة هو الامتداد الطبيعي لتركيب شعب وأمة يتألق تاريخها بالكفاح والنضال، لهذا كان هاجس الدهشة يلازم هذا البطل المؤرق بينما المشهد الكابوس يكشف عن أن الكل يغط في نوم عميق، فهل صحيح أن الكل يغطون في نوم عميق؟ لا أظن، وإلا لما كان هذا التاريخ المتوهج بالرموز والأبطال وقادة التحرر والتنوير، يزداد الكابوس ثقلا على صدره عبر مساجلة تكشف عن أن هؤلاء الصهاينة وصلوا في غرورهم إلى ما لا يمكن الصمت حياله ، فالكابوس يمتد إلى أرض فلسطين ويزداد ضغطهم على عنقه ، فيتذكر أول مرة قابل فيها سليمان محتملا أن كانت في مدينة الخليل.

ورغم أن ابتسامة سليمان تقاوم هذه الكابوسية إلا أنها أبانت عن حزن الفجر-مهددون حتى في السجود-وذلك انعكاس لمذبحة الحرم الإبراهيمي الذي دفن فيه سيدنا إسحق وسيدنا يعقوب حيث أطلق الصهاينة النار على جموع المصلين.

تتبدى صورة سليمان الذي امتد من-الحلبي-إلى-خاطر-ليتولي الرد على هذه المذبحة بقتله لعدد من هؤلاء المغرورين وفي ذات الوقت تفضح القصة وسيلة الشجب والإدانة التي

لازمت ولا تزال تلازم التصريحات والردود الهزيلة للسلطة السياسية في العالم العربي حتى أنها لم تعد قادرة على فعل شيء سواها فزاد ذلة الصهاينة استهتارا وتطاولا على هذه الأمة، فهم يسألون البطل.. كيف تقتل مواطنين عرايا كانوا يغازلون الشمس؟ وهو ويسألهم: من انتم بالضبط؟ فيردون-نحن قاتلوك الذين سيبيدونك من فوق الأرض وهنا هيكلنا سوف يبقى انظر إليه.

وهنا يضع الكاتب (فريد معوض) تقاطعا جميلا لنداء بعد أن غلف الظلام كل شيء، فينادي البطل على أبناء الأمة يا محمود.. يا حسن.. يا بشير.. يا عدنان.. ولديه يقين أنه بوسعنا أن نحاصرهم أكثر وأن يجبرهم على الفرار إذا استيقظا، هذا اليقين استمر مع امتداد النزعة البطولية من سليمان الحلبي إلى سليمان خاطر، وذاكرة التاريخ الحية التي تحملها سيرة الجبرتي بما يعني أن الذاكرة لا يمكن أن تتوارى أو تتوقف قدرتها على كشف الحقائق مهما كانت قدرة الأوهام والمزاعم، فقد خلق الله الشمس ضمن معجزاته الكبيرة على الأرض لتكون دلالة ساطعة على الحقيقة، وفاضحة كذلك لكل المحاولات العبثية لطمسها.

ولا يزال اليقين هو حصن البقاء والدافع لتأكيده في مواجهة كل الاحتياطات والأحزان والانهيارات، وهذا ما حملته في هذا السياق الفني الجمالي الممتد نهاية هذه القصة... (كانت شمس الصباح مكسورة تحت نافذتي، وكانت الحركة قد بدأت تدب في الشارع. اختلط خوار البقر بكلام الناس بنشرة الأخبار، بينما امتدت الشمس إلى مقعد خشبي فكشفت عن كتاب الجبرتي الذي كنت قد قرأته قبل النوم).

أقصوصتان تحمل كل منهما بعدا يقترب مباشرة من الواقع، الأولى وهي (القطار) وتتوقف في معالجتها عند حالة مركبة من التدهور التي اختفى معها أو تراجع الاهتمام المباشر نظرا للزيادة السكانية المتواصلة، تنطلق القصة من مجرد حوار خيالي لكنه أقرب إلى الواقع في حدوثه إذ يسأل أحدهم صديقه في ظل زمام القطار-ماذا لو وقع أحدهم-هل يتوقف القطار...؟؟؟

يسخف الكاتب السؤال ويصف رد الصديق بـ-لا-بأنه أكثر سخافة باعتبار أن ذلك وفقا لمسئوليات المجتمع نحو نفسه عليه حماية صيغته الجماعية التي تبدأ من حماية الفرد، غير أن الإحساس الذي ترسخ في نفسية الصديق في زحام قطار الحياة هو الذي أجاب بـ لا نتيجة لهذا التدني العام في الاهتمام بالفرد كما سبقت الإشارة.

ثم تعكس الحالة الدرامية داخل القطار حقيقة الصورة، فمن يهرب من المحصل لأنه بدون تذكرة ومنهم من يدوس بقوة على أقدام الضعفاء من الركاب، ومنهم من يبحث لنفسه عن مكان في موضع الحقائب وبائع المشروبات الذي تمرس على اختراق هذا الزحام، كذلك فعل الصول مع المرأة، وقد كشف امتزاج الصورة الدرامية بالوعي عن أن التزايد السكاني الضخم هو مجرد إعداد مثلما نقول في تشبيهنا الشعبي-العدد في الليمون-وملمح الوعي يبدو أكثر وضوحا في قراءة الصديق لسطور شعر (أحمد حجازي) الذي رأى ولأنها تعبر عن الأزمة أنها إنجاز الشاعر الوحيد-سلة ليمون تحت شعاع الشمس المسنون/والولد ينادي عشرون بقرش.. بالقرش الواحد عشرون-وها هو القطار يمضي غير عابئ بأي شيء رغم خطورة ما تطرحه القصة خاصة وأن كل فرد مضى الآن يبحث عن حلول ذاتية حتى ولو كان على حساب المجتمع.

أما الأقصوصة الثانية فهي (انقلاب) إذ يستكمل الكاتب بها ما عكسته قصة "القطار" من خلال تأمل ذلك التحول سحق الفقراء في زحفه على كل توجهات الواقع، هذا الانقلاب فتح المجال للفهلوة فمضى أيضا كل واحد ينتهج لنفسه ما يراه محققا لطموحاته التي لا تنتهي، ولو بالقفز على المشروعية أحيانا وآليات النظام الاجتماعي أحيانا أخرى، خميس بطل الأقصوصة صاحب الوجه الأبيض والنظارة السميكة يبدو أن كاتب قصة تخلى عن هوايته نتيجة لتزايد الضغوط الاجتماعية من حوله، حتى أن الكاتب فريد معوض لخص حالته في تشبيه مزج فيه بين المادي والمعنوي-أنفه المائل كبيته-.

وقد انتهت الحال بخميس من موزع للخبز إلى بائع للصحف وبيته يتضاءل أمام الارتفاع المستمر للبيوت من حوله، ثم انظر انعكاس الدلالة لهذا التحول الصارخ (شارعهم اسمه الحرية وليس "الحلوف"-وقد تلاقت ابتسامة خميس مع من اشترت منه مجلة الشبكة، بينما هربت هذه الابتسامة من سائله الذي ينتمي إلى طبقته، وبينما كان يطالبه بباقي نقوده من ثمن الجريدة وهو خمسة قروش يستدير عنه متأففا ثم يعود ليعطيه مشط كبريت."

تقدم المجموعة القصصية (أعلى من كل الناس) قراءة فنية صادقة لمجتمع مصر الحقيقي من داخله ، إذ تقدم صورته على وجهها الإنساني والاجتماعي في سياق بلاغي يجمع ما بين حساسية التناول والمعاجلة دون أن يفتعل الكاتب (فريد معوض) ما يراه، بل إنه توحد مع نبض هذا المجتمع، ليس لأنه منه فقط بل لأنه كاتب موهوب جعل قصته صوتا مجلجلا يعكس عبر عزويتها ومصداقيتها بلاغة الصورة وشاعرية الرؤية.

المواويل تموت على شفاه البسطاء

بقلم

زينب العسال

"المرسي والأرض" الرواية الأولى للأديب الشاب فريد محمد معوض، عند الانتهاء من قراءتها نجد أنفسنا أمام عمل أدبي يضيف الكثير ويقف متميزا بين الأعمال التي تناولت القرية.

ففريد معوض يقدم لنا قرية التسعينات بكل معاناتها ومشكلاتها. يرصد ويحلل التحولات التي عصفت بالقرية خلال العشرين عاما الماضية، وهو في سبيل الوصول لذلك يشرح العلاقات السائدة في القرية، يرصد النتائج ويربطها بالأسباب. يحلل أفعال الشخصيات وعلاقتها فيما بينها من جهة ثم علاقتها بالقرية ككيان حيّ من جهة أخرى، سواء أكان هذا الكيان يتمثل في الأرض أو البيوت والحيوانات أو الأشياء المتعلقة بحياة الريفي الهم الأول والأخير، الذي يؤرق فريد معوض هو القرية وهذا الهمّ كان الدافع الأول لكتابة روايته "المرسي والأرض"، أرقته فكرة الرحيل بعيدا عن أرض الأجداد يطرح الفنان تساؤله :

كيف يترك الفلاح المنقوع في طين الأرض وهي إرث الآباء والأجداد، تمثل هذا الإرث في الرواية فأس المرسي خفاجة التي أوصى بها عبد النبي أن يعاملها بالحسنى ولا يتركها أبدا فهي شاهدة على حياة المرسي وآبائه، وتظل الرواية تتبع وقائع حياة بطلها في رتابه ولكن عبد النبي يرفض في الطريق الذي رسمه له الأب خفاجة.. فهو يعرف القراءة والكتابة والجدير به أن يعمل في وظيفة حكومية ويترك العمل في أرض الآخرين، ومع أن الكثير من أقرانه سافروا للخارج، فإن عبد النبي ظل متمسكا بالأرض، رفض السفر أو حتى الحديث عنه عندما حاولت زوجته إقناعه بذلك. نحن أمام نموذج جديد للفلاح المصري، يرفض العمل في الأرض ولكنه لا يريد أن يرحل بعيدا عنها حيث اقتناء الأدوات الكهربائية والدولارات والبيت ذي الطوابق المتعددة المبني بالطوب الأحمر والأعمدة الأسمنتية.

عبد النبي الرجل البسيط صاحب الأحلام الصغيرة يواجه قوى أكبر منه تتحالف ضده.. تمنعه من تحقيق أحلامه، تتمثل في بكرية "زوجته" وشوكت وسمير الناغي، هذه القوى تملك المال والعلم وتمارس الخديعة والخيانة.. وكلها تحاول أن تسلب عبد النبي ما بقى له من قوة. عندما ترك الأرض وتسلم الوظيفة، أسلمت بكرية زوجته أجمل نساء القرية، نفسها طواعية لابن مخدومتها، الذي يلحّ على استمرار العلاقة يستخدم في ذلك كل الأساليب والوسائل. في البداية كان الندم يلازم بكرية ولكن مع استمرار السقوط والخيانة يتلاشى هذا الشعور، فتتبدل مشاعرها تجاه عبد النبي، تراه ضعيفا غير قادر على تلبية احتياجاتها نتيجة لمرضه الدائم وذبوله، إنها لم تكن له فقد أحبت سمير الناغي وهو نموذج للإنسان الذي اختار الانتهازية واستغلال النفوذ في الوصول إلى مآربه "صار لي بيت من حر مالي، وعندي التليفزيون والفيديو والثلاجة عندي أشياء كثيرة تعمل بالكهرباء ويوم تنقطع الكهرباء من الكفر عندي الماكينة التي تجعل بيتي ظهرا ولست في حاجة لأحد ولا أريد أن أعطي لأحد. نحن في زمن القيامة كل واحد يقول نفسي نفسي".

غاص فريد معوض في نفوس شخصيات روايته، عرّاها، تعاطف مع بعضها، وكان محايدا تجاه البعض الآخر. نجح في اقتناص لحظات الضعف البشري.. وتشابكت الأحداث، فأصبح

الهم العام هما خاصا لشخص بعينه.. تبدأ الرواية في تصوير حركة الأفراد في تعاملهم اليومي، ثم تنتقل إلى القرية كلها، يخرج الأفراد من القرية.. منهم من يعود ومعه المال الذي يغير به وجه القرية، ومنهم من لا يأتي ومنهم من يأتي في صندوق فيحاول إيقاظ ضمير القرية. ان من هجر أرضه يعود إليها تضمه وتحنو عليه ويصبح جزءا منها.

يرى فريد معوض في رواية المرسي والأرض أن ترك الأرض خيانة، تؤرق ضمائر مرتكبيها. فالمرسي خفاجة يأتي لولده في المنام يوصيه بالفأس تارة، ويلومه تارة أخرى، يفزعه مرة ثالثة، وترى بكرية تشقق السقف والجدران. وتزحف الحشرات على أعمدة السرير. فلا تزال الأرض تمثل لعبد النبي وبكرية الكثير. والحنين يشدهما نحوها في حين ينتفي هذا الحنين بالنسبة لشوكت وسمير الناغي وباقي أهل القرية.

ولا يمكن إغفال ما كتبه فريد معوض.. "سعيد بكوني فلاح له قلم ومنجل" أو الكلمات التي أنهى بها روايته "سيأتي من جيلي من يزرع الأرض ويصون العرض وسيأتي قوم لا يبرحون الأرض" ولأن القضية هي الشغل الشاغل لفريد فقد أنذر وحاول أن يتلمس مواطن الخير وقد أوقعه ذلك في المباشرة في بعض الأحيان فظهر صوت الأديب.

ولي ملاحظة أخيرة، عندما يستخدم الفنان تكتيك المونولوج الداخلي.. نجد عبارة قالت بكرية لبكرية.. أو عبد النبي لعبد النبي.. وهو هنا يفترض في المتلقي عدم الفهم ولا يمكن إغفال إجادة فريد معوض تضفير التراث فقد جعله نابعا من لحظة شعورية تدفقت على ألسنة الشخصيات، فالتراث كامن فيهم يتجلى في أمثالهم وحكمهم و أغانيهم، حفر التراث في وجدان شخصيات الرواية سككا ومسالك لا يمكن تجاهلها، أفصح عن أفراحهم وعبّر عن أحزانهم.. إن التراث يجري على الألسنة في بساطة فهو معادل للحياة وتدفقها في عروقهم "مات الموال في حلق عبد النبي وبدأ وجهه أكثر شحوبا يود لو يبكي، شلت أعضاؤه عن الحركة".

إن رواية المرسي والأرض تشي بأننا أمام أديب يمتلك الصوت المميز والمتميز بين أبناء جيله ويعي جيدا أن الكلمة سلاح لا يستهان به.

فكرة القهر في مجموعة "عود ثقاب"

بقلم

د. مصطفى عبد الغني

"يا من صنعتني بيديك المشققتين"

من الإهداء.

"الفلاح في هذه البلاد البائسة ليس بمالك للأرض، وليس بمقدوره أن يكون ذلك، إنه ليس بصاحب للأرض، ولكن قن لها منذ ولادته، يعمل لحساب تلك العصبة.. (و).. يعاني من كل عوامل القهر.

ج. دي. شابرول

فريد معوض، أحد أبناء هذه القرية البائسة في ريف مصر- سامول، المحلة الكبرى- ومن هنا، فإن النموذج الذي يقدمه لنا يختزل تاريخ الإنسان المصري التعس وحاضره، وواقع البيئة التي نشأ فيها واستشهد من أجلها.

ولأن الواقع الرديء يصنع نماذجه، فإن هذه النماذج، تتحول-عبر الإطار التعبيري- إلى رمز حاد لا يلبث أن يتحول-بدوره- إلى (كود) يدل على (حالة) معينة تعمل فيها كل ضروب القهر التي يمكن أن تلخص عالم هذا الإنسان/ الفلاح المصري وتؤكده.

ومن هنا، فإن مراجعة قصص هذه المجموعة ترينا أن فكرة (القهر) تكاد تكون هي الفكرة، الوحيدة، عند التمهل عندها أن تتفرع بنا أنساق متوالية تصنع النسق الرئيسي وتدل عليه، وهي أنساق يمكن ترتيبها على النحو التالي:

١. قهر الأب/ الرمز
٢. أثر التغيير وضراوته
٣. تمزق عالم الطفولة
٤. اختناق الضوء وتجدده

فلنهبط إلى عناصر (الخطاب) القصصي قبل أن نعاود التعرف عليها مرة أخرى عبر القيم التعبيرية فيه.

(٢)

إن القهر، والقهر الاجتماعي بوجه خاص، يهيمن على قصص المجموعة حيث لم يستطع القاص أن يغفل للحظة قسوة الواقع على أسرته التي تهاوى فيها الأب تحت "أيدي القادرين" (وهل يستطيع أن ينسى؟!). ومن هنا، يمثل الأب الشخصية التي تلقي بظلها القاتم على بقية الشخصيات.

إن الأب يهيمن بهذه الشخصية على حركة الشخصيات الأخرى عبر الحدث والأسلوب والتراكيب، ففي حين نجده أبا بائسا إلى حد اضطراره مغادرة البيت إلى وحل الطريق وهول

العاصفة في قصته (أوعية كانت فارغة)، فإن هذا الأب/ الرمز يتحول إلى أبي صالح الذي يموت كمدا وحزنا وهو ينتظر سراب الماء الذي يأتي ولا يأتي أبدا، اللهم إلا في (ساعة تغرب الشمس) حيث يدفع حياته البائسة على أمل الانتظار الثقيل، ثم شخصية أم بيومي التي هي (مقطوعة من شجرة)، وهي الفتاة التي ينتظر الجميع منها صرخة الألم في ليلة الزفاف مما يعكس مناخا كابوسيا رهيبا يلف أهل القرية بعاداتهم المفروضة وأحلامهم المتخثرة (في انتظار الصرخة)، وتتوالى الشخصيات المقهورة الضائعة في قصص متوالية (التوت) و (أمينة).. إلى غير ذلك .

وتتحدد الشخصيات أكثر في قصة تقترب من شكلها الفني من هذه المنطقة المحرمة التي تقع بين القصة القصيرة والقصة الطويلة فيما يعرف بالنوفيللا Novella وهي قصة (عزاء أهل القرية)، فإحدى الشخصيات الرئيسية الثرية الجشعة في القصة (الحاج) يسيطر بظلمه وتعاليه على عشرات من شخصيات القرية المصرية البائسة، وهذه السيطرة تستمر أثناء حياته بالقدر الذي تستمر بعد رحيله، إنها شخصيات الواقع المصري التعس التي تظل في غيبوبة الخوف والقهر حتى بعد الرحيل .

وتظل شخصية (الأب) مسيطرة دائما، فبعد أن تتوارى قليلا يعود تأثيرها المباشر، المقهور، مرة أخرى في القصص الأخيرة من المجموعة، وهي القصص التي تتحدث عن سقوط الأب تحت ظروف العمل الظالم المتواصل حتى يعمل يوميا في (مجعولية) رجلين رغم الفقر والحاجة والمرض، ورغم أنه يسقط في النهاية يكون مضطرا أن يشهد بيع السرير البالي القديم ليسد رمقه، فيبيع ما تبقى من ماض أثير لقاء حاضر شرير (أعمدة الزمن القديم)..

وتتوالى هذه الشخصيات البائسة في سمت الأب لاسيما حين يتحالف مع العدو الداخلي العدو الخارجي، فيقع الإنسان المصري بين فكي المطرقة والسندان .

وكأن الواقع الأزلي ليس كافيا لإكمال دائرة القهر اليومي على هذا الإنسان، إذ ينجم عن تحالف القوى الخارجية مع القوى الداخلية في السبعينات، وما تبعه من انكسار البنية الاقتصادية والاجتماعية.. ينجم عنه زيادة حدة القهر على الإنسان المصري .

ويكون معنى الانفتاح، بالنسبة لهذا الإنسان، هو انفتاح طاقة العذاب اليومي إلى أقصاها، لتهدر البقية الباقية من إصراره على الصمود ..

إن حقيبة هذا الحلاق التقليدي في القرية النائية لا تصمد طويلا أمام (صالون) الحلاق"الانفتاحي"، فإذا (كارم ابن أم كارم) يتخبط أكثر في هذه المساحة الضئيلة التي تترك له ليعيش وتعيش معه أسرته .

فتتجسد أكثر معاني القهر اليومي المستمر، والذي يتراكم ليصنع ركاما هائلا على القلوب والعيون، حتى إذا لم يجد الإنسان إزاء ذلك كله غير الأحلام ليهرب فيها، ولا تلبث- حتى- الأحلام أن تتحول إلى كوابيس تخرج بصاحبها من غيبوبة الحلم إلى منطق الواقع المرور .

إنه الواقع الذي لا يترك شيئا في هذا الزمن إلا ويحاول القضاء عليه بأسنان حادة، لم يسلم منها أولئك الصبية الذي لا يعرفون الرماديات بعد .

وهو ما يصل بنا إلى أبشع صور القهر: اغتيال الأطفال..

ومن يراجع الإنتاج القصصي في الحقبة الأخيرة لا يخطئ صور الطفولة الممزقة، ومع أن صور التعبير عن هذه الطفولة تتعدد بين الاسترجاع اللاشعوري وإمتياح الوعي، واستعادة عالم "يوتوبي" مفتقد، فإن هذا التعبير عند فريد معوض يقترن بانكسار عالم البراءة الأولى .

وقد راح القاص يمتاح، من كمون الذاكرة الأولى، وهي ذاكرة ما زالت قريبة منه إلى حد بعيد (فريد معوض من مواليد ١٩٦١) أبشع صور القهر لدى الطفل (الذي ما زال) حتى اليوم..

ورغم أن القاص يتنقل كثيرا بين الضمائر (المتكلم/ الغائب) فإن "نجوى الذات" تتسلل إلى أغلب قصصه بما يؤكد صدق القاص/ الطفل ومرارته .

إن سمت الراوي / المتخفي هي التي توالي (الحكي) الدال في قصته الأولى، فإذن بنا أمام أكثر من صورة للقهر، قهر الأب، قهر الابن، قهر البراءة، قهر (حقوق الإنسان)، وهو قهر نراه في عيون الطفل الذي ينهار الأب أمامه مرة أمام قوى اجتماعية (تبدو طبيعية في قسوة المناخ) في أول قصص المجموعة، وهو قهر نراه في عيون الطفل الذي يضرب الأب أمامه دون أن يبدي أي رد فعل أمام ابنه من صاحب "التوت" البائع الذي يطوي صورة أخرى مركبة من الفقر والحاجة، وهو قهر نراه-كذلك-في عيون الطفل الذي لا يقدر على شراء (كراسة)-عنوان قصة- فإذا به ينتظر الهوان من أيدي المدرس وعيون زملاء الدراسة والآخرين .

إنه القهر الذي يفضّ كرامة الطفل في سنيّه الأولى ..

على أن أكثر الملاحظات لفتا للنظر هنا، إن شخصيات هذه المجموعة هنا وإن عانت من القهر وتحطمت تحت مطرقته العنيفة فإنها لم تسقط قط .

التهشيم : ربما، الهزيمة: لا .

إن القهر الذي يصنع ليلا قاتما في عالم فريد معوض، لابد وأن يصحبه دائما شريط رفيع من الضوء الفضي .

وهذا الوعي بطبيعة دور العمل الفني يظل يدين القاص هنا سواء من أول قصة في المجموعة حتى آخرها..

إن القصة الأولى التي أشرنا لها كثيرا، تزخر بضروب القهر، لكنها، أيضا، لا تفتقد مثل هذا النذر الواعي بضرورة التغيير، إن الطفل الذي يقبض على دفة (الحكي)، يفصل لنا ضروب الظلم والعنت والإرهاق في حين يفضل هذا القاص/ الطفل، أن يذهب بعيدا في نهاية العمل الفني وهو يدندن أغنية طفل صغير، لا تخلو من دلالة (.. واروح لستي.. تعمل لي فطيرة، ملو الحصيرة).. وهو ما نجده بشكل أكثر وعيا في القصة الأخيرة-التي أخذت منها المجموعة عنوانها "عود ثقاب"-فهذه القصة تحمل عنوانا دالا (لاحظ العنوان)، إن الضوء الخافت الضعيف يعلو قليلا ليظهر كراكيب الحجرة والبؤس البادي في العيون والقلوب، لكن هذه الزبالة الواهنة لا تلبث أن تخفت في حين راح ساكنو الغرفة البائسة ينامون وهم يحلمون (..بعود ثقاب) ..

القهر يحمل الاسم الخفي لهذه المجموعة، لكنه يحمل معه (في حركة صراع جدلي دائم) بواعث الخلاص، فكما لابد أن يشرق خيط فضي في الليل القاتم، كذلك، لابد أن يأتي الفجر لئلا يظل القهر هو القدر المسلط أبدا فوق أعناق الجميع..

إنها ذاكرة الإنسان المصري التي تحمل القهر وتحمل معه بواعث الخلاص منه وهو ما نراه أكثر عبر الإطار التعبيري .

والمجموعة لا تخلو من أدوات فنية تزيد من عمق الدلالة وتؤكدها.. ربما كان من أهم هذه الأدوات الرمز الفني.. فيلاحظ أن الرمز الفني هنا بسيط، غير مركب، فمنذ بداية القصة نحن أمام شخصية بسيطة (الأب أو الطفل أو الجار.. إلخ)، ونتتبع هذه الملامح عبر إطارها التركيبي، حتى إذا ما وصلنا إلى نهاية المجموعة، نكون قد انتهينا إلى نمط من الشخصيات لا يعبر الإطار البسيط إلى الإطار المركب، لكنه يتحول إلى ما يشبه (النمط) المثالي للشخصية التي تسيطر على بقية الشخصيات في العمل الفني كله .

ونستطيع أن نرصد لهذا التعبير-على سبيل المثال عند شخصية الأب بوجه خاص، ففي حين تحمل منذ البداية الرمز المجسد/ الأب، تتحول عبر تحولاتها إلى شخصية الأب/ رب العائلة، الأب/ رب القرية، الأب/ رب المدينة، الأب/ رب الوطن.. إلى غير ذلك .

ويرتبط بدلالة الرمز دلالة العنوانات التي يستخدمها القاص، إذ يسعى إلى تعميق دور كل عنوان بهدف التعبير بشكل مباشر عن الفضاء النفسي، وهو ما يؤثر كثيرا في التأثير Effect الذي يهدف إليه .

هذا التأثير تعثر عليه في عنوان مثل (أوعية كانت فارغة) أو (أمينة) أو (عود ثقاب).. إلى غير ذلك، إذ يؤكد التشابه والتناظر هنا عمق المعنى الذي أضفاه القاص على (الخطاب) القصصي، وهو ما يبدو أكثر وضوحا في هذا العنوان (المحوري)-عود ثقاب-حين يتحول عود الثقاب إلى تراكيب لدلالات أكثر عمقا ونفاذا ..

ويمكن أن يضاف إلى ها ويؤكده (إهداء) المجموعة، إذ أن كلمات مثل (يا من علمتني كيف أمسك القلم .. ولم تمسك في حياتك غير الفأس .. إلخ) .

وهو ما يؤكد انفتاح الفضاء الفني إلى أقصاه .

ورغم أن المجموعة لا تخلو من عيوب التجربة الأولى، فلتخلط الصورة الأدبية Sketch بالقصة القصيرة Short Story مثل قصة: إياب) أو تتأرجح في بعض الأحيان بين القصة القصيرة والنوفيللا Noveele مثل قصة: عزاء أهل القرية) مما يشير إلى تداخل الأشكال الأدبية لدى القاص، رغم هذا، فإن أكثر ما يعيب العمل الفني هنا يظل تابعا للمضمون نابعا من ثقافة القاص ووعيه السياسي، فأكثر ما يلاحظ في هذا أن صاحب المجموعة على وعي سياسي شامل يستطيع به تفسير آلية الحركة السياسية والاجتماعية في مجتمعه، وهذا الوعي نعثر عليه في حالات قليلة جدا حين يرسم نماذجه الاجتماعية بفطرية شديدة وكأنه ينحت من سلم المجتمع، لكنه حين يجاوز هذه العاطفية، ويحاول إدماج عناصر العمل الفني في الأيديولوجي يصاب بنقص في الوعي الإدراكي .

غير أنه يغفر له أن هذه المجموعة هي الأولى بالنسبة إليه، كما أن تكوينه الفني يمضي في طريق التبلور بما يمنح اقتناعا مؤداه، إن العمل القادم له سيكون أكثر الأعمال (في حينه) نضجا وفعالية .

وعلى أية حال، فإنه يحمد لفريد معوض تصويره البارع لهذه النماذج الاجتماعية من البيئة التي تصنع القهر وتنميه على مدى قرون طويلة .

وهي نماذج ما زال زمننا العربي يرفدنا بها حتى اليوم داخل النص وخارجه .

القابضون على جمر الإبداع

بقلم

د. مصطفى رجب

مجموعة فريد معوض "أعلى من كل الناس" منشورة ضمن سلسلة "إبداع الحرية" عام ٢٠٠٢، وهي تقع في اثنتين وستين صفحة، وتضم ستا وعشرين قصة قصيرة.

ولفريد معوض غير هذه المجموعة، مجموعات قصصية أخرى معروفة وروايات نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهيئة قصور الثقافة وغيرهما، وهو واحد من الذين كتبوا للأطفال فأبدعوا، وقدموا نتاجا متميزا معروفا للذين يقومون بتدريس مقررات أدب الأطفال في الجامعات، وقد كنت وما أزال واحدا منهم. من الذين يعرفون قيمة إبداعات هذا الكاتب الجميل.

أما هذه المجموعة "أعلى من كل الناس" فهي لا تختلف عما قرأناه من قبل لفريد معوض، ففيها يتجلى تفرده، وتميزه من أقرانه، فهو يحتفي كثيرا بحياة القرية، ويلتقط قضاياه وموضوعات قصصه بعناية فائقة من بين عذابات الفلاحين، ومفردات حياتهم التعيسة.

ولو قدر لأعمال هذا الأديب الشاب ان تترجم إلى لغات أخرى لأرهقت مترجميها أيما إرهاق، لأن الموروث الثقافي الريفي الذي يتسلل من بين سطور فريد معوض سيتطلب عبئا إضافيا على المترجم إذ سوف يضطر إلى صنع كثير من الهوامش ليضئ الطريق أمام القارئ الأجنبي، بتلك الدلالات الثرية التي تختبئ بين ثنايا فريد معوض وصوره وتعبيراته.

بل إنني لا أبالغ إذا قلت إن كثيرا من الصور التي تحتشد في قصص هذه المجموعة قد تستغلق على القاهريين ممن لم يعرفوا الريف، أو غير القاهريين من أبناء كبريات المدن المصرية.

ففي قصته (صديقي الذي أحبه.. في حفر الباطن) وهي في رأيي أفضل قصص المجموعة- يقول فريد معوض :

"نتسابق على الذي يعلو ويكشف في الغيط عن خط فول زرعه فلاح على حدود أرضه".

وهذه صورة فتيين يركضان في الحقول، ليرى أحدهما، قبل زميله، شيئا نادرا ما يفعله الفلاحون، حين يزرعون على حدود حقولهم نباتا مخالفا للمحصول المزروع في الحقل، كالفول أو الترمس أو ماشابههما وهم يسمون هذا الفاصل "خطاً" وقد استخدمها كاتبنا كما يستخدمها الفلاحون.

وفي القصة نفسها نرى صورة تقليدية معروفة في بيوت فقراء الفلاحين حين يستخدمون "الكنب" لاستقبال ضيوفهم وجه النهار، فإذا جاءهم الليل، ضموا كنبتين-أو دكتين خشبيتين-ليتكون من ضمهم ما يقوم مقام السرير، فينام عليه الصغار أو الكبار، وهذه بدورها صورة بيئية لا يتخيلها إلا من عايشها في بيوت الفلاحين.

إن لكاتبنا فريد معوض، مقدرة أخرى لا مفر من الإشارة إليها، وأعنى بها مقدرته على استكناه دخائل النفوس الخيرة والشريرة، والمعقدة والبسيطة، على السواء، وهذه المقدرة

تجعله يختار أبطاله بعناية كبيرة، ويختار لهم من الأحداث ما يرسم لنا به صورتهم دون تدخل منه. وهذه مهارة يندر أن تتوفر لشبابنا الذين يكتبون القصة القصيرة .

ففي قصته الرائعة "رايته يتعثر" يقدم لنا بطله إنسانا بليد الإحساس، ثقيل الظل، انتهازيا، مرتزقا، أهوج، قلقا، لكنه لا يصفه بأي صفة من تلك الصفات السيئة التي ذكرتها، ولكنه يترك الحوار انسيابيا تلقائيا يدور بينه وبين بطل قصته دورانا طبيعيا، فتتكشف من الحوار، ومن تنامي الأحداث، شخصية ذلك البطل كما وصفتها .

ولعل في هذه القصة، يضع يده، برفق ورحمة، على تلك القلوب الواجفة التي تتردد نبضاتها في أجساد كثير من الانتهازيين الذين يملأون حياتنا الأدبية والصحفية وهجا وضجيجا وهم كالطبل الأجوف الذي يزعج الناس بقره العنيف وصوته المنكر .

وفي قصته "طابع"-من المجموعة التي جعلها قسما ثانيا في مجموعته أسماء "قصص قصيرة جدا" نرى موظف بريد بسيطا يمثل النفس الإنسانية السمحة، حين تتنازعها صراعات تفسد عليها لحظاتها اليومية الرتيبة، وتدق بعنف على أبواب سذاجتها وفطرتها الخيرة، فرجل البريد البسيط، يؤدي عمله اليومي في صورة ميكانيكية لا حياة فيها ولا إحساس فهو يدق بخاتم البريد على الطوابق الملصقة على الأظرف حتى لا يعاد استعمالها، وحتى تضمن الحكومة أن إيرادها دخل الخزانة العامة مرة واحدة ولم يعد بمقدور أحد أن يعيد استخدامها .

وفيما هو يؤدي هذا العمل اليدوي الآلي الروتيني، تقع عيناه على ظرف يعلوه طابع دمغة، لا طابع بريد، وهو موجه من أم فقيرة بقريته إلى ابن لها مغترب في دولة خليجية، وهنا تتوقف يد موظف البريد التي تعمل "آليا"-إن جاز التعبير-ويبدأ عقله (أو بالأدق: قلبه) في ممارسة التفكير/ (أو بالأدق: الإحساس) فجأة، ويغوص بنا فريد معوض في أعماق هذا الصراع العنيف بين الواجب من جهة والإنسانية من جهة أخرى، هذا الصراع الذي شجر في نفسية هذا الرجل البسيط حينما عرف اسم مرسلة الخطاب، فدارت في رأسه صورة المرأة وظروف معيشتها ولم يقل لنا "فريد معوض" أكثر من قوله: "وتجلت أمامه الورقتان-طابع الدمغة وطابع البريد-كلاهما يلتصق .

وهذا وذلك بخمسين "يقصد بخمسين قرشا"

وثمنها تأخذه الحكومة

والسيدة لم تضرب باللائحة "أي لم تتعمد مخالفة التعليمات"

ترى: هل يترك الرسالة تطير نحو وجهتها؟

وهل تخسر الحكومة إن طارت؟

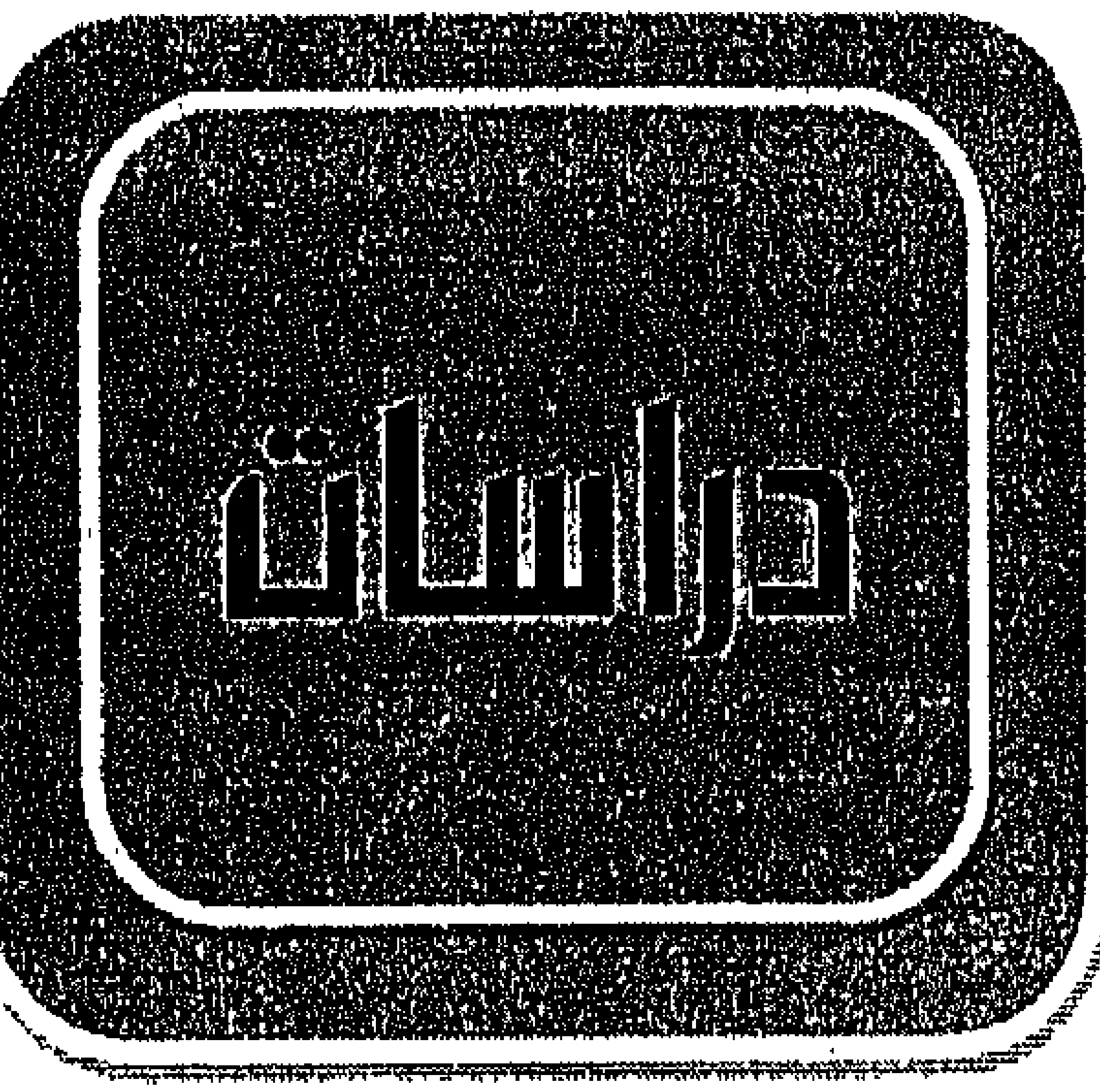
ترى هل يلقى بها في المهملات؟

ولم يطل تفكير "نجيب" كثيرا. رفع يده بالخاتم ونزل فوق طابع الدمغة فطمسه واختلطت الموارد بالأحبار، وظل الخاتم هو الواضح الجلي.. !!

هذا المقطع من القصة، أبلغ وأروع من عشرات القصائد الشعرية التي تصور لنا حالة من حالات الصراع النفسي، حالة تكون فيها النفس بين أمرين أحلاهما مر: اتباع تعليمات الحكومة الجوفاء الغليظة القاسية الجافية، أم اللجوء إلى ما يسميه الفقهاء: (اختيار أهون

الشرين) وارتكاب أخف الضررين، حار بطل القصة "نجيب" لحظات، ولكن حيرته لم تطل، فاستخرج من باطن الشخصية المصرية جرثومية "الفهلوة" وعركها فأنتجت له بسرعة فائقة فتوى عصرية كفتاوى الفضائيات العجلي، فتوى أراحت ضميره: فطمس ملامح طابع التمغة الذي يسمى كما هو مكتوب عليه (تنمية موارد) واكتفى فريد معوض بكلمة "الموارد" ودمغها بالخاتم والأحبار حتى انطمست فلم يبق من الطابع إلا "الشرشرة" وما لا دلاله فيه على أصله. ولكنه أقنع نفسه-بفتواه-أن ثمنه هو نفس ثمن طابع البريد، ومن ثم فالحكومة لن تخسر شيئا .

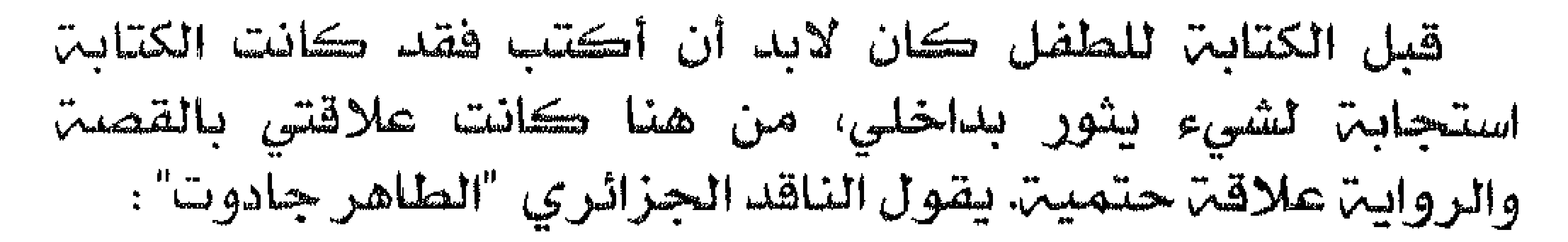
إن التكثيف هو الملمح الأبرز في هذه الأقصوصة، وفي بقية أخواتها "عفريت-دنيا-القطار-انفلات-قلنا ولم نقل-انصراف) ولو أنني أطلق للقلم العنان، لطال الكلام، ولكن لضيق المقام والوقت أحكاما قاسية. وإبداعات فريد معوض جديرة بالكثيرة والكثير من الجهد والوقت والعناء. لأنها نتجت عن معاناة حقيقة نجحت في تحقيق ما استهدفه من إحكام بناء الأقصوصة فنيا بحيث لا تطغى السردية على الحوار، ولا يستأثر الحوار بتغليف الأحداث، ففريد معوض حكاء مدهش، وقاص مبهر، وكاتب منتم ملتزم بقضايا بيئته وبفنيات عمله في آن واحد .


دراسات


في
أدب الطفل

كتابة حتى الموت

حول تجربتي في الكتابة للطفل



قبل الكتابة للطفل كان لابد أن أكتب فقد كانت الكتابة استجابة لشيء يثور بداخلي، من هنا كانت علاقتي بالقصة والرواية علاقة حتمية. يقول الناقد الجزائري "الطاهر جادوت" :

ستموت إن كتبت

وستموت إن لم تكتب

فاكتب ومت

ربما كانت الكتابة على إطلاقها هي المضاد للموت للسكون، للجمود حين يسور، لم أتصور نفسي وأنا صغير سوى أن أكون كاتبا، لم يكن المقصود في تلك السن الصغيرة هو اتجاهي لكتابة الشعر والقصص فحسب، المهم أن يكون لي قلم وقرطاس، وفسحة من الوقت بداخلي أن أمتلك وسيلة الكتابة ويصبح لي دور أمارسه ويعني أيضا أن يكون لي ذاتا مختلفة ووضعا مختلفا، وكان يمكن أن أجد ذاتي في شيء آخر لكن قلبي كان قد حسم الاختيار كنت أرى في القلم والورقة قربا ليس له مثيل، لأنه لا يمكن أن يتحقق ما تنشده وأنت ما زلت طفلا ، فقد كنت أبحث عما أنشده بنفسي كتبت الشعر، ودبجت موضوعات أعجبت الكثيرين ومارست الصحافة من خلال مجلة حائط لم أكن أطمع في دعم المدرسة لي ، فقط يعلق الأستاذ مجلتي على حائط المدرسة ، وأن يتوقف أمامها القراء لبضع دقائق، وعندما يتحقق ذلك تراني حلقت في سماء قريتي كعصفور سعيد .

وأذكر أنني راقبت أستاذا يقرأ مجلتي المعلقة على الحائط .

كنت أتابعه من مكمني وقلبي يرقص فرحا .

لست هنا بصدد الحديث عن المؤثرات والمنابع التي استقيت منها والتي تتعدد بدءا من مشاهد الحياة في قسوتها وبهجتها ، وفي تلك النشأة الدينية التي ساهمت في صقل لغتي من خلال القراءات الدينية ، وفي ذلك الفلكلور الذي كان يملأ قرانا قبل الغزو التليفزيوني الكبير، ولست بصدد الحديث عن القراءات التي أتيحت لي في ذلك الوقت.. لكني وبعد أن كتبت مجموعة قصصية ورواية لقيتا قبولا وفرحا .

اكتشفت أن الكتابة كانت بالنسبة لي هي الحياة وأن التراجع هو الموت .

لكن كيف كانت البداية في الكتابة للطفل، وأعود لأؤكد استهلالي أن البداية كانت أيضا مع الكتابة ، إذ أنني ولا أدري لماذا كنت في مجموعتي الأولى للكبار أفتش عن مكمن الطفولة محاولا اصطياد اللحظات البكر التي كانت تضع الصغار في مواجهة الحياة.. وتضع الكبار في موقف الطفولة وكأن الحياة تريد أن تزاوج بين الاثنين.. فمرة تكون القصة من منظور الطفل فهو الراوي لها يرصدها ويسردها في حياد تام وكأن الأمر لا يعنيه غير أنه يحاول أن يصل إلى هدفه الذي يراه كبيرا ومرة تكون بضمير الغائب ويبدو الصغار أمام قسوة الحياة وفي ظل غياب البطل أو العائل مساكين لا سند لهم .

هل كان الطفل يتربص بي منذ شرعت للكتابة هل كان ينتظرني تحت ظلال الصفصاف بعد أن أنتهي من قصصي ورواياتي التي أكتبها للكبار.. صحيح أن ما أشير إليه من قصص الكبار كان عن الطفل وليس موجها للطفل ، أيا كان فالطفل مشارك في الحالتين وقسوة الحياة تعمّ الطرفين عندما يسود الحال لكن لماذا لا يكون الاتجاه للطفل مباشرة.. بعيدا عن وصاية الكبار وعن وسيط يكون معنيا في التصرف وعليه قد يعبث بروح الطفل..

وظل السؤال دون إجابة وربما كان سيجد الإجابة فيما بعد وربما افتقدها للأبد..

غير أن إعلانا عن مسابقة سوزان مبارك في أدب الطفل طالعته عام ١٩٨٨ كان له مفعول السحر.. مطلوب مجموعة قصصية للطفل.. الطريف أنه كان لدى قصة بعنوان "كراسة" كتبتها للكبار ونشرت في جريدة المساء عام ٨٦ ونشرت بعد ذلك في مجلة إبداع عام ٩٠.. رأيت أنها تصلح للطفل وجعلتها نواة للمجموعة قبل أن أشرع في كتابة مجموعة من إثنى عشرة قصة تحت عنوان "ودائما تشرق الشمس" وتفوز المجموعة بالجائزة.. وتكون قصة "كراسة" واحدة من تلك المجموعة .

ونشرت مجلات الطفل قصة "كراسة" كما نشرتها مجلات الكبار.. وأذكر رأى كاتبنا الرائد يعقوب الشاروني عام ١٩٨٩ عندما وصف هذه القصة بأنها من أروع ما قرأ.. توقفت كثيرا عند دلالة ذلك.. فالبعض يتصور أن الكتابة للطفل تمثل مستوى أقل في الكتابة وهذه قصة حققت تواصلا مع الكبار والصغار ورأيت أيضا فيما بعد عندما تناقشت مع الأستاذ يعقوب الشاروني بأن كيانه يتجه للطرفين الصغار والكبار عند الكتابة ، لتكون القصة للجميع.. طبعا هناك إحساس يمتلكه كاتب الطفل لتنظيم المسألة فليس كل ما نقدمه للكبار يمكن أن نقدمه لأطفالنا.. هذا الإحساس هو بمثابة المصفاة التي تحجز الشوائب التي قد تضر الطفل .

كان رأى الأستاذ يعقوب الشاروني في "كراسة" قد أكد يقيني في أن القصة يجب أن تتوافر عناصرها وشروطها سواء كانت للكبار أو للأطفال وأكد هذا الدرس احتفاء مجلات الطفل بكراسة.. وخلال احتكاكي بالأطفال عبر مواسم القراءة للجميع لمست قدرة الطفل على مجاراة خيال الكاتب وكذلك رغبته في التجديد ، فالطفل أسرع من الكبار في ضيقه من الجمل التقريرية ، ويضيق من المقدمات الغير مهمة وينفر من الحشو الزائد ، وكما يقول النفري تتسع رؤيته كلما ضاقت العبارة وجاءت تلغرافية مكثفة ومركزة ، وأكثر ما لمسته من معايشتي أن أنظر بعينه وأسمع بأذنه وأغني معه حين يغني ، وأصفق له إن أحسن ، وأترك له حرية أن يرفض النص أيا كان ثقتي فيه.. وزادت سعادتي باحتفاء المجلات بسائر القصص التي كتبتها للطفل ، وهنا كانت البداية مع.. ماجد وسمير.. ثم مجلات مصرية وعربية كثيرة ثم جوائز مصرية وعربية كان لها طعم الفرح .

وآليت على نفسي أن أمضي في خطين متوازيين الكتابة للكبار والكتابة للأطفال.

فلم يكن من السهل أن أتخلى عن مشروعي القصصي والروائي .

وإذا كانت الحياة الأدبية قد استقبلت قصصي ورواياتي ، باحتفاء شديد فمن الأمانة أن أقرر أن فرصتي بما أنجزت للأطفال كان يفوق فرحتي بما حصلت عليه من تقدير النقاد لأدبي الموجه للكبار، وآلمني أن يكون هناك نقاد في أدب الطفل وحاولت مع أصدقاء لي ممارسة هذا الدور لإنصاف أدب الأطفال الذي ينظرون إليه بنصف عين وحتى لا أستطرد في هذه

المشكلة الكبيرة.. أعود إلى الكتابة للطفل، لقد سألت نفسي ما فائدة أن تكتب للطفل وليس لك مشروعك الخاص، وهذا درس تعلمته في الكتابة للكبار، فقد كنت أبحث في أرض القرية المصرية عن خصوصيتي وأفتش فيها عما يقربني إلى طبيعة الشخصية المصرية الصلبة إيمانا مني بأن من يكتب عما يعرفه سيقطع شوطا كبيرا في طريق النجاح.. صحيح أنني كتبت عن الأعظمية بالعراق لكنها كانت نتاج معايشة لمدة أربع سنوات وكان هناك في الرواية دائما خط ساخن بين القرية والأعظمية فلماذا لا يكون هذا دأبي مع الصغار.. كتبت مجموعة من القصص التي تحتفي بطفل القرية وتمنحه البطولة وتضع على عاتقه المسئولية في مواصلة طموحه.. حاولت أن أرد إليه بعضا من حقوقه عن الطريق النهايات السعيدة التي كانت تقربه من هدفه أو النهايات المحفزة التي تجعله يفكر فيما يدو حوله، ووافقته في تطلعه إلى الألفية الثالثة وعصر الصورة والمعلومات لكني حرصت على أن أذكره بتراث أجداده من الفلاحين وحرصهم على القيم الأصيلة التي كانت تعضد بنيان الأسرة فكتبت بابا بعنوان "زمان في قريتي" نشرته في مجلة قطر الندى على مدى خمسين عددا منها.. يمكن من خلالها أن تتعرف على القرية في أبهى تجلياتها فقد حرصت على تقديم العادة الجميلة فقط.. تصورت أن معرفة الطفل بها وهو يواجه عصرا جديدا يمثل أهمية كبيرة، كما كتبت له الرواية مثل "سيناء تغني" و "التبة المسحورة" التي حولتها بنفسي إلى دراما تليفزيونية وبعدها كتبت أكثر من مسلسل.. أحد هذه المسلسلات بعنوان "تعالوا نكتب قصة" أعرف الطفل بفن القصة من خلال موقف مؤثر بأن يبقى بذاكرته.. وحرصت على التنويع فيما أطرح من موضوعات تقوم على مصارحة الطفل بواقعه عن طريق الإبداع قدمت إليه ما يعمق انتماءها بوطنه وأمته وكتبت مجموعة من القصص عن أطفال الحجارة.. وكتبت سلسلة قصص لأطفال ما قبل المدرسة وكانت لي تجربة ناجحة مع الدكتور محمد متولي قنديل رئيس قسم الطفولة بكلية التربية جامعة طنطا أثمر التعاون بيننا عن تقديم عمل علمي متميز حيث قام باستثمار قصصي بشكل متميز تعطي لقسم لطفولة تفوقا غير مسبوق في استعانته بكتاب الطفل، ونشرت دار الحدائق اللبنانية سلسلة كتب لي تتجه إلى هذا السن.. وهي الدار التي تصدر مجلة أحمد والتي أعمل مندوبا لها وأراني الآن بعد أن أصدرت خمسة عشرة كتابا قد عرفت طريقي وأتجه بفرح لا حدود له نحو تحقيق مشروعي، وهل هناك مشروع أجمل من أن تقدم للطفل قبسا من روحك، وتوشح صدره بوردة حب، هذا هو ما أفكر فيه دوما وهذا هو ما أطرحه مع الأصدقاء في صالون أدبي أقيمه بمنزلي منذ ما يقرب من عشرين عاما، نناقش القصص والروايات والقصائد ونركب البساط السحري ونسافر مع الطفل أينما يود أن يذهب .

أعتقد أننا نمارس هذا الدور في مكتبة سوزان مبارك حيث استطاع الكاتب الرائد يعقوب الشاروني أن يجمعنا من جديد، وأقول من جديد لأنه كان يجمعنا من خلال المركز القومي لثقافة الطفل إبّان رئاسته له في أوائل التسعينات من القرن الماضي.. وكما خرجنا أيامها بثمار حلوة خرجنا من لقاءاتنا في مكتبة سوزان مبارك بمجموعة رائعة من الدراسات للدكتور صلاح ترك أن يواكب بها مجموعة من إصدارات كتاب الطفل، وها نحن نواصل خطواتنا ونلاحق فراشات الإبداع حين تحط على أشجار الروح .

فريد محمد معوض

"في صحبة عمتي" دراسة في فن كتابة قصة الأطفال

عند كاتب الأطفال الكبير فريد محمد معوض

بقلم

أ . يعقوب الشاروني

اتذكّر دائمًا يوم تعرّفت بالأديب الكبير فريد محمد معوض، كاتبًا مُتميزًا، فاز بجائزة سوزان مُبارك للتأليف للأطفال عام ١٩٨٩، في أول دورة للجائزة الكبرى .

اتذكّر سعادتى الحقيقية وأنا أعلن فضل الجائزة فى اكتشاف أروع كنوز مصر، أصحاب المواهب اللامعة، طليعة الثقافة والفن والأدب .

وحقّق فريد أكثر كثيرًا من تطلعاتنا، فقدّم أعماله الأدبية المتوالية المتميّزة للصغار والكبار، في الكتاب وعلى شاشة التليفزيون، وأكدَت جوائز المرتبة الأولى المتعدّدة التي حصل عليها، روعة الكنز الذي يختزنه، والذي كشَفَ لنا عن بعضه فى عُمره القصير في سنواته، الطويل الخصب في العطاء والإبداع .

" الأرض تعلمنا "

فى يوم السبت ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٥، نشرنا في بابنا بالأهرام "الف حكاية وحكاية"، نقول :

عندما تتعانق الكلمة الصادرة عن أديب مُبدع موهوب مثل فريد محمد معوض مع رسوم فنان تشكيلى قدير مثل محمد قطب، لابد أن يفوز الكتاب بجائزة أفضل ناشر، فليس كتاب الطفل الناجح إلا نص مُتميّز ورسوم مُبهرة، وهو ما حدث مع كتاب "الأرض تعلمنا" الصادر في سلسلة "قطر الندى" الذي فاز بجائزة سوزان مُبارك لأدب الأطفال هذا العام .

إن فريد معوض عاشق لأرض مصر يستلهم منها إبداعاته ويبث لها آهاته، فهو مُتشبّث بأن يعيش في قريته "ساموں" بجوار المحلة الكبرى، لا يبتعد عنها، يستلهم من حياة الناس على أرضها أبدع أعماله الأدبية من قصة ومسرح ورواية للأطفال والكبار، ويفوز عنها بعشرات الجوائز الأدبية مصرية وعربية.

كتب رواية "المرسي والأرض" التي تحوّلت إلى مُسلسل تليفزيوني ناجح، وأبدع كتابه "الأرض تعلمنا" الفائز بالجائزة ليُصوّر علاقة الإنسان بالأرض ويُعلن حُبّه لها وتمسّكه بها، وذلك في خمس قصص تفيض كلها بحب الأرض، تغنى لها وتعزف لحن الحياة، وتحبّب الطفل في بيئة يحرص عليها نقيّة لتعطيه دائمًا من خيرها .

المجموعة القصصية " في صحبة عمتي "

وفى المجموعة القصصية "في صحبة عمتي"، الصادرة عام ٢٠٠٧، في سلسلة "قطر الندى" عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، يُقدّم لنا كاتبنا المتميّز مجموعة قصص تفيض بالعذوبة والرقّة، تدور أحداثها في قرية مصرية، حيث تلتقط عين المبدع لحظات مُنتزعة من عالم الزراعة والمحصول والحصاد، لكنها -في الحقيقة- تُقدّم الخبرة والحكمة والروح الإنسانية .

- ففي قصة "البحث عن قطعة فخار"، وهى أول قصص المجموعة، نلتقي بالأنفار يجمعون القطن. وهنا يستخدم الكاتب تشبيهاً يؤكد عُمق مُعايشته لحياة الحقل فيقول: "ابتسمت لوزات القطن، وبانت أسنانها البيضاء، وصارت الأرض وكأنها مفروشة بسجادة بيضاء".

وهكذا، في عبارات قليلة، نقل إلى القارئ جو البهجة والتفاؤل بمحصول القطن، عندما استخدم تعبير "ابتسمت"، ولما كان الابتسام تظهر معه عادة أسنان المبتسم، فقد أكد تشبيه الابتسام عندما يظهر القطن من اللوزة، بظهور الأسنان البيضاء مع الابتسام.

ولا يكتفي المؤلّف بهذا، بل يؤكّد غزارة المحصول بلونه الأبيض، فيقول إن الأرض اصبحت وكأنها "مفروشة بسجادة بيضاء".

وهكذا فإنه بدلاً من الاسترسال في أوصاف واقعية مُباشرة، جاءت هذه التشبيهات الموحية لتنقل إلى القارئ الصورة والمعنى، بل والحالة النفسية أيضـاً، يؤكدها استمتاع البطل وأخوه بالإصغاء إلى أغانى الحصاد.

وعندما يشتد الحر يقول الأب :"وجب الظهر.. ووجب الغداء". وهكذا جاءت الدعوة إلى صلاة الظهر، والدعوة أيضـاً إلى تناول طعام الغداء، بهذا النداء الذي تنسجم إيقاعاته مع الجمع بين أداء الفرض الديني، والسعادة بجني المحصول.

كانت السطور السابقة تمهيداً لفكرة القصة الرئيسية، عندما تنتشر على الأرض - مع الظهر - الأطباق والأوعية.

هنا لم يقل الكاتب أنها ملآنة بالطعام الطازج، بل قال: "وعلا البُخار من كل وعاء"، وهكذا يلجأ الكاتب، بلفظ "البُخار"، إلى استحضار جو الطعام الساخن، كما سبق واستحضر أمامنا جو البهجة بالحصاد.

وفي عبارة قصيرة، ينقل إلينا الكاتب الخطأ الذى ارتكبه الأخ واخوه فيقول: "كُنت أنا وأخي أول الجالسين".

ولاحظ الأب ما ارتكبه الأبناء، فلم يقل شيئـاً، بل اكتفى في حكمة بليغة بأن: "غمز أبى بعينيه "..." ففهمنا أنه يقول: أعطوا الفـرصة للأنفار الذين تعبوا".

ومع أنهما انكمشا قليـلاً أمـام تنبيـه الأب الخفي، فسُرعـان ما عـاودا مُزاحمة الضيوف.

وفى اليوم التالي، كان لابد أن يستدعيهما الأب عندما أسرعا يجلسان إلى الطعام، ويطلب منهما: "أريد قطعة فخار مثقوبة.. ولا تتأخـرا فالغداء في انتظاركما". ونفهم من هذا أنه يؤخـرهما قصداً عن تناول الطعام بهذا الذي طلبه منهما.

وطبعًا، لم يجد الأخوان أية قطع فخار مثقوبة. وعندما حاولا استخدام مسمار لثقب قطعة فخار، تحطمت، وعادا ليخبرا الأب بأنهما لم يجدا ما طلبه منهما.

قال الأب: "ومن اين تأتينا قطعة فخار مثقوبة في هذا المكان، مثلما لا يوجد أولاد طيّبون يزاحمون الضيوف في الطعام".

وهكذا بغير تأنيب أو عقاب، بل في هدوء وحكمة، ادرك الأبناء: "معنى أن يكون للطعام آداب..... ونتذكر كثيراً هذا الدرس عندما نرى أي قطعة فخار".

وهكذا تُقدّم لنا القصة، من خلال الصور الحيّة التي رسمتها الكلمات، كثيراً مما تتميّز به الحياة في الريف، كما تُقدّم، بطريق غير مُباشر، بعض ما يحرص أهل الريف على أن يتذكره الصغار من سلوك .

- قصة "العودة إلى الصفصاف" -

-وفي قصة "العودة إلى الصفصاف" نلتقي بصوت اليمامة التي تسكن في قلب شجرة الصفصاف وتُنادى: ككم ككم .. وحّدوا ربكم" ..

يختلف أهل القرية لأنهم لا يفهمون كلام الطيور.. لعلّها تقول: "وحّدوا ربكم" أو "احرثوا زرعكم" أو "أحبوا بعضكم" أو "احذروا عدوّكم" .

وفى كل الحالات يحبونها كُلّهم، وكما تقول القصة: "لأننا نُحب أن نوحّد ربّنا، ونحرث أرضنا، ونُحب بعضنا، ونُحذر عدوّنا " .

هذه صورة يعرفها كل من عاش فى قُرى مصر .

عندئذ يرصد الكاتب ما بدأ يحدث من تحوّل في القرية المصرية، فيقول: "أهمل الناس الشجر، تركوها عطشى، وتركوا الحشرات تعترى جذورها" .

هنا بكت اليمامة، وفهم الكاتب أنها تقول: "ككم ككم .. اسقوا زرعكم".. لكن أهل القرية لم يسمعوا !!

وعندما تصر اليمامة على تكرار النداء، حرّموا عليها أن تقترب من الصفصافة، لكنّها في الليل، وكلما اشتد الظلام، تتسلل وتُنادى النائمين: "ككم ككم.. طال رقادكم" .

هل هو صوت يمامة في قرية، أم أنه نداء كاتب يعيش قضايا بلده وعصره، ويهتف طالبًا من الناس أن يستيقظوا؟!

- قصة " في صحبة عمتي " :

- وإذا انتقلنا إلى قصة"في صحبة عمتي"، نجدنا في غُرفة مُظلمة، كتمت أنفاسها مباني بيت الجار التي تتقدّمها.. مُظلمة ليلا ونهاراً.. منعت عنها مبانى الجار حتى أصوات الشارع .

ويجتمع أفراد الأسرة حول مَجمَرَةُ النار، ثم يأتي طرق خفيف على الباب.. إنه زوج العمّة: "يصحبه صوت نعشقه، قد تكون لأغنية أو نشرة أخبار". ويتركنا الكاتب نفهم أن البيت ليس به جهاز راديو، وأن العمّة وزوجها أقبلا ومعهما جهاز راديو.

وبعد دقيقة يكون "الساحر الصغير" في وسطهم، يستمعون إلى التمثيلية ويفرحون بها، لكنها تتركهم سريعًا، ثم يخرج صوت يملأ قلوبهم بالفرح، ويقول زوج العمّة في زهو: "عبد الباسط يا جماعة" .

ويظل زوج العمّة ينقل المؤشّر من محطة إذاعية إلى أُخرى: "يتنقّل بين الأغاني والتمثيليات ونشرات الأخبار.. ويتوقّف عندما ينبعث صوت القرآن الكريم من أي محطة " .

وعندما ينصرف زوج العمّة مع العمّة: "نتمنّى أن نمضى في صُحبته " .

ويختتم المؤلّف قصّته قائلاً: "ورافقنا زوج عمّتي حتى خرج إلى الشارع، ووعدنا ألاّ يتأخّر، وأن يأتي هو وعمّتي، ولا ينسى المذياع الذى يغمر الدار بالفرح والسرور".

إنها صورة للمباهج الصغيرة، التي تجمع القلوب البسيطة، في ليالي القرية المصرية.

.. قصة "صديقي العزيز" ..

اختلف الصديقان وهما فى الحقل حول عدد الطيور في السرب الذي يعلوهما. قال الصديق لراوى القصة وهو يُشير إلى نظّارته: "هل أنت الذي ستَعُدُّ السرب؟!"

وهكذا ينقلنا الكاتب، بإشارة بسيطة، إلى سلوك يؤلم من يختلفون فى شيء عن غيرهم.

وكان طبيعيًّا أن يشعر راوى القصة بالغضب فيقول لصديقه: "الحقول واسعة، اذهب وذاكر دروسك بعيداً عنّي"..

وفى نفس الرفق، ينقل إلينا المؤلّف إدانته لتصرّف الصديق فيقول: "وشعر صديقي بأنه أخطأ في حقّي، فأخذ يعتذر".

لكن صاحب النظّارة ظل غاضبًا، وجلس مُتباعدًا يقرأ في ظل شجرة، وكُلّما قرأ صفحة تحرّك الظل فيتحرّك معه، وهو لا يشعر بأن الظل يتحرّك ناحية صديقه. وفوجئ أخيرًا أنه أصبح بجوار صديقه. فابتسم الصديقان وتصافحا.

إنها نفوس طيبة، لا تصر على الخطأ، ولا تُطيل الخصام.

.. قصة " ماء النيل " ..

ولأن المياه سر الحياة، وبغيره لن يكون هناك زرع ولا حصاد، فلابد أن يكون لغياب الماء نصيب كبير فى قصص الأديب ابن قرية سامول، لذلك فإنه عندما جفّت الترعة "طال شوق الجميع للماء"، وأصبح "وجه الأرض الصابرة حزينـًا، ووجه الأب عابسًا".

وهكذا يُضفى الأديب فريد معوض على الأرض مشاعر الإنسان، وملامح نفسه ووجهه، فهي "صابرة" وهي "حزينة" وهي تُريد أن تشرب "وتبتهج".

وحين أتى الماء إلى الترعة "كان الأسبق في نقل البُشرى سرب من الطيور البيضاء جاء مع الماء"، هلل له الصغار، بينما شمر الكبار سواعدهم لاستقبال الماء.

ثم أقبل أيضـًا سرب من الطيور السمراء، بينما المياه تتدفّق في خطوط الأرض، مع تداخل السرب الأبيض مع السرب الأسمر.

سأل الراوي والده: "من أين أتى السربان"... ومن إجابة الأب نعرف أن الطيور البيضاء جاءت من الشمال والطيور السمراء من الجنوب، وعلى أرض القرية اختلط الشمال والجنوب في وحدة قويّة، (هي التي أنتجت مصر الحضارة منذ عهد "مينا").

.. قصة " حكايتي مع الطائرة " ..

ومع الزرع وجنى القطن تطارد الفلاح الدودة واللُّطَع، وتبدأ قصّتنا هذه بـ "الخولي" يُعلن للأطفال: "لن تبحثوا اليوم عن اللطع". ويتصوّر الولد الصغير أن الخولى يطردهم من حقل قطنهم، فالقطن جميل يحمل النوّار واللوزات والبراعم. لكن رائحة كريهة تنبعث منه، تعلن أن اللطع الحمراء فقست وتحوّلت إلى دود يلتهم الأوراق ويدخل فى اللوزات. وبعيداً عن العيون استمر البطل الصغير يقطع اللطع التى فقست ويدوسها بقدمه وهو يُغنى .

وفجأة ظهرت طائرة هبطت قريبًا من الأرض، وانهمر منها المُبيد فوق شُجيرات القطن. وعندما شاهد الصغير الطيار صاح به: "قُطننا الله يخليك"... كان يُريده أن يغمر القطن بمزيد من المبيد، كما يريد أن يراقب الطائرة وهى تعمل .

وعندما انتهت الطائرة من الرش، قرّر الصغير أن يعود للبيت، لكنه رأى صديقه أحمد "وقد صار خمسين أحمد"، وحين دخل البيت شعر بدوار شديد وراح يتقيّأ. ويفهم أهله أنه أصيب بالتسمّم، ويُسرعون به إلى طبيب الوحدة الصحية .

ويقول الراوى أنه بعد أن انتهى العلاج: "دخل صديقي أحمد.. لم يكن خمسين أحمد، ولم يكن له رأس ضخم!"

ونفهم بغير تصريح أنه شُفى من مُغامرته الخطرة التي كادت تودي بحياته، بعد أن عايشنا لحظات من الخوف على المحصول، ومن الرغبة في المعرفة، اقترنت بالجهل المروّع بالنتائج القاتلة .

-- قصة " نحمده " --

ثم نصل إلى آخر قصة في المجموعة، عندما تصل الابنة الصغيرة "نحمده" إلى الحقل تغنى. كانت ترفع يدها عاليًا، فيُصيح أخوها محمود عاليًا: "نحمده نجحت" .

كانت "نحمده" ترفع بيدها "الشهادة" التي تسلّمتها مُنذ قليل .

ويُسرع الأب والأم باحتضانها بأصابعهما المُبتلة بالماء والطين، وتظهر آثار أصابعهما على فُستانها الأبيض، فيقول أخوها محمود ضاحكا: "لقد امتلأ ظهرك بأصابعنا المبتلة" .

لكن لا بأس.. فهى آثار أصابع الأب والأم تُعلن الفرحة بنجاح الابنة .

سبعة قصص تُفيض كل منها بنبضات قلب الحياة في الريف. في الحقول وداخل البيوت، مع الصغار والكبار، مع الأفراح الصغيرة وأسباب القلق الكبيرة، لكنها من خلال فن القصة المتميّز الذى يُقدّمه الكاتب الكبير فريد معوض، تنقلنا إلى عالم يتدفّق بحب الحياة، وبالروح الإنسانية في أجمل صورها .

-- المجموعة القصصية " بقية القصة " --

وإذا انتقلنا إلى مجموعة قصصية أخرى لكاتبنا الكبير فريد معوض، تحت اسم "بقية القصة"، الصادرة عن دار المعارف عام ٢٠٠٦، في سلسلة "مكتبتي"، نلتقي بثلاث قصص، تدور كلها حول موضوعات مبتكرة، في صياغة قصصية متميزة .

-- قصة " بقية القصة --

وفى أول المجموعة، نلتقي بقصة "بقية القصة"، التي تدور حول الصبى زكريا الذى يتمنى أن يمتلك كتابًا قصصيًا ملونًا، ليقرأه. إنه "ينظر" إلى الكتاب.. يتمنى لو "يمسكه" بيديه، و "يقلب صفحاته" و "يقرأ ما يحتوى عليه".

وهكذا، منذ السطور الأولى للقصة، ندخل عالم العلاقة بين الطفل والكتاب.. الكتاب الذى يجذب الطفل بما فيه من رسوم وألوان، والطفل الذي يتطلع، بكل حواسه، إلى أن يستمتع بما فى الكتاب ...

لكن الزميل صاحب الكتاب، يرفض أن يسمح لزميله بلمس الكتاب وهو يقول له بامتعاض: "لماذا لا يشترى لك والدك كتابًا مثله ؟"

لكن والد بطل القصة قد توفى منذ زمن بعيد، وكافحت الأم لتربية ابنها، فلم يكن لديها ما يسمح له بأن "يطلب منها قصة مثل هذه".

ويشاهد الزميل علامات الحزن على وجه زكريا فيشفق عليه، ويعطيه الكتاب قائلاً "أمامك دقيقتان فقط لكي تتفرج على القصة".

وكيف تكفى دقيقتان؟! لم يكمل زكريا قراءة القصة، لأن صديقه شدَّها منه قائلاً: "كفى"-قال زكريا: "أود أن أعرف بقية القصة.. "لكن زميله لم يسمح له...

عندئذ انطلق يكمل القصة من خياله، ثم ذهب يعرض على خاله ما كتب.. فشجعه الخال، وأحضر له الكتب التى تساعده في تنمية موهبته .

وهكذا تحول موقف الزميل الذى رفض أن يترك الكتاب بين يدي زكريا، إلى دافع للإبداع. وعندما وجد الإبداع ما يحتاجه المبدع من التشجيع والاهتمام، أصبحنا، في نهاية القصة، أمام كاتب ذاع صيته وهو يعبر بقصصه عن آلام الفقراء.

وهكذا تتحول بعض خبرات المؤلف إلى موضوع لإحدى قصصه، ليكشف بعض أسرار تَفجر الإبداع.. لقد حرمه زميله من التعرف على "بقية القصة"، فدفع هذا خياله أن يعمل.. أن يُبدع.. أن يُكمل القصة، وأن يُبدع قصصًا أخرى.

مع تأكيد دور احتضان الموهبة والاهتمام بها لتقدم أفضل ما لديها.

- قصة " المنديل " -

وإذا انتقلنا إلى قصة "المنديل"، نجد أنفسنا أمام صراع داخلى يواجهه بطل القصة الصغير- لقد كان "المكان" بطلا في كثير من قصص فريد معوض، لكن فريد، في هذه القصة، يستعيد تجربة حدثت معه، أو تجربة خاضها مع نفسه، وهو ما يُصرح به فى السطور الأولى من قصته.

كان يتجه ذات يوم إلى عمله في إحدى القرى وقد سيطر عليه الحزن، لأنه ترك أمه مريضة في البيت، ولم تكن معه نقود لعلاجها. وفوجئ بمنديل ملقى على الأرض.. كان مربوطا بإحكام، وهو ما يدل على أن به نقودًا .

وبدأ الصراع.. وضع المنديل في جيبه وهو يقول.."لن أفتحه إلا بعيدًا عن الأعين"..

ونفهم أن البطل يدرك، حتى بغير أن يُصرح لنفسه، أن هناك ما يجب أن يُخفيه.. شيء خاطئ..

لكنه يتجاهل هذا الهمس الداخلي، وقد أحس بالفرحة عندما وجد بالمنديل خمسين جنيهًا تكفي لعلاج والدته.

وفجأة يتنبه.. المنديل قديم.. به عقد كثيرة تدل على حرص صاحبه عليه لشدة حاجته للنقود..

وتلاشت فرحته.

لكنه عاد يُحدث نفسه"إنها رزق من السماء.. لم أسرقها.."

قال صوت في داخله: "أعلن في (ميكروفون) المسجد أنك وجدت مبلغًا من المال".

عاد يُعاند نفسه: " السوق مزدحم.. يعلوه الصخب وربما لا يسمع أحد ".

لكن الصوت الداخلى ألح عليه : "افعل ما عليك.. هذه أمانة "

وطلب من خادم المسجد أن يُعلن النبأ..

وجلس راوي القصة في المسجد، وقد أحس بالسكينة والهدوء..

وجاءت سيدة عجوز تتوكأ على عصا.. كانت صاحبة المنديل.. وخرجت وهى تدعو له .

ولم يترك بطل قصتنا المسجد قبل أن يُصلى ركعتين، شكرًا لله إذ منحه القوة التى واجه بها الشيطان..

وعندما عاد إلى البيت، وجد الألم قد خف عن والدته، فأمسك بالقلم ليُسجل أول قصة يكتبها بعنوان "المنديل"..

وفازت "قصة المنديل" بالجائزة الأولى في إحدى المسابقات.. وكان مقدار الجائزة خمسمائة جنيه وليس خمسين جنيهًا فقط..

وكانت "قصة المنديل" بدايته الحقيقية في كتابة القصص.

وهكذا، بغير وعظ ولا تصريح، تقدم القصة القيمة والتوجيه والنموذج الإيجابي، في عمل يفيض بالروح الإنسانية والعمق الروحى .

وهكذا أمتعنا الأديب الكبير فريد معوض بهذا التنوع الهائل الرائع من الشخصيات والأحداث، من الفن والإبداع، من الحس الإنساني والعُمق الوجداني، وهو ما يجعلنا نثق أن "فريد" قد كتب اسمه بين أهم أدباء مصر، فضمن الحياة المستمرة لإبداعه الأدبي المتميّز.

قراءة في أدب " فريد معوض

مقدمة :

بقلم
د. أسماء أبو طالب

لا تزال القرية المصرية تفيض بالخير و تنبض بالعطاء المستمر الذي لا ينقطع .. عطاء ينعكس في مواهب أبنائها المتميزة ، التي تفوح منها رائحة الأصالة و التميز و هذا ما نراه في أعمال فريد معوض ابن القرية المصرية .

فريد معوض

مدخل

إن القارئ لقصص "فريد معوض" يشعر منذ الوهلة الأولى بمصريته، و بأنه من ريف مصر المعطاء، يغوص في طينه، يجعلنا نشم رائحته حين ينزل المطر، حيث ترتوي الأرض العطشى التي تشبه تجاعيد الزمن على وجوه الفلاحين الطيبة !! نرى الفقر و المعاناة . "علمنا الطير، حين غاب القمر، أبي و أنا و العشب "حتى أننا نسمع و نرى نقيق الضفدع، حفيف الصفصافة، جريان الماء و شقشقة العصافير داخل أجواء ذلك الريف الفقير المنسي، و ربما يصحبنا الكاتب لقريته التي تبرز بين الحين و الآخر في ثنايا الأحداث أو عندما يدعونا لزيارتها "تعالوا إلى سامول" ليقدم لنا نماذج رائعة للإصرار "د. نور الدين."

و لا ينسى الكاتب وجه الفلاحين، بما فيهم وجه أبيه و أمه و جده اللذين يطلون علينا عبر قصصه بين الحين و الآخر بوجوههم المتعبة الفقيرة الكادحة و الراضية أيضا، ليؤكد باستمرار مصريته و تمسكه بالأرض الذي نراه أيضا في "التبة المسحورة" و التي تعتبر تسجيلا لأحد المواقف الخالدة في ضمير الشعب المصري و التي تسطر أعظم البطولات "السادس من أكتوبر" و التي لا ينسى الكاتب أن يضفرها بقصة من قصص التراث الشعبي "عجل الطاحونة ليؤكد أن الانتصار الأول كان بانتصار "الزناتي" على الوهم "عجل الطاحونة" ليؤكد مصريته من جديد .

و سقط بارليف

رغم أن فكرة القصة بسيطة "نجاح الطفل بطل القصة و سقوط بارليف" إلا أن ما يستوقف القارئ هو أسلوب الكاتب المتميز، و إدراكه لتأثير الحالة النفسية على الطفل البطل، فالإيقاع يكون سريعا سرعة تتناسب و فرحة الطفل عبر رحلته حاملا البشرى لوالده بدءا من قوله "أطلقت ساقي للريح" حيث ينطلق معه أسلوب الكاتب في إيقاع سريع يعادل سرعة الطفل و كأنه مسافر عبر قطار تتراءى له الأشياء سريعة متلاحقة دون الوقوف على تفاصيلها "صوت الضفدع/الحمار/الولد و أخته" هذا الإيقاع يتناسب و حالة الطفل الذي يطوى الأرض طيا، يريد اختزال الزمان و المكان وصولا لأبيه، و هو "الزمن السعيد القصير كما نعرفه" يتداخل معه زمن ماض سريع أيضا يجتر فيه الطفل أحداثا وثيقة الصلة

بالزمن الحاضر "رحلة الطفل" تأتى في صور سريعة متلاحقة، أيضا "المذاكرة يا أبنى/ التربية قبل التعليم/ الصلاة... إلخ" وهى إلى جانب تعريفها بوالده إلا أنها أيضا نتيجة لما هو فيه من نجاح و فرح .

بانتهاء رحلة الطفل يبتعد الكاتب عن الإيقاع السريع، حيث يرى الطفل و يرينا معه تفاصيل عن المكان "الريف" تعطى صورة من صور كفاح أبيه الفلاح المصري "الفأس في يده/جلبابه المعلق/الصفصافة" تعلوا الفأس و تهبط المنديل فوق رأسه... إلخ ليدخل القارئ الطفل بعد ذلك في تفاصيل أشد خصوصية عندما يتوقف ليدقق و يدقق معه القارئ أيضا في ملامح وجه أبيه و سرعان ما يربط بينها و بين الأرض-شأن الكاتب دائما-في تشبيه رائع "أرضا ترتوي بالماء."

و قد اعتمدت القصة على السرد أما الحوار فكان قصيرا مقتضبا مع آخر القصة بين الطفل و والده و لكنه تجسيد للقصة كلها "تكون نجحت يا ولد؟/نجحت و سقط بارليف" و تكون النهاية لوحة جميلة احتضان الأب لابنه ليربط الكاتب بين لحظة الفرح و الجو العام للمكان بينه و بين "سمرة الأرض التي توشك أن تنطق بالخضرة" لتعبر القصة في النهاية عن لحظة فرح خاصة جدا "نجاح الطفل" في ظل فرحة أكبر و أشمل و أعمّ "سقوط بارليف" ضفرها الكاتب بجو الريف المصري ليؤكد صدق مصريته .

حكاية ليست للنوم

تدور أحداث هذه القصة- شأن قصص الكاتب- داخل الريف المصري مصورة لنا مذبحة مدرسة بحر البقر التي راح ضحيتها عدد كبير من الأطفال لتشهد على وحشية العدو و قسوته .

يستهل الكاتب قصته بالفعل الماضي و الذي يستخدمه طوال القصة تأكيدا على انتهاء القصة "كانت المدرسة/كان الفصل/كانت السنة... إلخ" ثم يأتي أسلوب الكاتب عبارة عن لوحات متصاعدة تدريجيا و بهدوء يعادل الهدوء داخل الفصل و خارجه مظهرا الجو العام للمكان "الشمس الرائعة/نخلة الحاج أحمد/البلح الأخضر/السماء الصافية/الهواء النقي" و هي لوحة طبيعية من صنع الله جل شأنه، لينقلنا بعد ذلك للوحة خاصة جدا يصنعها التلاميذ في جو هادئ داخل الفصل في حصة الرسم "الورود/الطريق الذي تظلله الأشجار/الساقية/علم هديل... إلخ"

يتغير أسلوب الكاتب فور استخدامه لكلمة "فجأة" التي تعتبر موظفة توظيفا جيدا حيث تنقلنا لجو مغاير تماما لذلك الهدوء "الدمار و الخراب" فيستخدم الكاتب الجمل القصيرة، السريعة و المتلاحقة "قتلت الوردة/قطعت الطريق/خربت الحديقة" هذه السرعة تتناسب و الجو العام للمكان، حيث لم يعد سوى علم هديل مرفوعا بين الحطام!! و قد أظهر الكاتب تأثير الغارة الوحشية على رسومات الأطفال فقط ليكون أخف وقعا على نفوس الأطفال و لكنه شد تأثيرا خاصة بعد التنبيه عليهم من قبل الكاتب باليقظة و عدم النوم.)

.و تكون النهاية باستخدام كلمة "الإصرار" و ما تحمله من معان عديدة تحث الطفل على اليقظة الدائمة و الدفاع عن الأرض؟ و رغم أن الحكاية معروفة مسبقا، إلا أن أسلوب الكاتب يضفى عليها لمحة إنسانية رقيقة- رغم بشاعة الحكاية- تتناسب و نفسية القارئ (الطفل .)

حينما غاب القمر

يصور الكاتب-كما عودنا دائما-الريف بأجوائه الفقيرة الكادحة و الجميلة أيضا بالإضافة إلى الخرافات و الأوهام سواء كان عجل الطاحونة في "التبة المسحورة" أو العفريت في "حينما غاب القمر" حيث يصبح جو الليل في غياب القمر مسرحا لهذه الخرافات.

و رغم بساطة القصة إلا أنها تكتسب أهميتها بتأكيدها الانتصار على الوهم و الخرافات بروح فكاهية من خلال بطلي القصة "معوض و بيومي" حيث يرصد الكاتب تفاصيلا دقيقة مرئية في ليلة غاب فيها القمر "خلو الحقول/الظلام الدامس" يكسر حدة ظلمتها تفاصيل أخرى مسموعة "أغاني معوض/صوت الضفادع/حركة القرموط" و مع نهاية القصة و كما انتصر الزناتي على خوفه من عجل الطاحونة المزعوم، نرى معوض يكسر حاجز الخوف بانتصاره على الوهم بوجود عفريت الليل. مؤكدا من جديد جو القرية بجمالها، و سحرها و فقرها أيضا و مؤكدا ارتباطه و حبه لأرضه.

الفرعون الأسود يواجه أم الفراعين

(١)

بقلم

محمد رجب

للكاتب الراحل ابن سامول فريد معوض إبداع طاغ في أدب الأطفال والرواية والقصة القصيرة والنقد بل والسيناريو.

كان-رحمه الله- طلعه في الإبداع، يمارس الإبداع في شتى الأشكال الأدبية.

برز فريد معوض خاصة في أدب الأطفال. حاز الجائزة الأولى لمسابقة السيدة سوزان مبارك لأدب الطفل ثلاث مرات بداية من عام ١٩٨٩، كما كان له حظ الفوز بجوائز السعودية والشارقة وهيئة قصور الثقافة وغيرها.

فنان متميز بلا ريب.

في رأيي أن أديب وروائيا لم يحسن تصوير أحوال الريف المصري بعد عبد الرحمن الشرقاوي إلا قلة قليلة من بينهم الروائي فريد معوض (١٩٦١-٢٠١٠)

أبدع فريد في تصوير الريف المصري من خلال اثنتين من أروع إبداعاته (المرسي والأرض، أيام في الأعظمية) والأخيرة حاز بها المركز الأول في سلسلة الجوائز بهيئة قصور الثقافة المصرية.

لكن التاريخ المصري، الجانب الفرعوني، شدّ انتباه الكاتب الراحل بقوة فكتب واحدة من أروع رواياته. رواية تاريخية عن الفرعون الأسود ابن نباتا، ابن النوبة، بيعنخي.

❖❖❖❖❖

ما حكاية هذه الرواية التاريخية؟[٦]

لكن فلنتحدث أولا عن الرواية كشكل فني إبداعي...

تمتاز الرواية بأنها من نوع النثر، خيالية، سردية، مملوءة بالشخصيات الواقعة في صراع.

الرواية أنواع: طويلة، متوسطة، قصيرة، عاطفية، رومانسية، اجتماعية، واقعية، طبيعية، رمزية، شعبية (ملحمية)، رواية أجيال، سياسية، رواية مغامرات، بوليسية، تاريخية.

والرواية التاريخية هي التي تهمنا هنا، لها خصائص: فهي تصور حقبة تاريخية بشخصياتها الحقيقية. في هذا النوع يعجن الروائي مادته التاريخية ويحيلها إلى كيان حيّ يموج بالصراع ويوظف شخصياته ويكسبها عمقا وحياة.

وقد يلجأ الروائي إلى السيكولوجيا ليحلل الحادثة التاريخية التي يتناولها، ومن هنا تتصرف شخصياته بحرية وطلاقة فيحلل سلوكها، ويتتبع علاقاتها المتشابكة..[٧]

[٦] صدرت الرواية عن دار الهلال سلسلة روايات تاريخ مصر عدد أغسطس رقم ٤٦ عام ٢٠٠٨ .

❖❖❖❖❖

(٢)

بلا ريب، فريد معوض روائي يملك خبرة فنية وحسا تاريخيا خلاقا...

بين أيدينا رواية تنبض بالحياة. أحداثها تقود إلى عام ٥٧١ قبل الميلاد زمن بيعنخي مؤسس الأسرة المصرية الخامسة والعشرين .

آثر فريد معوض أن تكون شخصيات الرواية محدودة، فهي لا تتجاوز العشر شخصيات .

ومن أبرز الشخصيات بالطبع بيعنخي، والده كشنا، العدو ملك سايس أو ملك الشمال (ناف نخت)، الوزير، الضابط المصري، الدكتور سيد عتمان وطلبته، وأروع الشخصيات على الإطلاق:أم الفراعين ... !

في الرواية يستدعي فريد معوض شخصيات من جوف تاريخنا العريق كالفرعون الأسود وناف نخت، إيزيس وأوزوريس ....

تتحاور هذه الشخصيات مع شخصيات معاصرة كالضابط المصري الذي نلتقي به عامي١٨٦٤،١٨٦٣ والذي شهد آخر عامين من حكم سعيد باشا حاكم مصر، وبداية عصر الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩)....

والدكتور سيد عتمان، أستاذ التاريخ بجامعة طنطا ابن قرية سامول التابعة لمدينة المحلة الكبرى(محافظة الغربية) إلى جانب شخصيات وردت في فلكلورنا مثل أم الفراعين أو جميلة النهر أو النداهة ...[٨]

❖❖❖❖❖

(٣)

البطل الأساسي في الرواية هو أول فراعنة مصر السود، بيعنخي اسمه المعروف به بين الفراعنة هو (وسر ماغتارغ-سنفر رع)

وحد ذلك الفرعون نباتا مصر الشمال وجنوبها في كيان واحد عظيم عام٥٧١ قبل الميلاد .

ميزة ذلك الفرعون أنه جاء من الجنوب. حكم بيعنخي مصر مدة خمس وثلاثين سنة. كان مقر حكمه مسقط رأسه نباتا بالنوبة. بنى بيعنخي هرما خاصا به كعادة فراعنة مصر...

لكن المدهش أنه بعد أن تم النصر للفرعون الأسود على ملك الشمال (ناف نخت) انسحب بيعنخي عائدا إلى نباتا مسقط رأسه..!

❖❖❖❖❖

(٤)

---

[٧] Historical Novel E.B Wilson p.p ٢٤٠-٢٤٢٤ ود.محمد عناني الأدب وفنون هيئة الكتاب١٥-٢٠

[٨] عالم الأدب الشعبي العجيب فاروق خورشيد هيئة الكتاب ٥٦ – ٧٨

ها نحن مع الدكتور سيد عتمان، أستاذ التاريخ الفرعوني بجامعة طنطا وهو يحاضر طلبته بقسم التاريخ بكلية الآداب شغله الشاغل هو الفرعون الأسود...

الدكتور عتمان من مواليد سامول (ك..فريد معوض) وله ولع خاص بالتاريخ بدأ منذ صباه حين كان يزور دار الكتب بالقاهرة باحثا عن فرعونه الأثير...

اكتشف عتمان فجأة أن عليه أن يتابع رحلة قام بها ضابط مصري (لا يعرف اسمه) إلى نباتا .

الضابط كان مجندا في جيش الخديوي سعيد عام١٨٦٢م وتم تكلفيه بإحضار تمثال للفرعون الأسود ولوحة ضخمة فيها سيرته .

تمثل الفرعون الأسود لعتمان في رؤيا كشخصية. كان رجلا يملك جسدا ضخما ورقبة غليظة طويلة، وعينه عميقتين تنظران إلى الفضاء اللانهائي...

فيما بعد زار عتمان أحد المتاحف الأثرية وإذا به وجها لوجه أمام الفرعون الأسود ذاته وثمة لوحة ضخمة مكتوب عليها بيعنخي وسيرته الذاتية ...

❖❖❖❖❖

(٥)

حكى عتمان لطلبته عن رحلة الضابط المصري إلى جبل (برقل) الشامخ بالنوبة، وإلى معبد بيعنخي حيث ظفر بالتمثال واللوحة الشهيرة...

أبحر الضابط بسفينة إلى الجبل الضخم. صعده إلى القمة. شعر بالتعب. نام. أيقظه صوت يهتف-أنا ملك الوجه القبلي والبحري ابن رع "بيعنخي... !

عاود الضابط الصعود لقمة الجبل .

حين هبط إلى السفح وصل إلى بقايا معبد تقدم نحوها .

فجأة أوقفه صوت آمر:

- ارجع يا ولد ...!

همّ أهالي القرية يحذرونه من أم الفراعين .....

من هي أم الفراعين ...؟

(هي مخلوقة في صورة امرأة جميلة، تجلس أم الفراعين تمشط شعرها في سطح الجبل. تغسل وجهها في النهر تمشي فوق الماء قوتها خارقة، تلتهم البشر أو تسحرهم. جمالها فتان آسر...)[٩]

حكى الراوي أنه حين جف النيل بكت أم الفراعين بحرقة ...

(جف النيل ذات يوم، قبل بناء مصر بألف عام، واشتد القيظ، واشتكت قمة جبل (برقل) من الحر الشديد)

[٩] بيعنخي جبل الجنوب ٣١

وظهرت أم الفراعين تحت سفح الجبل. رآها كثيرون، كانت تبكي بحرقة شديدة. بدت الوجوه كالحة، ظهر الهزال على الدواب .

- هيا يا نيل ... عد إلينا يا نيل ...

لكن النيل لم يعد، بل اشتد في النقصان. سمع الكثيرون صوتا ينادي :

- صلوا لله .

كان الصوت لها أم الفراعين ..."[10]

هنا تبدو مهارة فريد معوض .

لقد حول الرمز الشرير لأم الفراعين إلى رمز للخير والعطاء .

لم تعد أم الفراعين سفاكة مثل الجورجون أو الميدوزا أو كيركي التي تسحر البشر إلى خراف في حكاية الأوديسة الشهيرة...."[11]

إنها أم حنون حريصة على رفاهية وسعادة شعب مصر تأمرهم بالصلاة، صلاة استسقاء للمطر حتى يرفع الله غضبه ويرتد إليهم النيل وتمطر السماء ..

حين امتثل أهل القرية لدعوة أم الفراعين أقبل الخير...

(ما أن اتسعت بسماتها حتى جاء النيل مسرعا وتدفق الماء فيه مبتهجا وهطل المطر. كل شيء بدا مخضرا)"[12]

وظّف فريد معوض الفلاش باك للتعريف بطفولة بيعنخي (على الرغم أنها كانت لحظة موت إلا أنها كانت أيضا لحظة الحياة... أبى الملك (كشنا) في لحظات الاحتضار وسيصير ماضيا مثل عام ٥٧١ ق. م."[13]

يوصيه أبوه بأن ينظر بعيدا (ستجد شمسي المشرقة في الجنوب وفي الدلتا يمتد شعاعها حتى البحر الكبير في الشمال)

بيعنخي لا يبكي أبدا هكذا علمه أبوه وعلمه أن يكون قويا صخرا مثل حجر الجرانيت .

*****

(٦)

يقدم فريد معوض معادلا موضوعيا لبيعنخي.

إنه الجبل: برقل ....!

عنوان الرواية صريح في المسألة: بيعنخي.. جبل الجنوب ...!

---

[10] بيعنخي جبل الجنوب ٣٥

[11] راجع أساير الحب والجمال عند الإغريق والأوديسة لـــ"دريني خشبة"

[12] بيعنخي جبل الجنوب ٣٨

[13] بيعنخي جبل الجنوب ٥٨

وحّد فريد معوض بين الاثنين: الرجل والجبل هما مشتركان في الصلابة والاستهتار بكل قوة بشرية وافدة .

(وجبل برقل كان له شأن آخر. كان صلبا في مواجهة الريح العاتية، فلم تعصف به عاصفة، ولم يعبأ بأي قوة بشرية وافدة ...)[14]

ويؤكد بيعنخي ذاته على نفسي المعنى يقول:

(استولى بيعنخي على منف ثم انتقل للبلاد الأخرى... بل وسلمت أخرى سقطت فور علمها بسقوط منف، وسلمت نفسها طواعية، وسيطر بيعنخي على البلاد والأمصار، رفع يده من مرتفع عال وقال :

ملك الشمال والجنوب .. موحد القطرين .. بيعنخي [15]

يطرح بيعنخي برنامجه لحكم مصر الموحدة:

(صعد إلى قمة الجبل. يراقب بلاد الجنوب. نباتا وما حولها. يرتب جدول أعماله من عدة نقاط: الاطمئنان على نظافة النيل. متابعة الزراعة. تنظيم البناء وحفظ الأموال. اختبار دوري للوزراء. محاربة الأخطار ..

لكن ماذا يحدث في نهاية المطاف ..؟

ما أجمل العودة إلى منبت الإنسان.. إلى داره إلى حقله إلى ناسه إلى محبيه .

لفريد معوض انتماء صارخ إلى مصر ممثله في قريته الحبيبة سامول .

الكل يعود إلى القرية .

يعود بيعنخي إلى نباتا .

ويعود عتمان إلى سامول .

ويعود المصري إلى القاهرة بتمثال بيعنخي ولوحته ..

يجمع بين الكل الصلابة . الاستهزاء بالأخطار . الانتماء للوطن . الرسوخ . الشموخ . الهامة المرتفعة إلى ذرى السماء والنظرة البعيدة إلى اللانهائية .

❖❖❖❖❖

(٧)

الضابط المصري يعود إلى قاهرة المعز ..

خرجت به السفينة عائدة ظلت عاما كاملا تنتظر .

فاض النيل عام ١٨٦٣ فعادت .

---

[14] نفس المصدر السابق

[15] بيعنخي جبل الجنوب ٦٦

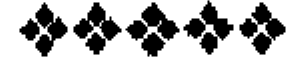
استقبلت أم الفراعين السفينة حين وصلت إلى جبل برقل، كانت في وداعها حين رحلت إلى قاهرة المعز.

(غربت الشمس وتلبدت السماء بالغيوم، ومن جديد أطلت حزينة بوجهها.

ما الذي جاء بك إلى هنا يا أم الفراعين ؟

بدت مثل القمر كلما درت وجدته فوقك، لكنه يبدو حزينا مثل أم الفراعينت التي بدت وكأنها غير راضية عن الرحلة. كيف وهي التي ابتسمت عندما اقلعت السفينة عند جبل برقل ؟)[16]

حكى بيعنخي حكايته المثيرة للضابط المصري ولعتمان، لكل الدنيا. حكاية كفاحه لاسترداد أرضه الشمال لتوحيد مصرنا الغالية مثل جده مينا موحد القطرين..!



(٨)

رواية قصيرة هي بيعنخي جبل الجنوب.

رواية تاريخية سيكولوجية، استثمر فيها المؤلف تيار الوعي، الفلاش باك، نظرية المعادل الموضوعي مزج فيها بين السرد والحوار.

برز بطل الرواية المعاصر عتمان كشخصية محبة للتاريخ إلى حد الجنون ..

وصل عتمان إلى بيعنخي. امتزج بالفرعون الأسود. صارت سامول ونباتا كيانا واحدا. مكانا عبقريا بتعبير الدكتور جمال حمدان في أثره الرائع شخصية مصر ...

يعود بيعنخي إلى نباتا... حبه الوحيد، عشقه العظيم.

يعود عتمان إلى قريته المعشوقة سامول ليتأمل ذاته ويراجع سجل حياته الحافل..

يعود الضابط المصري إلى قاهرة المعز موصيا مستقبليه بأن:

(احكوا لبنتي عن قصتي. علموها أن القيمة أن تحافظ على القيمة وان تحاول ان تصنع تلك القيمة)[17]

في الرواية تتداخل الأزمنة والشخصيات لكن الحدث واحد ..

هو البحث عن بيعنخي : الفرعون الأسود.

ميزة الكاتب أنه استخدم لغة حديثة وسطا بين الفصحى والعامية ولم يضع أكلشيهات مختارة أو لغة قديمة ...

إنها لغة القرن الحادي والعشرين بلا ريب.

كسر فريد معوض حاجز الزمان الروائي ولم يتردد في عبور حاجز الأزمنة..

---

١٦ بيعنخي جبل الجنوب ٧١

١٧ بيعنخي جبل الجنوب ٨٧

لغة الرواية شفافة يلفها الشجن وينساب منها أسلوب أشبه بالشعر وتحمل الصفحات صورا متميزة ولوحات فنية معبرة .

يرسم الكاتب شخصياته جيدا .

ولقد اشتهر باستخدام الفلكلور الشعبي والتراث الشعبي في رواياته كما فعل في المرسي والأرض حيث طوّع الأغنية الشعبية : (يووحا-وطلعنا-الجبل-يووحا-ننقي سبل ..)[18]

وفي أيام في الأعظمية حيث أورد نصا وطنيا يشيد بقائد العراق صدام حسين: (الدار-الدار.. الدار-ريسنا خلف ثوار)[19]

هنا في رواية بيعنخي استلهام للتراث الشعبي حيث أخرج منه رمز أم الفراعين، رمز الشر الذي قلبه الروائي ووظفه عكسيا بمهارة فائقة لتقود مسيرة الخير وتحث الناس على الصلاة لله لجلب الخير واسترداد حنان النهر الغضوب ...!

التزم فريد معوض بالحبكة والقصة وطبيعة الشخصية .

والواقعية وعلاقتها بالخيال، وهي من أهم مقومات الرواية المعاصرة .[20]

ويؤكد الدكتور حلمي القاعود أن الرواية عمل فني صعب يقتضي موهبة حقيقية بارزة بالإضافة إلى خبرة فنية عميقة كما تحتاج كتابة الرواية إلى ثقافة شاملة .[21]

أضاف الأديب الراحل إحدى روائعه إلى مكتبتنا العربية بهذه الرواية التاريخية البديعة !..

[18] المرسي والأرض — أصوات أدبية ١٩٩٢ ص ٤٠

[19] أيام في الأعظمية — سلسلة الجوائز ١٩٩٩ ص ٧٣

[20] الرواية اليوم ترجمة أحمد عمر شاهين ١٩٩٦ ص ١٤

[21] الرواية الإسلامية المعاصرة د.حلمي القاعود نادي أدب جازان ١٩٩٨ ص ١٦

تعدد الدلالة وعمق المضمون

نبذة مختصرة عن كاتب النماذج :

بقلم
مجدي محمود الفقي

من تربة النيل نبت كاتب قدير، يدرك قيمة اللفظة وأهمية الفكر ومرماه، خاصة وأنه يدرك جيدا تأثير أفكاره في تكوين متلقيه، فهو يغذى ذائقة الطفل بما هو ممتع ومُسلٍ ويغذى وجدانه بالجمال الإبداعي من خلال قصص سهلة التناول... بسيطة الفكر عميقة المضمون متعددة الدلالات، فهو حريص على تربية الوجدان تربية جمالية ونقصد بالتربية الجمالية الجانب الوجداني التربوي منها .

يعرف الأستاذ/على القاضي[٢٢] التربية فيقول: "هي تعبير يقصد به الجانب التربوي الذي يرّقق وجدان الفرد وشعوره ويجعله مرهف الحس، مدركا للذوق والجمال ويبعث ذلك في نفسه السرور والارتياح ويرتقى وجدانه وتتهذب انفعالاته وكل هذا يساعد على قوة الإرادة وصحة العزيمة" .

تتلخص رؤية الكاتب والروائي القدير/ فريد محمد معوض في الكتابة للطفل بكافة مراحلها في الارتقاء بوجدان متلقيه وترقيق حسّه من خلال أفكار مهذبة بعيدة عن التلقين والتكلف، ليبعث في نفس الأطفال السرور بأفكار وحكايات مُسلية معجونة بالقيم الإسلامية والمبادئ الخلقية ودون أن يشعر يجد انفعالاته وتصرفاته مُتلقية مُهذبة ولديه عزيمة قوية وقوة إرادة.

هناك سؤال نجده يلح علينا بعد هذا التقديم. متى بدأ فريد معوض يكتب للطفل ؟

عبر عقدين من الزمان، كان هذا النبت الطيب شجرة شامخة في سماء الإبداع تسر الناظرين، دخل الكاتب والروائي الفذ/ فريد معوض عالم الكتابة للطفل وهو مدرك لاحتياجات الطفل، ولديه إصرار أن يدخل صفّ الريادة ضمن الرواد، وهذا ما تنبأ به الكاتب الكبير/ يعقوب الشاروني يوم أحتفل بفوزه بجائزة سوزان مبارك الأولى عام ١٩٨٩ م، قال رائد أدب الطفل يعقوب الشاروني يومها "هذا كاتب سيكون له شأن كبير في المستقبل"

كتب فريد معوض للكبار أولا، أجاد وانتشر بإصدارات وجوائز ثم اتجه للكتابة للطفل وسط تحذيرات وهمية في عالم المحلة الكبرى الإبداعي وتوهمات حول الكتابة للطفل، منها على سبيل المثال أنه لا يفلح من يكتب للطفل دون الخامسة والأربعين، دخل كاتبنا معركة التحدي، درس هذا المجال الإبداعي جيدا، أيقن أنه عالم أكثر دقة وحساسية في الانتقاء والتناول، وبالفعل كللت جهوده بالتوفيق، وكان من أوائل الفائزين بمسابقة السيدة سوزان مبارك عام ١٩٨٩ م، ويفخر في كل حين أنه من إفرازات هذه المسابقة العملاقة التي تقدم كل عام للأدب العربي كتّابا للطفل، وتفرع النبت وقوى عُوده بكثير من الإصدارات والجوائز

[٢٢] أ. علي القاضي: أضواء على التربية في الإسلام، دار الأنصار، ص٦٠

المصرية والعربية، ولأن الشجرة الطيبة تلقى بظلالها على أهلها، دعا الكاتب فريد معوض من حوله للدخول إلى عالم الكتابة للطفل وشد من أزرهم وشجعهم.

سنوات مضت يشجع من يكتب ويلوم المتكاسل، وأقام ورشة إبداعية غير رسمية في صالونه الإبداعي ظلت لسنوات طويلة وفى عام ١٩٩٧ م تقريبا قام بعمل ورشة إبداعية لكتّاب الطفل في قريته سامول، وكان كاتب هذه السطور ضمن فريق العمل بالورشة، لم يكن الهدف من الورشة تعليميا أو توجيهيا بقدر ما كان تواصلا وامتزاجا لإثراء الإبداع، كان أعضاء الورشة كتّابا متميزين يحررون مجلات الطفل بالعالم العربي من منازلهم، وكان للورشة أهدافا كثيرة يسعى الجميع لتحقيقها منها.

١. مزج الثقافات المختلفة والخبرات الخاصة للكُتّاب وتنقيتها من الشوائب الفكرية التي لا تصلح للطفل.

٢. تقوم بعض المجلات بفرض اتجاهاتها الخاطئة على الكُتّاب وللأسف ينساق روائها بعض الكتاب من أجل المال ومن خلال الورشة وضع الضوابط للتعامل مع المجلات ذات الأفكار التربوية الخاطئة.

٣. تهذيب الفكر المُقدم للطفل وإرسال المواد المتفق عليها من الجلسات العلمية والجلسات الإبداعية وجلسات المناقشة لفرض الاتجاه الصحيح على مجلات الطفل.

٤. إرهاق الملكات بفرض موضوعات افتراضية موحدة على الأعضاء بالورشة للكتابة فيها وذلك تأهبا للمسابقات التي تفرض موضوعات بعينها ، وأيضا لتدريب الملكات على هذه الكتابة.

٥. دائما ما تكون هذه الورش الإبداعية وسط الحقول لتستفز الطبيعة الملكات للإلهام الإبداعي وتطرح موضوعاتها حال نضوب الفكر والملكات.

بعد هذا التعريف الموجز بالكاتب/ فريد محمد معوض حقّ علينا أن نلج في عالمه الإبداعي.

بعد أن تمكن الكاتب من كافة دروب الإبداع للطفل، دخل إلى عالم الإنجاز المتكامل، لأنه يدرك أن الإبداع هو الإنجاز المتكامل غير المعوج، أصدر مؤخرا عشرة كتب للطفل من مكتبة "الإيمان" بالمنصورة في سلسلة بعنوان قصص النجاح.

تضم السلسلة قصصاً تستثمر موهبة الطفل وتشجعه على الابتكار مثل قصة (النجار الفنان-قصة صوت عبد الرافع) وتضم قصصا تنبذ السلوك غير السوي في إنسانية عالية المستوى مثل قصة (مدينة الورد) وقصص تدعو لتبادل الخبرات الحياتية (مثل قصة دعني أعلمك شيئا)

ومن القصص التي تدعو إلى تحدى الإعاقة وقهر الظلام (قصة مريم تهدى فوزها).

دائما ما نحس بمرارة في الحلق على الزمن الجميل، زمن يسوده التراحم والعرفان بالجميل مثل (قصة حكاية طبيب إنسان)

وقصص نفسية تعالج حرب النفس المؤمنة تتسم بروح المغامرة، وتعطى قيماً عظيمة دونما تكلف مثل: (قصة من يكسب السباق-صيام محمود).

قصص تدعو للتمسك بكتاب الله "القران الكريم" وحفظه ليس في الذاكرة ولكن في الصدور: (قصة حجرة القران-الجائزة)

تنقسم الدراسة حول هذه السلسلة إلى قسمين :

القسم الأول : البعد الإنساني والتربوي في قصص النجاح .

القسم الثاني : قصص النجاح من منظور الأدب الإسلامي .

(القسم الأول - البعد الإنساني والتربوي في قصص النجاح)

ما أحوجنا إلى أعمال إبداعية تضغط على الحس الإنساني بقوة وتبرز نقاءه وبراءته لدى الأطفال واستجابته للتعليم وتعليم من حوله على النقاء والشفافية وجميع قصص النجاح تُرغب الطفل في التعليم والابتكار.

تارة يكون الكاتب موجهاً للطفل دونما قصد وتارة يكون الطفل موجهاً لمن حوله من شخصيات واعية وهذا ما برز في قصة " مدينة الورد ودعني أعلمك شيئا .

- نبذ السلوك الخاطئ وشفافية المتلقي :

يدرك فريد معوض حساسية الموضوع الذي يطرحه للطفل، أنه في حالة إثارة انتباه الطفل للسلوك الخاطئ قد يبعده هذا دون قصد عن السلوك القويم، تعامل الكاتب مع هذه القضية بشفافية المتلقي، مثلا إثارة انتباه الطفل إلى إضرار التدخين دون إضاءة الصورة على الجانب غير المدخن وكيف ينعم بصحة جيدة يثير غروره على تجريب السلوك الخاطئ، لذا نبذ الكاتب السلوك الخاطئ من المتلقي ذاته، وذلك بتقبيح السلوك الخاطئ ومن خلال شخصية الطفلة القريبة لتفكير المتلقي والتي يرى فيها نفسه، ثم عمد إلى إبراز مسالب السلوك وعواقب إتباعه، ثم أضاء وأبرز السلوك الحسن .

قصة "مدينة الورد" تدور أحداثها حول أب يسلك طريق الحرام في الكسب وأحست صغيرته الوحيدة بذلك فكانت لغة الشفافية في التوجيه عندها الوردة الجميلة ذات الرائحة الزكية تلك الرائحة سر الحلال والتي تدفعه عن طريق الحرام، كل يوم عندما يخرج الأب تهرع إليه وتعطيه وردة بريئة طيبة الرائحة وتدعوه أن يكون طعامهم حلال طيب الرائحة كالوردة. وفى الطريق عندما يفكر الرجل في السرقة كعادته يتذكر ابنته والوردة والرائحة، دائما ما تقف رائحة الوردة أمام تفكيره، يرى إبنته في قلب الوردة تحذره من الظلم والسرقة، وتدعوه للمال الحلال، يعود آخر النهار مبتسما وبيده المال الحلال، إلى أن نفد الورد من حديقة المنزل، تجرى الفتاة يمينا وشمالا بحثا عن وردة لم تجد وما أن وجدتها وجدته ذهب، رجع آخر النهار عابس الوجه ومعه المال الحرام كثير، غضبت ابنته ولم تأكل من الطعام الحرام، هرع المظلومون إلى البنت يشكون، حكت لهم عن قصته مع الورد وتأثيره عليه إلى رجع الأب إلى صوابه أمام شفافية وبراءة ابنته والورد، يستشف الطفل من هذه القصة أن اتباع السلوك السوي (العمل الحلال) أشبه بالورد في رائحته وعدله منظره يسر الناظرين وتبقى رائحته العطرة تملأ الأجواء .

تبادل الخبرات واستثمار المواهب في قصص النجاح :

الحياة مدرسة لتبادل الخبرات الحياتية، فكما أن الفلاح لديه خبرات في عمله في الحقل والعامل في المصنع فالصغير أيضا لديه خبرات بسيطة اكتسبها بالتعلم، ففي قصة "دعني أعلمك شيئا" عم حمدان يتمنى أن يتعلم القراءة والكتابة ويعلمه الغلام المتعلم الهجاء مما حوله من الطبيعة، حرف الألف من ساق النخلة و والهمزة خضارها وخط الماء يجرى في المسقى حرف الألف ويتعلم عم حمدان على يد الغلام لمتعلم ، بعدها يقوم عم حمدان بتعليم الغلام زراعة النخيل .

إذا وجدت الموهبة أرضاً علمية وخلفيه ثقافية تنمو فيها نمت وترعرعت، فالموهبة من الإفرازات الطبيعية للعلم و التعلم، الموهبة هي الثمرة الأولى في أرض العلم وهى النبتة اليانعة في ضوء الشمس والراقدة تحت الرماد في أرض الظلام .

ففي قصة "النجار الفنان" يتحد نبوغ أحمد في فن النجارة وكتابة الشعر مع قدراته العلمية كتلميذ مجتهد نابغ في التعليم، كان أحمد نجارا فنانا، يأخذ من النجارة للشعر ومن الشعر ما يجود به فنه وفنون النجارة فهو نجار يجيد فن النجارة وشاعر متمكن من فنون الشعر، وهذا لا يعترض ذاك ففي هذه القصة يدعو الكاتب الطفل للاعتماد على الذات ليس عيبا أن تعمل إلى جانب التعلم وذلك لإفراز قدراتك وإبراز موهبتك لتدخل صف الرجال.

وفى قصة "صوت عبد الرافع" تبرز موهبة عبد الرافع في تلاوة القرآن ويبين الكاتب كيف يتمنى عبد الرافع موهبته منذ الصغر حتى أصبح من مشاهير المقرئين بالإذاعة، يشجع الكاتب الطفل على تنمية موهبته منذ الصغر ولا يخجل منها .

التدرب على العبادات الشاقة وتحريض الطفل على الاهتمام بها :

النجاح هدف يراود كل إنسان ووراء كل نجاح قصة، والنجاح الحقيقي هو اغتنام مسببات الحياة في الدنيا بنجاح يرسخ دعائم العقيدة والفوز بالجنة، تضم السلسلة قصصا تبرز قيما إسلامية يتحقق فيها النجاح في الدنيا بتوافر مسببات الهداية واتباع القيم والسلوك الإسلامي، قصص تُحرض الطفل على الاهتمام بالعبادات الشاقة خاصة الشاقة منها على النفس الإمارة التي تُهزم في الصغر أمام تطلعات الصبيان في تقليد الكبار، أن الترسيخ لها في الصغر من خلال الأعمال الإبداعية يجعلها حصنا حصينا أمام شهوات النفس الأمارة بالسوء في الكبر، خاصة عندما تكون النفس أكثر انفتاحا والأفق أكثر اتساعا أمام شهوات الحياة ومغرياتها ويبرز ذلك في قصة "من يكسب السباق" يتسابق سعد مع صديقه سعيد ليس على العَدو إلى مسافة ما أو يكسب رزق ما أو جائزة ما ولكن يتسابق سعد وسعيد على من يوقظ الآخر لصلاة الفجر، مرات عديدة يكسب سعيد السباق، يحاول سعد أن يهزم الكسل ويكسب السباق ويضبط آلة المنبه، ويقوم مع قرآن الفجر، ويتلبسه الكسل ويخدعه بأن في الوقت متسع والنوم لذيذ وينام ويحلم أنه كسب السباق ويوقظ سعيد ويدرك انه أخطأ الطريق ودخل شارع آخر مسدود إلى أن يأتي سعيد ويناديه للصلاة .

قدم الكاتب للطفل رؤيا توجيهية غاية في الرقة دونما مباشرة منفرة، سعد يدرك أنه ضل الطريق عندما تلبسه الكسل وربط الشيطان على رأسه حجر بإطاعته شيطان الكسل ولم يقدم المشيئة.

وفى قصة "صيام محمود" يدرب فريد معوض الطفل على تحدى الصعاب من خلال التدرب على تحمل المشاق وبث روح المغامرة وتحدى النفس والشهوات وذلك من خلال العبادات الشاقة "الصيام" يصحو محمود متأخرا حين شعر يعطش شديد وقبل أن يشرب يسمع أذان الفجر، ويقع في حيرة هل يصوم أم يفطر في نهار رمضان، عليه أن يتحمل العطش إلى آخر النهار ويزهد محمود في اللعب لتجنب الوقوع في مشاكل و أخطاء وألفاظ قبيحة تفسد عليه صيام هذا اليوم الشاق الذي تحمل العطش فيه من أول دقيقة وحتى أذان المغرب، الذي جاء متأخرا عن كل يوم، وأكل محمود بنهم شديد وملأ معدته كثيرا، حتى تألم ولم يؤدى الصلاة لثقل جسمه ونام دون أن يكتب دروسه .

يدرب الكاتب الطفل على أن الصيام ليس تحمل الجوع والعطش فقط ولكن أيضا تجنب الفحش والقبح من اللفظ و الفعل حتى لا تضيع المشقة هباء ويجب أن لا نسرف في الطعام فهذا يضر الجسد ويشل التفكير وأداء العمل، حقا أنها قصة نفسية تربوية تعالج حرب النفس المؤمنة مع الشهوات والملذات من طعام وشراب، تغطى قيما عظيمة دونما تكلف وملل للطفل، وذلك لكونها منتقاة من كاتب مُحنك يدرك

الاحتياجات النفسية والتربوية لكل مرحلة سنية .

في قصص النجاح .. حفظ القرآن الكريم وسيلة للنجاح :

في أكثر من قصة يدعو الطفل إلى حفظ القرآن ، فحفظ القرآن يجلب لحافظه مكاسب جمة ويدر عليه الخير كله ، ففي قصة " صوت عبد الرافع " عبد الرافع الذي يحفظ القرآن ويتلوه بصوت جميل عذب ، تميز بين زملائه وأصبح قارئ ذا شهرة وفى قصة " الجائزة " زكريا ابن العربي الشهيد يحصل على أكبر جائزة من الحاج عبد الرحمن لحفظه القرآن كله ، وفى قصة حجرة القرآن " يطرح الكاتب لمحة حسرة وألم على عهد الشيخ " المحفظ القديم " الذي مات وماتت معه كل السمات الحسنة لتحفيظ القرآن بالقرية ، يلتقي الشيخ مع أحد تلاميذه في المنام وينصحه بالعودة إلى حجرة تحفيظ القرآن ليجعلوا القرآن يدوي في أرجاء البلدة ويعرج الكاتب على السمات الإنسانية للشيخ فكان إذا تكلم خرت أمامه الجبابرة وانصاعوا لأوامر فيما نشب بينهم من خلاف .

الموروثات الخاطئة والرؤيا الإنسانية في قصص النجاح :

الموروث من العادات هو كل ما تناقلته الفئات المختلفة من الناس كافة من اعتقاد ما قد يكون صحيحا أو خاطئا.

وأصبح في حكم العرف المتواتر المسلم به كل باطلا وفى اعتقاد العامة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو عكسه صواب ولكن الإيمان لما توارث فهذا ما آمن به الأجداد نقلناه عنهم، مثلا كان الاعتقاد أن المولود الذي يولد به عيب خُلقي "بركة" يتبرك بها الناس وأن غضب الله سيحل علينا إن حاولنا أن نعترض مشيئة الله ونتدخل في حكمته .

يعالج الكاتب هذا الموروث في قصة "حكاية طبيب إنسان" يولد الطفل الراوي وأصابع يده ملتصقة، ويسود الاعتقاد بالمورث الشعبي أنه "بركة" ولا يحب عمل جراحة لفصل الأصابع، إلى أن يراه الدكتور "أحمد عيسى" الطبيب الإنسان الذي يمحو الموروث الخاطئ من عامة الناس ويتكفل بعمل الجراحة ويصبح الطفل كاتب معروف ويلتقي بالطبيب في الكبر ويشكر له فعله لأنه أزال عقبة الموروث الخاطئ التي كانت ستقضى على موهبته.

حارب الكاتب الموروث الخاطئ برؤية علمية إنسانية رقيقة، يصطدم العلم المتمثل في الطبيب الإنسان بالموروث فيدفعه بقوة ويحل العلم محله لنحصد ثمار العلم مواهب كادت أن تدفن.

شخصيات السلسلة تتحدى الصعاب وتقهر الإعاقة.

نسج الكاتب قصصه من خلال شخصيات أطفال، وبالفعل أوضح الكاتب صورة الطفل من خلال الأحداث في لعبه ولهوه، مغامراته وتحدى الصعاب وذلك لتقريب القصص من الطفل المتلقي وغرس الطموح في نفس الطفل لتحقيق ذات الهدف المنشود داخل القصة في الواقع المعايش، ودائماً ما يواجه الطفل الشخصية الرئيسية بالقصة صعوبات ويستطيع قهرها والتغلب عليها.

تؤسس التجربة داخل الطفل خبرات حياتية ما، قصدها المؤلف، مثلا قصة "صيام محمود" يتعلم محمود من التجربة الصيام الصحيح ويتعلم سعد في قصة من يكسب السباق كيف يقهر الكسل ويقدم المشيئة دائما، ويتعلم عم حمدان من خبرات الصبي كما يتعلم الصبي من خبرات عم حمدان في قصة "دعني أعلمك شيئا"

وتواجه الطفلة معركة كبيرة في تحويل طريق الأب عن المال الحرام وتعامل معها الكاتب بشفافية كما أوضحنا في قصة "مدينة الورد" وبالفعل يفلح تحدى البنت لإرادة الأب ويتحول عن الطريق الحرام.

وتتحدى الطفلة مريم الإعاقة والظلام، وتحفظ القرآن على يد أبيها الضرير ويكون القرآن بمثابة العين ترى بنوره وتحظى بكثير من الجوائز والمكاسب في قصة "مريم تهدى فوزها".

القسم الثاني : (قصص النجاح) من منظور الأدب الإسلامي :

يؤمن الكاتب بأن الأدب الخالد هو الذي يثير كوامن النفس ويهز المشاعر ويساعد على تغيير المجتمعات وتحويلها من الفساد إلى الصلاح، فهو يعي أن فساد الأدب يفسد المجتمع، فالأدب إذا أسئ استعماله يمكن أن يحول ميول الإنسان واتجاهاته من جانب الخير إلى الشر ومن الأعمال الإيجابية إلى الأعمال السلبية المدمرة والمخربة، هذا بالنسبة للمتلقي الواعي أي البالغ فما بالنا بالطفل الذي يتشكل وعيه وعقله في مرحلة تثقيفه الأولى.

بناء على ما سبق يرفض فريد معوض تأطير صنوف الإبداع في أدب إسلامي وأدب غير إسلامي، فكل ما يدعو للخلق الرفيع والقيم الأخلاقية السمحة والأفكار النابضة نبذ الأعمال السلبية المدمرة والانتصار للخير على الشر كل هذا مستقى من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف الذي يحتوى كل الأديان السماوية ويؤمن بها اتباعه.

- لذا كانت السمة الغالبة على مدار القصص نابعة من هذه القيم السالف ذكرها، ففي قصة "مدينة الورد" استثمر الكاتب براءة الطفلة في دحر السلوك السيئ، وهى فكرة غاية في الشفافية كما أوضحنا .

- الأديان كلها تدعو إلى نبذ السلوك السيئ والقيم الأخلاقية الفاسدة ويرفض الأدب الذي يحتوى على مواعظ و أحاديث نبوية مباشرة دون توظيف داخل العمل، وهذا ما حذر منه (الشيخ/محمد قطب) الأدباء الإسلاميين "لا ينشئ أدبا حقيقيا، قد ينشئ موعظة والأدب يجب أن يخرج لنا المشاعر في صورة حية تعطى التأثير لا بطريقة مباشرة ولكن بشيء خفي"[٢٣] .

- وهذا بالفعل ما تنبّه إليه كاتبنا عندما دعا طفله إلى المحافظة على الصيام والصلاة وحفظ القرآن في قصص "صيام محمود"، من يكسب السباق، حجرة القرآن، الجائزة، صوت عبد الرافع .

- يطلق الكاتب لقلمه العنان من أجل الفكرة والهدف، فهو يلتزم بأيدلوجية معينة أي واقع اجتماعي ما يحيا وسطه، هذا الواقع يؤثر بالإيجاب في روعة التعبير وصدقه الفني والفكري وهذا ما برز من خلال التجربة الحياتية الواسعة في بعض قصص السلسلة "حكايات طبيب إنسان-مدينة الورد-حجرة القرآن-صيام محمود " فالالتزام لديه لا ينفصل عن الإبداع.

طرحت قصص النجاح أدباً اسلامياً راقيا بعيدا عن أسر الموعظة المباشرة الزاعقة والمنفرة.

طرحت القيمة الإسلامية دونما توجيهه و إرشاد و كلمات الصدق والورع والإيمان جاءت من صميم الإشراقات الروحية للملكة الفنية ومن إشعاعات البناء الفني وليس من خارجه .

اللغة أداة التواصل والتوصيل والرسوم لاكتمال الرؤية والتخيل :

بلغة سلسة تحمل البساطة والإيحاء تناول كاتبنا أفكاره القصصية، فهو يعترف بأن طبيعة الأدب تقتضي روعة التعبير وفصاحة اللفظ وما تصفحناه من قصص النجاح يثبت أنه مدرك تماما لقدرات متلقية وقاموسه اللغوي، فيتبع السلم التصاعدي للغة لتوصيل المعنى الجديد للطفل في قصة "حكاية طبيب إنسان" يقول "وإنك ستصير"بركة" يتبرك بها الناس"[٢٤]. وكأنما يقول للطفل أن البركة هى ما يتبرك به الناس ودوما ما تأتى من عند الله، وتارة أخرى يستخدم المجاز يقول في نفس القصة "وتفتحت اليدان" وفى قصة "حجرة القرآن" "بيده عصا من جريد النخيل، شقها لتصبح هينة لينه على الرأس"[٢٥].

جاءت القصص برسوم تعبيرية معبرة لرسام مبدع وهو الفنان/عبد الرحمن بكر، ففي لوحة واحدة على الغلاف يجسد الرسام مضمون القصة ولوحة متكررة عبارة عن علامة مائية عبر الكلمات تمثل الشخصيات المتكررة عبر القصص، وهى عبارة عن شيخ وطفلين بين يديه، الشيخ تارة يكون الشيخ جمعه محفظ القرآن في قصة "حجرة القرآن" وتارة يكون عم

[٢٣] د / نجيب الكيلاني : كتاب الأمـة ، مـدخل إلى الأدب الإسلامي

[٢٤] فريد معوض : قصة حكاية طبيب إنسان(قصص النجاح) ، مكتبة الإيمان بالمنصورة

[٢٥] فريد معوض : المرجع السابق

حمدان فى قصة دعنى اعلمك شيئا وتارة يكون الحاج عبد الرحمن في قصة الجائزة، بالإضافة إلى الطفلين وهما يمثلان المتلقى وشخصيات القصص.

في النهاية نكرر أنها قصص نفسية تجعل الطفل يواجه الصراع مع الحياة وتعطى قيماً تربوية عظيمة وإسلامية دونما تكلف وذلك لكونها منتقاة من كاتب محنك يدرك الاحتياجات التربوية والنفسية لكل مرحلة سيئة، قصص جيدة وجدت الناشر الشجاع الذي تحمس لنشرها بعد دراسة متأنية لاحتياجات السوق واحتياجات المتلقي الطفل لمثل هذه القصص القصيرة في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتطور العلمي والكتاب الإلكتروني، فهي قصص قصيرة سهلة التناول بسيطة الإيقاع والفكرة، إنها حقا سلسلة كم يحتاجها أبناءنا الصغار، تضيف إلى ثقافتهم صروحا فكرية جديدة بأسعار زهيدة فتحية إلى الكاتب والرسام وتحية إلى الناشر ونهنئ أنفسنا بهذا الإصدار.

قراءة في قصص "زمان في قريتي"

للكاتب فريد محمد معوض

بقلم

د. أميمة منير جادو

أولا- قراءة عامة وخطوط عريضة :

يردني بداية عنوان المجموعة القصصية "زمان في قريتي" بزمن الأصالة.. زمن القيم الجميلة.. زمن الطهر والنقاء والإيمان والرضا والقناعات النبيلة التي تجمل وجه الحياة.

وحين أتوقف أمام ملحمة "قريتي" التي اختارها الأديب : فريد محمد معوض.. فإنها تؤكد هذه المعاني وتحملني فوق هذا البساط السحري أو كأني أركب آلة الزمن عودة لأروقة و دهاليز وفسيفساء التاريخ.. تاريخ القرية خاصة وحضارتها بالمعنى الشمولي للحضارة "حضارة القيم" وليس فقط الحضارة المادية بالتقنيات التي تسلب روح الإنسان لتجعله مجرد ترس في آلة من آلات ورش الإنتاج فيفقد مشاعره وشاعريته، ويفقد معاني الانتماء والإيمان والإصالة و التى تعنى الخصوصية والتميز.

وحين نطالع المجموعة القصصية المتنوعة للكاتب فريد معوض التي اختلفت عناوين قصصها.. لكنها ارتبطت معا بهذا الخيط الذى يمثله العنوان الرئيسي "زمان في قريتي" نجد وكأنها حبات لؤلؤ وزمرد وزبرجد وماس.. إلخ إنها حبات من أحجار كريمة متنوعة، كل حجر كريم يمثل قصة كريمة المعنى سخية العطاء، فى سطور كثيفة ذات دلالة بلا إسهاب وبلا مبالغات وبلا تزيد عبر هذا الحكى العفوي والسرد الصادق الذي يمس شغاف القلب فيثير بنا الذكريات ونتوحد مع الحدث وبعض المواقف والشخوص لنكتشف أن الكاتب لا يحكى عن شيء يخصه ولكنه يخصنا جميعا، وبذلك تمثل القصص في مجموعها هما قوميا اجتماعيا وأعرافيا واحدا.... كما أننا لو اعتبرنا أن كل قصة بحد ذاتها مجرد جزيء في فسيفساء متكاملة فإن مجموعة القصص تكتمل بها اللوحة التي تشرح لنا-عبر تشريحنا لها- معطيات واقع هذا الزمان في القرية فإذا قرأ القصة هذا القروي من الشرقية اكتشف أنها تمثله، وإذا قرأها هذا القروي من الغربية أو من المنوفية أو من القليوبية.. إلخ وجدها أيضا تمثله وترمز لقريته ولزمانها أيضا ومن هنا تكتشف دلالة الهم الجمعي الواحد بخاصة لريف الدلتا، وقد لا نبالغ إذا ما قلنا والذي يمتد حتى أسوان مع بعض الاختلافات الطفيفة التي تتعلق بالعوامل الجغرافية في بعض المناطق فتؤثر على تفاصيل الحكي، وليس على تفاصيل المنظمة القيامية أو الوجدانية.

هذه كانت بعض الملامح العامة التي كانت تشكل الخطوط العريضة لما تنطوى عليه المجموعة مكتملة من مظاهر وانطباعات أولية:

فإذا ما ولجنا بداخل السطور لكل قصة على حده وعبر القراءة التحليلية والتأويلية لاستطعنا أن نبدأ في رسم فسيفساء المحتوى التربوي أو المغزى الخلقي أو القيمي أو البيئي أو العلمي.. إلخ

ولعلنا فى هذه القراءة المتواضعة لبعض نماذج المجموعة "زمان فى قريتى" للكاتب فريد محمد معوض نلقى الضوء على ما هدفنا إليه وما استطعنا استنباطه عبر التحليل القرائى للنص والسرد القصصي وبشكل موضوعي دون أدنى تحيز لاتجاه ما أو فكرة ما... أو للكاتب نفسه رغم اعتزازي الكبير بقلمه وبفكره ورغم قناعاتى الشخصية بإبداعاته المتميزة وموهبته الخلاقة وصدقه الفني الرائع وجودة المحتوى والأداء السلس بلا افتعال للغة خاصة فجاء أسلوبه العفوي ليشكل لنا لغة متميزة ومتفردة خاصة بفريد معوض دون أدنى شعور بأنه استلهمها من غيره من الكتاب أو تأثر بكاتب معين مما يدل على صدق موهبته وأصالتها .

وهو بلا شك-وبحسب قناعاتي الشخصية-كاتب موهوب ولعل بساطة شخصه ونبل خلقه وتواضعه الشديد وأدبه الجم لا يجعلنا نكتشف هذه الموهبة عبر ملامحه المسرفة الطيبة ولكننا سرعان ما نكتشفها عبر القراءة والسرد القصصي .

ثانيا القراءة التحليلية والتأويلية :

١. "قصة ليلة لأهل الله "وقد نشرها في مجلة قطر الندى في العدد ١٢٧ بتاريخ ١٤ سبتمبر٢٠٠٠.. في هذه القصة المكثفة يطرح الكاتب فريد معوض أحد المظاهر الدينية والتي تمثل عرفا اجتماعيا سائدا لدى أهل القرى وهو "النذر لله" والنذر لله مسألة دينية حثّ عليها الدين الإسلامي وقد وردت بالآيات القرآنية في أكثر من موضع: "وليوفوا نذورهم.." ويعرض الكاتب في بساطة وعذوبة معا بعض تفاصيل المواقف التي تستوجب النذر لله عن أهل القرية مثل نجاح الولد، نجاة القطن من الدودة، ولادة الجاموسة.. إلخ عنها مجرد أمثلة مكثفة ويسوقها بسرعة لتوحي بالدلالة عبر القراءة التأويلية ذلك أن طقس النذر لله من الطقوس الدينية لكنها ذات الأهداف الدينية والاجتماعية ولا تخلو من تأثرها بالعامل الاقتصادي أيضا إن الكاتب عبر القصة المكثفة التي جاءت بمثابة إشارات سريعة "فلاشات" قد ألقى الضوء بكثافة على الطبقات والشرائح الاجتماعية ذات الدخول الاقتصادية المختلفة.. فضلا عن القيم المرتبطة بهذا العرف الديني وهو واجب الوفاء والذي يقابله عذاب الضمير للدرجة التي تؤرق صاحبها في مضجعه إذا لم يفي بالنذر وبالتالي يسعى للوفاء بأي سبيل، ثم يطرح الكاتب كيف يتحول هذا الطقس الديني إلى طقس اجتماعي يبث المحبة وينشر السلام ويفض الخصام ويجنح للتسامح فيقول الكاتب "والرائع أنه لا أحد يرد العطاء الذي يأتيه حتى لو كان بينه وبين صاحب الليلة خصام، ولا بد أن يقول له: كل مرة وأنت طيب، وهنا يتبادلان الكلام ويعود الحب والوئام "وهى خاتمة موفقة من الكاتب ودونما إقحام لقيمة يريدها الكاتب فهو يكتب لمنطقة اللاوعى التي تقوده للوعي بالقضية... فمنطقة اللاوعى تمثلها الذكرى التي يستحضرها من واقع زمان القرية، والتي تمثلها ذكرى الوجدان الجمعي لكل من مارس هذا الطقس أو رآه فليس منا من لم يقدم على هذا العمل كنوع من التقرب على الله والدعاء والرجاء بان يحقق له أملا ما أو طموحا لعله بعيد المنال، أو لعله يخشى الإخفاق فيه فإنه ينذر النذر لله، وكل امرئ ينذر بحسب تفاصيله الخاصة، وبحسب همه الذاتي الذي يصبو إليه.. إنه يعيش بالرجاء والتمني وبالتواصل مع الله عبر الدعاء الخالص من القلب والذي لا يشوبه شائبة من رياء لأنه يتعلق بأمنياته الشخصية وكذا بمستوى عجزه مقارنة بقدرة الله فهو يستمد القدرة من الله عز وجل وهو يدعو بصدق

وباضطرار إيمان منه بالآية وبالدعاء "يا من يجيب المضطر إذا دعاه" والنذر هو الذي يؤكد ويفيد معنى الاضطرار لأن الإنسان الذي لا أمل له في أي شيء ولا حاجة له بشيء ربما يصرفه هذا عن الدعاء والترجي من الله وهذا افتراض جدلي وغير واقعي لأن كل إنسان هو دائم الحاجة إلى الله وإلى دعائه وبالتالي إلى النذر وهو معادل لحالة الاضطرار النفسية الداخلية والتعلق بأجيال الأمل، فيبتهل للسماء طمعا و رجاءً أن يقبل الله الدعاء بل بالنذر أيضا، إنه منتهى الخضوع لله عز وجل، ومنتهى الإيمان والخشية والعبودية .

إن القصة على كثافتها تثير الكثير من الطرح الديني والاجتماعي والاقتصادي ذلك لتفاوت القدرة المادية بين أصحاب النذور والذين يمثلون أهلي القرية ..

وفي النهاية فالنذر بمثابة الأضحية والقربان الذي يتقرب به العبد لله دليل على الجود والبذل من أجل رضي الله ولقد وفق الكاتب تماما في طرح واحدة من أسس الحياة القروية .

٢. قصة "شمس العيد" وهي منشورة بمجلة قطر الندى العدد ١٧ بتاريخ ١/١ /٢٠٠٠ أجمل ما في هذه القصة هو الأسلوب، يأتي الأسلوب كبطل للقصة، فقد استنطق الكاتب الجمادات بعدما جملها بالكنايات، وأثار خيال الطفل فهو يؤكد بداية عبر الأسلوب الولوج في مناطق الجمال "أيام زمان" يقول في افتتاحية القصة "ندى العيد بلل أشجار قريتي" وكأنه يؤكد أن اليوم غير كل يوم فهو يوم عيد والندى حين يبلل الأشجار، فقد تبدو مغسولة أو لامعة نظيفة... إنه لم يقل المطر لأنه ليس بالضرورة أن يكون يوم العيد ممطرا لكنه يود بعث الطفل على الراحة منذ البداية فاستخدم اللفظ المناسب جدا، إنه يريد منذ بدأ القصة أن يؤكد على النظافة بشكل عام خلال نظافة البيئة ونظافة الملبس، هذه النظافة التي تشيع البهجة في النفوس والراحة في البصر ولقد وفق الكاتب أن استطاع تفجير هذه القيمة "النظافة" خلال طقس ديني مبهج وهو العيد بكل فرح الطفولة وبراءتها وبكارتها.. ولم يتحدث عن النظافة في الأيام العادية، إنه اختار اليوم المناسب لإبراز هذه القيمة الجمالية والإيمانية.

إن أسلوب الكاتب في هذه القصة يجعلنا نستحضر الفرح واللهو البريء ونستحضر أصوات العصافير وتغريدها وجمال الأشجار ونظافة الشوارع وحرص الجيرة على النظافة لأنفسهم واحترامهم لنظافة غيرهم حتى لو كان طفلا يمر أمامهم، يقول الكاتب "والنسوة يكنسن أمام دورهن، وكلما اقتربت من إحداهن تقف حتى أمر احتراما لي ولجلبابي الجديد ، تقول لي ووجهها يرسل خيوطا مضيئة: كل سنة وأنت طيب يا ضنايا "

هل أجمل من هذا معنى؟ هل أجمل من هذا أسلوب؟ هل أبسط وأصدق من هذه العبارة في تجسيد وتكثيف الموقف وتأكيد قيم الإيمان "خيوطا مضيئة" وتأكيد قيم الجيرة "احتراما لي ولجلبابي الجديد" وتأكيد قيم الحب والتبني "يا ضنايا" ياه على الروعة.. ياه على الروعة... والإبداع... والجمال...

يرسم الكاتب في قصة قصيرة للأطفال لوحة بانورامية للعيد فيؤكد فيها على فرحة المسلم بالعيد والإيمان بالله "التكبيرات تنبعث من جامعنا القريب: الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد"

والبذل الاقتصادي المادي فنشم رائحة طهي الطعام، ونرى بعيون الكاتب وبعيوننا عبر الاسترجاع والشارع كالعريس، والأرض كالعروس"

إنها التشبيهات والكنايات البسيطة ذات الدلالة الكثيفة فالعروس والعريس هما في أبهى حللهما وهي أوج حالة الجمال للإنسان..

إن هذا ما يريد أن يقوله الكاتب، عن الشارع في أفضل وأحسن وأجمل حالاته..

ثم يتحسر في نهاية القصة على ما آل إليه حال الشارع وحال القيم أيضا "الآن تصفع النسوة شارعنا بالنفايات، ويتنافسن في ذلك كثيرا.. ويبكى شارعنا "

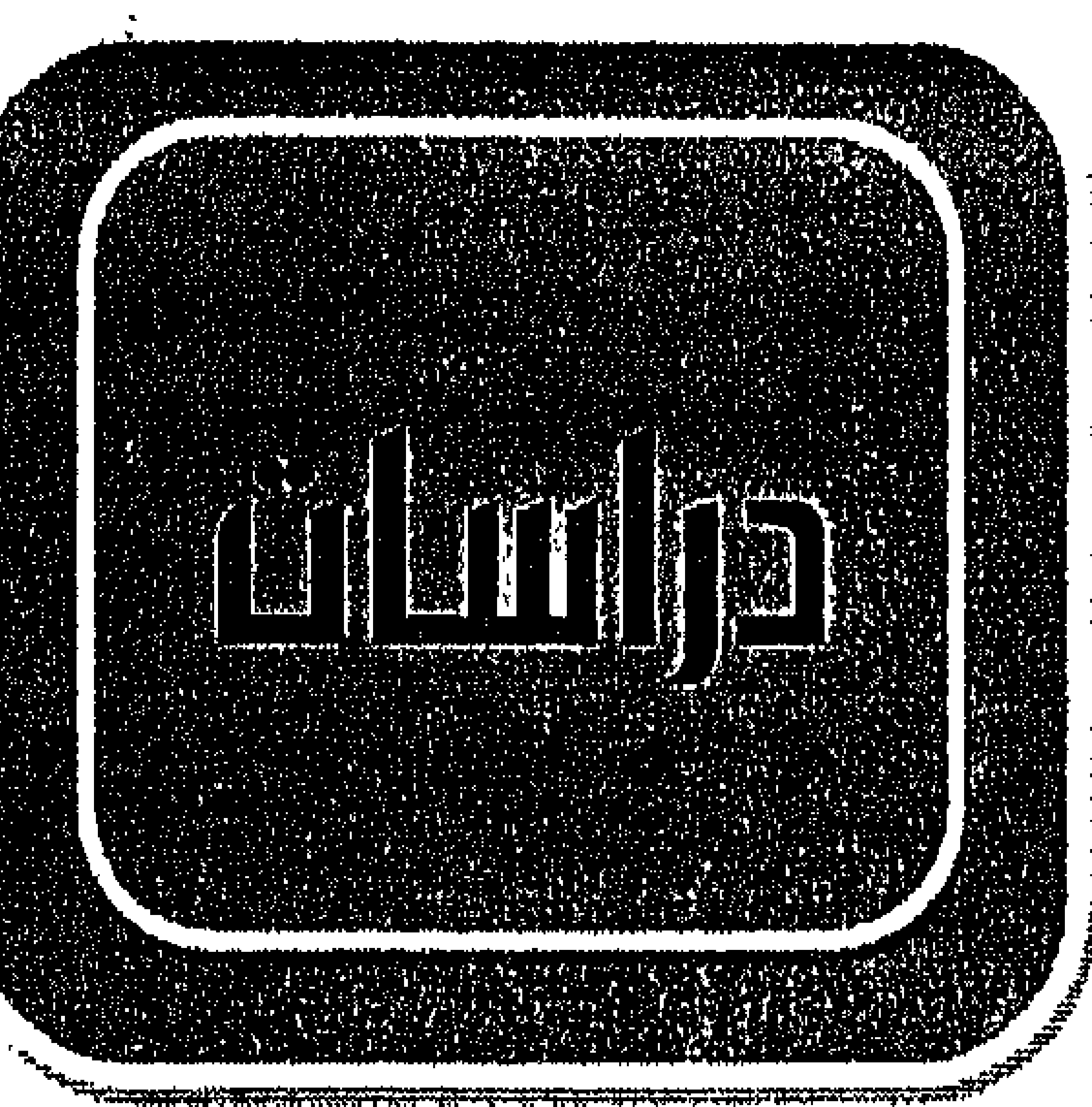
إن كلمة "يتنافسن" ذات دلالة موحية على تراجع القيم وكأن التنافس على القذارة حل محل الاجتماع على النظافة الذي كان يوم العيد.

ولا يملك الكاتب إلا أن يطرح التساؤل الذي ينطوي على التمني بعودة الزمن الجميل "ولا يفرح شارعنا بالعيد، ولا يفرح العيد بشارعنا مثل زمان، فهل نعيد إليه وجهه الذي كان ؟"

إنها دعوة من الكاتب للعودة لزمن الجمال والقيم الجميلة ففى هذه القصة رصد لواقع أصيل "كان" ودعوة لأمل جديد نتمنى أن "يكون" أو أن "يعود" !

إنها بلا شك قصة جميلة بل رائعة تنافس فيها الأسلوب والقيمة على البطولة.

بل هي قصص بالغة الدهشة وأريدك أيها القارىء أن تتنقل بين رياض هذه القطوف لتعايش القرية في أبهي تجلياتها من خلال نصوص لكاتب مبدع استطاع أن يرصد لنا هذه القطوف بفن وجمال.


دراسات


في
الدراما والتليفزيون

أحلام الصورة وبلاغة الكادر

بقلم

محمد عبد الحافظ ناصف

هي الصورة الأكثر بلاغة من الحروف حين تُرسم أو تُصور أو تُقدم على شاشة عرض أو خشبة مسرح أو نشاهدها على شاشة فضية، هي الأمل الذي ظلّ يراود فريدا وآخرين حتى أمسك بسرها وتمكن منها ومنحته القدرة على كتابة آلاف المشاهد الحية التي تأخذ بالنفوس إلى فضاء الإبداع الرحب.

أتذكر حين كنا نبحث عن طريقة كتابة السيناريو المصور "Strips" لأدب الأطفال في نهاية الثمانينات وبدأنا نبحث وعرفنا أن الطريقة ليست بعيدة عن السيناريو السينمائي "Stript" بعد التخلص من بعض المصطلحات مثل الليل والنهار وخلافه وكنا نود أن ننشر سيناريوهات مصورة في مجلات الأطفال، ووضع معوض ومطاوع وعساكر أيديهم على الشكل الأمثل لذلك وواصل معوض القراءة والاهتمام بالسيناريو السينمائي وقرأ كثيرا في هذا الفن و درس العديد من المسلسلات التي نفذت بالفعل حتى أنه قدم عدة ندوات ومحاضرات عن فنّ كتابة السيناريو وكنت معه في واحدة منها بقصر ثقافة المحلة وعدة أماكن ثقافية أخرى، كان لديه طموح ولدينا معه أن نحقق إنجاز الجيل السابق في كتابة السيناريو وخاصة المنسي قنديل وجار النبي الحلو، كانت التجربة الجيدة أمام العين تزيدنا إصرارا وحماسة أن نصل إلى دهاليز التليفزيون المصري.

أول خطوة ..

وظلت أحلام معوض باعتراك فن كتابة السيناريو تراوده طويلا إلى أن فاز بجائزة مهمة في فن كتابة السيناريو وكان تنفيذ السنيناريو هو الأمل الأكبر من الجائزة في حد ذاتها، فكاتب السيناريو لا يكتب كي ينشر عمله في صفحات ولكن كي يرى عمله على الشاشة روحا تتحرك في المقام الأول. كان سيناريو "عندما غنت سيناء" البداية والانطلاقة نحو دروب التليفزيون المصريّ واستطاع دخول صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات ووجد ترحيبا وبدأت الشركة في تنفيذ أول أعماله ويضع قدميه على أول الطريق ويعلن ذلك لأصدقائه ويحدثني عن التجربة ويعطيني العنوان ويصر أن أحاول وأجرب وأذهب إلى الشركة وزاد من حماسي عندما عرفت أن الشركة ترحب بالكتاب الجدد.. وأنهم يفضلون الأدباء وواصل حماسه بعد تصوير عمله الثاني "التبة المسحورة" ثم الثالث "من قصص النجاح" وجاء عمله الرابع "تعالوا نكتب قصة" متميزا في ٣٠ حلقة للأطفال للمخرج رأفت عبد السميع وكانت الفكرة جيدة ومبتكرة لتقديم مسلسل من خلال عناصر القصة مثل الشخصية بأنواعها والحوار والصراع والمكان والزمان وعرض المسلسل على عدة قنوات مصرية وعربية واستطاع معوض الدخول من نقطة مدهشة يجبر الإنتاج أن يتحمس له ولعمله وقد دُهش حسني الرحماوي رئيس مجلة إدارة الشركة حين قابله فريد وكان الرجل يصرّ على مقابلة المؤلفين والسماع لأفكارهم أولا ثم يوافق ويعطي إشارة البدء للكتابة ثم تأتي الموافقات بعد ذلك.

حارة الموناليزا .. عمل مشترك

بدايتي مع السيناريو لم تكن سهلة لكن معوض قد يسر لي طريقة اللقاء مع رئيس مجلس إدارة شركة صوت القاهرة وكان السؤال الذي يتردد داخلي كيف أقنع الرجل بإنتاج مسلسل لي في أول لقاء معه؟! لكن اللقاء كان جيدا ومثمرا فقد وافق على تحويل روايتي للأطفال "أحلام النهار" لمسلسل وهاتفني السيناريست أحمد عطا كي أقابله حتى يكتب السيناريو وقابلته وأعد السيناريو لكن الشركة اعترضت وطالبوني أن أعد السيناريو وكتبت أول سيناريو لي لكنهم لم يقبلوه وطلبت من معوض أن يعد صديقنا محمد الشرقاوي سيناريو "أحلام النهار" وفعل محمد الشرقاوي وأعد عملا جيدا أشعر أنه سوف ينفذ يوما ما لكن الرقابة غير الواعية وقتها. طلبت أشياء جديرة بنسف العمل من جذوره وخيرني أن يفعل ما يريدون وإن كان غير مقتنع فطلبت منه ألا يفعل شيئا ليس مقتنعا به وتوقف المشروع تماما.

وعرض عليّ معوض أن يحول مجموعتي "حارة الموناليزا" إلى مسلسل وتناقشنا وبدأ العمل وسمّاه "عزيزة في حارة الموناليزا" وأوجد حيلة فنية تجمع كل القصص من خلال روح القصص وجاءت فكرة أتيليه الموناليزا الذي يجمع كل صور الشخصيات التي فعلت عملا متميزا تستحق لأجله أن توجد في هذا الأتيليه وتبدأ الحلقة من صورة الشخصية ثم تتواصل أحداث الحلقة المنفصلة بعدة شخصيات رئيسية في الحارة مثل عم صابر والجدة أم السعد وعزيزة بنت حارة الموناليزا وصار مسلسل "حارة الموناليزا" هو العمل الوحيد الذي كتب له السيناريو والحوار.

لغة السيناريو :

وأهم ما يميز مسلسل"حارة الموناليزا"سيناريو وحوار فريد معوض لغة الاقتصاد، فقد كان الحوار سريعا متدفقا مقتصدا والمشاهد متلاحقة ما بين الداخلي والخارجي التي يعشقها لأنها تغطي روحا للحلقة ولم يبعد المعنى الاقتصادي المادي ، فلا يكتب شيئا يكلف الإنتاج ولا ضرورة له ولا يكتب في الوصف شيئا لن يحقق وجودا تصاعديا دراميا يأخذ الأحداث للأمام ، لا يذكر شيئا يكلف الشركة مليما ولا قيمة له لذا كانت الشركة ترتاح له كثيرا لأنه يعي معنى الاقتصاد الذي يجب أن يتحلى به كاتب السيناريو.

لغة السينما :

هي اللغة التي يعشقها فريد معوض في كتابته للمسلسل التليفزيوني ، حيث المشاهد القصيرة المتلاحقة البعيدة عن المط والحشو الزائد الذي يضعف العمل وقليلا ما يلجأ إلى المزج لكنه يفضل أن يقوم بتشكيل مشهدا جديدا أو لقطة جديدة ولا يلجأ له إلا لضرورة قصوى ولغة السينما هي اللغة التي يفتقدها المسلسل العربي لأن شروط الإنتاج القاسية تتطلب ضرورة كتابة ٣٠ حلقة مراعاة لتكاليف الإنتاج الكبيرة التي ترهق المنتج ، إضافة لأجور النجوم التي تأخذ أكثر من نصف الميزانية.

معوض/الشرقاوي .. تعاون مشترك :

تعامل فريد معوض مع السيناريو بثلاث وجوه: الأول كتابة القصة والسيناريو والحوار لمسلسلات مثل "عندما غنت سيناء" و "التبة المسحورة" و "من قصص النجاح و "تعالوا نكتب قصة " و الحالة الثانية: هي كتابة السيناريو والحوار لقصة حارة الموناليزا والحالة الثالثة

هي المساهمة بالقصة وأعد لها السيناريو والحوار محمد فتحي الشرقاوي لعدة مسلسلات هي "المرسي والأرض" بطولة جيهان فاضل وإخراج محمد السيد عيسى وسهرة "عزاء أهل القرية " للمخرج أحمد فهمي عبد الظاهر و مسلسل "المنادي" بطولة أحمد بدير وإخراج رضا النجار ومسلسل "وعادت القلوب" بطولة عزت العلايلي وإخراج عمرو عابدين وقيد التنفيذ مسلسلين هما :

أرض الهويس ومسلسل البصمة واللافت أن المسلسلات جميعا تعاون مشترك بين معوض والشرقاوي والجميل أن شركة صوت القاهرة كانت معجبة جدا بهذا التعاون الفني غير المسبوق بين اثنين وكانت الشركة تفخر دائما أنها قدمت معوض والشرقاوي وأنهما من ابرز كتاب السيناريو والحوار بالشركة وظلت مراحل الإعداد الأولى للسيناريو تشهد تعاونا كبيرا ومكثفا حتى تتم كتابة المعالجة وملخص الحلقات .

يبدأ الشرقاوي في الكتابة.. لم يكن ينقطع التواصل بل يستمر حلقة بحلقة متى ينتهي الشرقاوي ويذهبان معا لتقديم المسلسل ويتابعان تنفيذ العمل حتى يشاهد المتفرج أول حلقة منه .

كلمة أخيرة :

المتأمل لأعمال فريد معوض التليفزيونية يكتشف أنه الوحيد بين أبناء جيله الروائيين وكتاب القصة الذين تحولت كل أعماله الروائية والقصصية إلى أعمال درامية للتلفاز بلغت حوالي ثمانية أعمال للكبار وبعض أعمال للصغار والسؤال الذي يسيطر عليّ.. ترى لو أن معوض ممن تطبل لهم أجهزة الإعلام أو كان ممن صاروا كتابا بقوة منافذهم الإعلامية لقامت الدنيا بالطبع لكن الرجل ظل قابعا في قريته سامول يفرح أن أبناء قريته والقرى المجاورة والمحلة تفرح به فيفرح أكثر دون ضجيج أو صداع، إن الزبد يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس، تبقى أعمال شاهدها ملايين المصريين والعرب وقرأها مئات الآلاف من الصغار والكبار وليس عدة مئات من قراء دور النشر التي تأخذ ثمن النشر مقابل زيف الأعلى مبيعا في الصفحات الأدبية غير الموضوعية والمأجورة أحيانا.. فلا نامت أعين الجبناء!!

"عزاء أهل القرية"

بقلم

د. صلاح ترك

ودائما كان العطاء الأدبي والفني للمبدع الموهوب فريد محمد معوض، وكان رغم بعده عن أضواء القاهرة الباهرة، مزارا للفنانين والأدباء من كافة أنحاء الجمهورية الذين يذهبون في قريته "سامول" لكي يتمتعوا برؤيته، ويستأنسوا بجلسته، وكان يأخذ مر يديه ويخرج بهم إلى الأرض الخصبة المزروعة بالخضرة والحياة، ويجلس وسطهم بين الأشجار الندية والأحلام الوردية، ليحكي لهم عشقه الدائم لأرض النماء والجمال في قريته الحبيبة إلى قلبه.

لقد أفتتن "فريد معوض" بالأرض الطيبة وارتبط بعلاقات حميمة بأهل قريته "سامول" حتى أصبح أبنا للجميع وأخا لكل إنسان يعيش فوق أرض قريته الصغيرة.

لقد امتزجت أفكار "فريد معوض" بأحلام فقراء قريته في حياة أفضل وزمن جميل منتظر، ورفاهية مؤجلة لبعض الوقت، ومن امتزاجه الصادق مع أهل قريته أصبح موطن أسرارهم وحافظ لسرائرهم وعندما أمسك بالقلم خرجت قريته "سامول" بشكل جديد يتمناه لها في أعماقه، قرية عظيمة، حياة أهلها قد تحسنت، والأفكار القديمة قد بليت، والخير قد غطى جنبان القرية بأكملها.

لقد خرجت أحلام "فريد معوض" في صور متعددة ، قصص، روايات، دراما تلفزيونية، مقالات أدبية، وتعددت الوسائط الإبداعية ولكنها جميعا ترتوي بنفس النبع، القرية المصرية وأحلام أهلها، وكيفية تغيير ظروفها إلى أفضل صورة ممكنة.

لقد أستطاع المبدع "فريد معوض" أن يتخيل أهل قريته عندما يأتي خبر بأن شخصية كبيرة وهامة من أبناء "سامول" قد توفى في القاهرة وقرر أن يدفن في قريته "سامول"، وتخيل الكاتب المبدع هذه الشخصية الثرية التي تركت قريتها من سنوات طويلة تعود إليها لكي تدفن فيها، وهل سيرحب أهل القرية بابن قريتهم؟.. لقد طرح "فريد معوض" هذا السؤال وأنتظر من الأحداث الإجابة، وحاول أن يرسم الشخصية بما يخدم قضيته الأزلية وهي حب القرية والانتماء إليها، وأن ارتباط أهل القرية بقريتهم والحفاظ عليها وتقويتها وتدعيمها سيكون له مردود كبير في ارتباط أهل مصرنا كلها بها، فالجزء يعقبه الكل، ولابد أن يتبنى النتائج على المقدمات.

كتب "فريد معوض" تمثيلية سهرة تلفزيونية بعنوان "عزاء أهل القرية" وكان كل هدفه أن تكون وسيلة فعالة لعرض وبيان أفكاره الراسخة في حب قريته.

"عزاء أهل القرية"، عزاء أهل قرية سامول عندما بلغهم أن "رأفت بيه الصياد" رجل الأعمال والسلطة والنفوذ وصاحب السرايا في البلد والذي أعطى حق التصرف لفلاح القرية "جاد الله" الذي يرعى مصالحه سواء في المال أو في الأرض، ومن المعروف أن من يدير الأرض الشاسعة لرأفت بيه لابد وأن يحظى باحترام أهالي القرية لأن هناك شبكة من العلاقات لابد وأن تتم بينه وبين أهل القرية.

أراد رافت بيه قبل موته أن يدفن في أرض أهله في ساموول بعد إن دار ولف واجتهد في بلاد اخرى وكون ثروات كبيرة وله أصحاب من جميع المراكز الأدبية والعلمية في مصر، جاء وكيل أعمال المتوفى "عزمي بيه" وطلب من العمدة (عبد الله فرغى) أن يجهز القرية لاستقبال المتوفى وأيضا المعزيين، مؤكدا أن الشوارع التي ستمر بها الجنازة يجب أن تكون نظيفة وأعمدة الكهرباء مضاءة والزبالة تستبعد من كل الأماكن والطرق، وعندما شعر العمدة بغرابة الطلبات حاول أن يبدى غضبة ولكن مدير الأعمال أطاح به بكل القيم وقال:- انت تسمع كلامي أنا وبس، لان فيه وزرا جايين وأيضا أعضاء مجلس الشعب وفنانين، ومندوب عن رئاسة الجمهورية وأمن مركزي وشرطة وأمن الدولة ومخابرات وحراس خاصة وتلفزيون ..

وأكد "عزمي بيه" للعمدة أن مستقبله كعمدة مرتبط بهذه الزيارة ولا داعي للقيام بأي خطأ في التنفيذ.

رضخ العمدة للمطالب الشاقة التي أبلغه إياها "عزمي بيه" وبدون قبول أي اعتراض من العمدة لعزمي بيه.

يتم تكليف العمدة ووكيل أعمال "رأفت الصياد" في القرية والمسمى "جاد الله" والذي مثل الشخصية "سامي مغاوري" باقتدار وهو الذي يدير أراضى "رأفت بيه الصياد" في البلد ويرعى مصالحه ويتحكم في ماله، وطبعا لابد وأن يرضى مدير أعماه "عزمي بيه" بأي شكل حتى لا يسبب خطأ منه في أن تنزع منه الأرض والسطوة والجاه على حس رأفت بيه.

تبدأ طلبات تحسين الطريق الذي سيمر منه الشخصيات التي حضرت، والتي سوف يتم إقامة سرادق العزاء عليها وهى ارض ملك لفلاح فقير وبيه زرع اخضر لم يكتمل ومجاورة لسرايا رأفت بيه، فأرسل (جاد الله) رجاله واحتلوا الأرض ونزعوا الزرع النابت الأخضر ودكوا الأرض بالرمل وبوروها حتى تمليه إقامة أفراح عليها.

وعندما حاول الفلاح الفقير أن يدافع عن أرضه تم التخلص منه وهانته وإبعاده عن أرضه.

وأخذت تجهيزات استقبال الضيوف تعد بهمة كبيرة بعضها بالتهديد والوعيد والأخر بالترغيب الضحك على الأهالي.

حضرت إلى القرية صحيفة من القاهرة لنقل الاحتفالية وكيفية أهل القرية لابنها المتوفى رأفت بيه، وكان من الصحيفة ابن خالها المصور لأخذ صور لهذا اللقاء المشهود.

وهنا تمكن فريد معوض وبمنتهى التجاوب مع القرية التي يعرفها جيدا خلق "فريد معوض" عناصر التشويق في التمثيلية، فلابد أن يتم استطلاع رأى اهالى القرية في معرفة هل سيرحبون بقدوم المتوفى إلى قريتهم..؟!.. ولقد تفاوتت الأراء في ذلك فهناك اعتقاد بين أهالي القرية انه يعتبر من أبناء قريتهم ويجب الاهتمام باستقباله.. والبعض يردد ما معناه أنهم لم يعرفونه إطلاقا وانه مثل الغريب.. ولم يقم بأي عمل خيري لقريته أو حتى مساعدة في الارتقاء بها. ولقد تزعم هذا الرفض الباش مهندس إبراهيم ابن القرية الذي انتهى من دراسته الجامعية ليتفرغ لرعاية الأرض التي تركها أبوه والاهتمام بها وتزويد مساحتها للضعف والصرف على أخواته وتجهيز من تزوجت بالمنقولات وخلافه وأيضا تزويج أخيه، ولقد أجمعت الآراء في القرية على احترام الباش مهندس إبراهيم لقربه منهم ودفاعه عن مصالحهم بدون انتظار لرد، ولقد أجاد تمثيل دور المهندس إبراهيم الفنان (أحمد سلامه)

بمرونة وهدوء وثقته انعكست على اتخاذ أصعب القرارات بدون تردد أو خوف من أحد، يقف أمام المهندس إبراهيم بمبادئه النابعة من مبادئ المجتمع المصري الريفي وأخلاقياته الطيبة الأصيلة العمدة وأتباعه من مرتزقة وأصحاب مصالح ومنحازين بسبب الحاجة أو خوفا من بطش السلطة كما يقف (جاد الله) الذي يمثل الانتهازية الريفية بأحلى صورها والمستفيدة من إدارة ارض رأفت بيه الصياد والحكم في ماله ونفوذه في القرية.

بمنتهى البرود والانتهازية، لقد أفرزت القرية المصرية بعض النماذج البشرية التي تحث عن العمل السهل بمنتهى الإخلاص، ويكفيها أن تعيش من الارتخاق من فوائد الاغتيال مقابل تقديم اى خدمة يطلبونها حتى ولو كانت ضد القانون أو الأخلاق، وقد تكون هذه المهنة متوارثة منذ نظام المحتسب الذي كان يجمع المال من الفلاحين لأجل الوالي ويختار بعض الأشداء من رجال القرى التي يسيطر عليها بشرط أن يكون رجلا قويا وإجرامي الهيئة والطبع فيكلفه بجمع وإدارة مصالح الأغنياء في فترات الحصاد أو بيع المحصول وكان يطلق عليه "الخولي" وهو الذي كان يعمل بفكر إستبدادى تابع لأصحاب المصالح وعدوا لأهالي القرى التي هي مغلوبة على أمرها ولا يستطيع المقاومة لشدة الحاجة والفقر وخوفا من انتقام الأقوياء والذي يمكن أن يشمل أولادهم وأقاربهم الضعفاء.

لقد أوضح الكاتب ومن خلال السينارست "محمد فتحي الشرقاوي" أهمية أن يكون الإنسان محبا لوطنه ومضحيا في سبيله ومستمر في العيش فيه وتقديم أقصى قدر من المساعدة له حتى يكون جديرا بالانتساب لوطنه والمتمثل في قريته أو مدينته ، لقد دارت الكاميرا في القرية لتصوير انطباعات أهلها وكيف أنهم لا يشعرون بأهمية ابن قريتهم الغنى والمشهور جدا والذي رغب في أخر أيام حياته أن يدفن في أرض قريته التي تركها لسنوات عديدة وذلك لأنه أحس بعدم جدوى المال والجاه والسلطان مقابل الراحة الأبدية في الأرض الطيبة التي يشعر منها الإنسان بالراحة والاحتضان والحب الحقيقي البعيد عن زيف المناصب ونفاق الأتباع وعدم صدق العواطف .

وتتوالى الأحداث ويقرر أهل القرية أن يقاطعوا الصوان المخصص لاستقبال المعزين في وفاة رأفت بيه الصياد بعد أن حرم أبنه وزوجته العزاء على أبناء القرية في السرادق المقام على أرض أحد الفلاحين الغلابة بالقوة والمجاورة للسراية وذلك حتى لا يختلط الفقراء من أهل القرية بالشخصيات المشهورة والثرية القادمة من القاهرة للتعزية، لقد شعر أهل القرية بالإهانة بما فيهم من أقارب المتوفى أو من الأهالي الآخرين، فالأرض أرضهم والمتوفى ابن قريتهم ولكن لا يسمح إلا للغرباء بالتعزية والظهور أمام الصحافة والتلفزيون والتلميع الإعلامي .

وفى مشهد رائع انتهى الصراع بين البسطاء من أهل القرية والغرباء من أصحاب النفوذ ومحبي مظاهر الدنيا الخادعة بأن جميع أهالي القرية توحدوا وتركوا الغداء في السرادق الفخم المقام لرأفت بيه الصياد وذهبوا لمشاركة المهندس إبراهيم ابن القرية الذي قدم العديد من الخدمات لأهلها في حفل زواج أخيه وبين الإغانى ورقصات الفرح وابتهاجات الاحتفال به كانت هناك المفارقة الدرامية بأن السعادة والابتهاج مقابل للحزن والصمت في سرادق العزاء .

وفي النهاية وبعد انتهاء العزاء والفرح يتجه موكب المعزيين من ساموول الى القاهرة ليقابل على الطريق الزراعي زفة المزمار البلدي للفرقة القادمة للفرح من المحلة الكبرى والتي تأخرت عن الحضور ، وبين أصوات الفرح وموسيقى المزامير البلدي الصارخة الضاحكة

يقف صفوة المجتمع القادم للتعزية في دهشة وتعجب لما يسمعونه لتنتهي المقابلة بضحكات الصحفية والمصور وباقي المشاهدين لطرافة الموقف وبنهاية التمثيلية التليفزيونية .

لقد استطاع المبدع الفنان "فريد معوض" أن ينقل لمشاهدي العصر الحديث أن هناك أساس قوي ومهم في الانتماء للوطن فلا معنى لصلة القربي إذا كانت بالمولد فقط وليست بالحب والانتماء والتواصل، فما معنى أن يتصل الإنسان بمجتمع ما عن طريق صلة النسب أو القربى أو المولد وبدون أن يتعاش معه أو يقدم له الخدمات والمساعدة..؟!.. لقد اهتم أهالي القرية بمجاملة المهندس إبراهيم الذي يحبهم ويقف معهم في شدائدهم وتركوا عزاء رأفت بيه الصياد رغم نفوذه وسلطته ومركزه .

فالإنسان لا يحب إلا من يحبه ولا يهتم إلا بمن يشعر فعلا بأنه صادق في هذا الحب .

ولقد أبدع الفنان "فريد معوض" في عرض حقيقة وطبيعة الحياة في الريف المصري لقربه منه وامتزاجه النفسي والعقلي معه، وكأن فريد معوض هو نفسه المهندس إبراهيم الذي يشعر بمن حوله من أناس ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم، ولقد نقل هذا التعاطف الحقيقي إلى العمل الدرامي فخرج سلسا لا صعوبات فيه ولا تعقيدات وكان المنطق العقلي سمة من سمات العمل، فخرج المشاهد وهو في أتم اقتناع بإمكانية حدوث هذه النهاية المفارقة التي قد تبدو للبعض أنها ضد المبادئ الريفية الأصيلة التي تحافظ على التقاليد الموروثة والمجلاملات الطبيعية وخاصة في حالات المواساة والعزاء لفقد جارا أو حتى غريب وقيام جميع الأهالي بواجب التعزية والمشي في الجنازة بشكل جماعي والمشاركة في الدفن وتقبل العزاء مع أهل المتوفي، ولكن الكاتب هنا يؤكد على أهمية التواصل الحقيقي الصادق بين جميع أفراد المجتمع وليس مجرد في المناسبات أو مجرد بالاسم فقط .

هناك اختيارات موفقة للمؤلف وكاتب السيناريو مثل اختياره "جريدة الحياة" كجريدة تعمل بها الصحفية التي تغطي الحدث في سامول، وكأن الصحافة يجب أن تنقل صورة صادقة من الحياة حتى تكون موضع ثقة القارئ والمجتمع. وأيضا اختيار الشيخ المقيم الشعائر في المسجد بالقرية الذي سينبه على الأهالي الحضور بعد العشاء للمسجد لمقابلة العمدة لسماع تعليماته بخصوص التحضير للعزاء ، شيخ كفيف وهنا الاختيار ليس للفكاهة ولكن لبيان أن الأمر الذي ألقى إلى العمدة بتجهيز القرية ليوم العزاء تلقاه بدون اعتراض أو حتى إبداء أي رأي وكأنه لا يمكن تنفيذه إلا من خلال "الكفيف" الذي يبدي الموافقة بدون أي اعتراض هو الآخر، فليس هناك أي فرق بين انصياع العمدة المبصر وأيضا موافقة الشيخ الكفيف ، فتنفيذ الأمر يتطلب إلغاء للبصر والبصيرة .

ويقرر المؤلف أن تأتي آراء أهل القرية بصورة مركزة في ردّ المهندس إبراهيم على الصحفية في أسباب عدم تأجيله لفرح أخيه حتى تنتهي احتفالية العزاء عندما قال :

احترم نجاح رأفت بيه الصياد الذي لم أقابله أبدا.. احترم نجاحه في كل المجالات ولكن المحصلة لي ولأهل سامول يساوي صفر ، كان يمكن يعمل مشروع تجاري يخدم أبناء البلد اللي تحت سيف البطالة، اسم سامول لم يجيء على لسانه مرة واحدة .

ويوضح المؤلف أسلوب الانتهازيين من أصحاب المصالح في القرية عندما طلب العمدة من جميع أفراد القرية في المسجد دفع خمسة جنيهات لعمل نعي باسم قرية سامول للتعزية في الجرائد لرأفت بيه الصياد ، وبدلا من أن يتم إعطاء أعل القرية الفقراء نصيبا من خير ابن قريتهم رأفت بيه وجد أهل القرية انفسهم مطالبين بدفع مال في الوقت الذي قال البعض

منهم أنه لا يتحكم على هذا المبلغ وسوف يبقى في المسجد حتى الفجر هربا بمن ينتظر خارج باب المسجد لجمع النقود، منتهى التناقض بين أحلام فقراء القرية وأطماع أصحاب النفوذ فيها والمصلحة، فالغني يزداد غنى والفقير يزداد فقر.

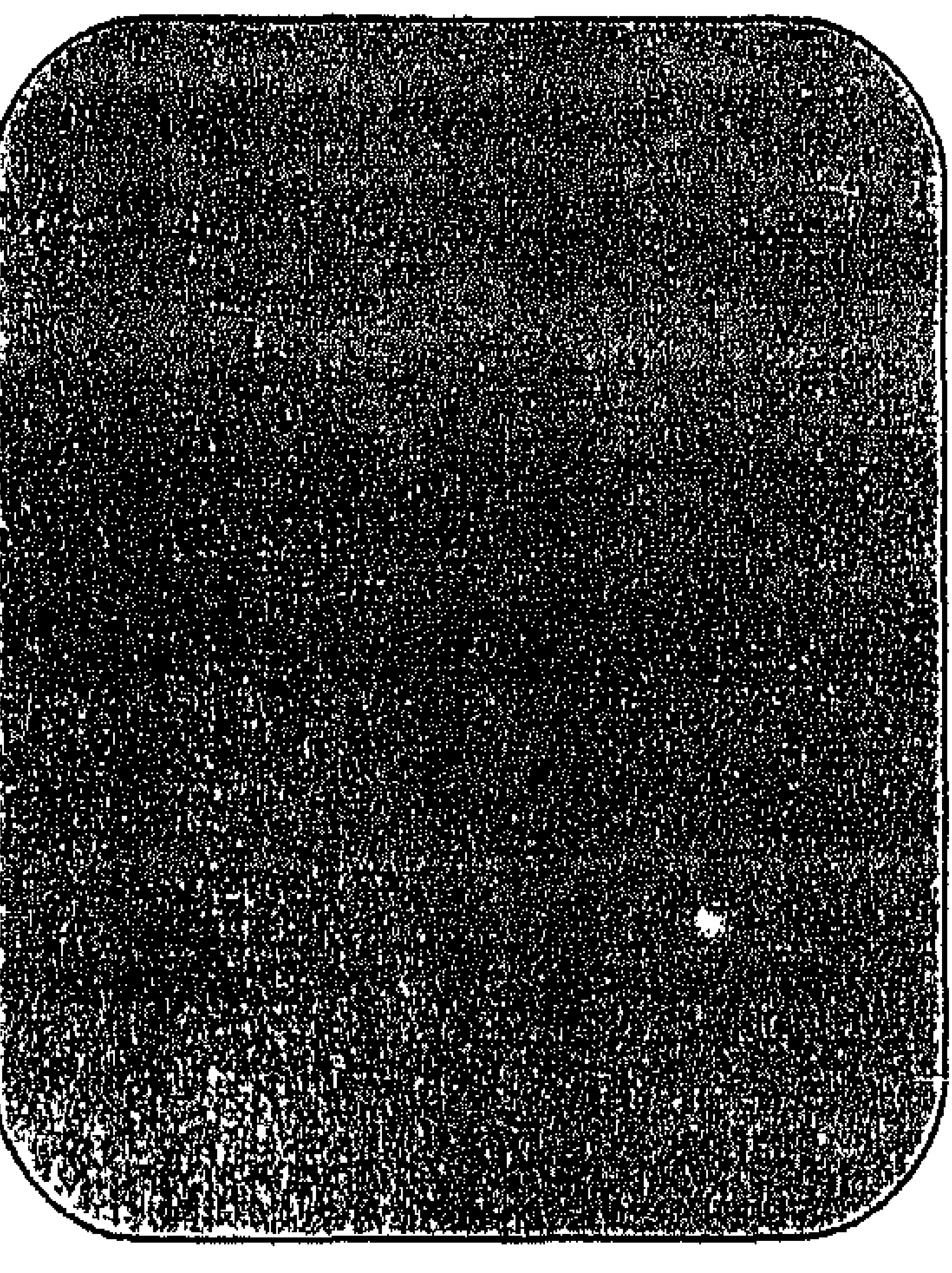
وفي مشهد من أجمل المشاهد وجدنا عددا من الفلاحين الغلابة يحلمون وهم جلوس بالمسجد كيف أنهم سيلتقون بكبار القوم من المعزيين القادمين من القاهرة، فأحدهم يحلم بأنه يضع يده على كتف أحد كبار رجال الشرطة في ود وصداقة، والآخر يحلم بأنه يتجول مع أحد أعضاء مجلس الشعب ليصل معه لحلول لمشاكل القرية، وثالث يحلم بأنه يقابل أحد مخرجي السينما ويطلب منه أن يسمع صوته لأنه مغني رائع وأيضا يرى تمثيله لأنه ممثل قدير (أبدع الفنان محمد جبريل في هذا المشهد) ويحاول أن يتفق مع المخرج على الأجر ويسأل على خمسين ألف جنيه ولا خمسة وعشرين ألف جنيه.

أحلام تراود الفقراء من أهل القرية ويعتقدون أنهم سوف يحققونها إذا حضروا لاستقبال أصحاب النفو والمشاهير من المعزين، ولكن كل ذلك كان وهما حاول العمدة دسه في نفوس أهل القرية حتى يحقق الغرض الذي يسعى إليه من الاستفادة الفورية والمادية والمعنوية من هذه الزيارة المفاجئة.

لقد أضاف الكاتب المبدع فريد معوض إلى الدراما التليفزيونية ما يكن أن نطلق عليه الدراما الاجتماعية الإنسانية التي تحاول إبراز ما يدور بين الناس من أقول قد تبدو لها معاني معنية ولكن ما يقدمونه من أفعال تحمل معاني أخرى، وهناك أناس في هذه الحياة يبدون بخلاف ما يبطنون، وليس من السهولة معرفة ما يدور في خلدهم من أفكار إلا بصعوبة بالغة، وهذه الدراما التليفزيونية استطاع فريد معوض بحرفية بالغة أن يدق ناقوس الخطر بأن هناك أفكار مستوردة من بعيد عن أفكارنا السليمة والمتوارثة، ينقلها لنا البعض من خارج مجتمعاتنا وذلك بغرض تخريب كل ما هو جميل وصحي وأصيل في بلادنا ولذلك يجب الحذر والمقاومة والتعاون ضد هذا الهجوم الجارف الآتي مع الثقافات الغريبة والبعيدة عن أحلى ما نتمثل به من قيم اجتماعية سليمة.

لقد كانت نظرات زوجة المتوفي رافت بيه وابنها إلى أبناء القرية المصرية الصميمة ما يوحي بذلك المضمون الذي استطاع فريد معوض بحساسية الفنان الأصيل والواعي أن يجعل من تمثيلية درامية مجالا فنيا إبداعيا عبر فيه عن حقائق حياتية مهمة وأخيرا كانت هذه رسالة عظيمة أرسلها لنا كاتبها المبدع أنه لابد أن يكون ما نرد به على هذه الهجمة الثقافية هكذا لأن ذلك هو عزاء أهل القرية.. قريتنا جميعا.


شهادات



فريد معوض .. هذا الفلاح الجميل

بقلم
محمد جبريل

إذا كان المبدع-في ذاته-قيمة مهمة ومطلوبة، فإن المبدع الذي يجاوز إبداعه الفردي، ليسم بلده أو إقليمه بحالة إبداعية قوامها العديد من المبدعين، وجدوا في الريادة ما يغرى بالمحاولة، واكتشاف الذات الفنية، والإسهام بإبداعاتهم، بما يضيف إلى الفضاء الإبداعى بعامة ويثريه. ذلك ما فعله المتنبي عندما صار-بديوانه الشعري-حاديا لعشرات الآلاف من شعراء العربية الذين وجدوا فيه مغايرة فنية رائعة، وذلك ما فعله نجيب محفوظ برواياته التى جعلت من الشخصية المصرية-بتعدد جوانبها-محوراً لها، الأمر نفسه بالنسبة ليوسف إدريس الذى كانت إبداعاته القصصية-باعتراف مبدعي عصره ونقاده-نقلة فنية للقصة القصيرة العربية، بحيث مثلت الإبداعات الإدريسية غواية لمبدعى جيله: صالح مرسى وعبد الله الطوخى وفاروق منيب وسيد جاد وغيرهم، وحاول أدباء الجيل التالى-ما يسمى بجيل الستينيات-أن يعمقوا التجربة، كل بوسائله الفنية، وقرأنا إبداعات أفادت من مغامرة إدريس، ثم أقدمت على المغايرة، وهو ما حققته أعمال محمد حافظ رجب وعبد الحكيم قاسم ورمسيس لبيب ويحيى الطاهر عبد الله ومحمد روميش، والقائمة طويلة.

فريد معوض واحد من هؤلاء الذين حرصوا أن يوسعوا مدى تجربتهم الإبداعية التى تنطوى بالتأكيد على مغايرة فنية جميلة، من خلال دور إشعاعي بين مبدعي جيله ومثقفيه بعامة. أنصت فريد جيدا إلى أصوات الأجيال السابقة، ليس في أدبنا العربي فحسب، وإنما في الأدب العالمي أيضا (يسرت لي حواراتنا أن أتعرف إلى المبدع الذى حرص على إثراء تجربته بفنون ومعارف شتى). وبعد أن اطمأن فريد معوض إلى قيمة إبداعاته-من الصدى الذى أحدثته على مستوى الوطن العربي- فإنه حاول مجاوزة الفردية إلى إيجاد حالة إبداعية، تنطلق من قرية سامول إلى المركز الذى تتبعه، وهو المحلة الكبرى. تحولت المحلة، والقرى التابعة لها، إلى ساحة إبداعية تزخر بعشرات المواهب الحقيقية في مجالات الإبداع، بل إن هذه الحالة الإبداعية ذكرتني-شخصيا-بمحاولة سابقة-على مستوى الوطن تلك المرة- هي المدرسة الحديثة التي أنشأها-في مطالع القرن العشرين- أحمد خيري سعيد ورفاقه محمود طاهر لاشين ومحمود عزى وحسين فوزي وغيرهم، لا أطرح المقارنة، فالبون شاسع بين تجربة رفعت شعار نعم للأرفع والأبقى، لا للتقليد والمحاكاة، وتحت ذلك الشعار تعرفنا إلى معطيات ظلت غائبة عن الإبداع المصرى، وهى معطيات لم تقتصر على الإبداع الشعرى والسردى، لكنها امتدت فشملت الموسيقا، وقد اعتبر سيد درويش من أبناء المدرسة الحديثة، كما اعتبر الفنان التشكيلى العظيم محمود سعيد من أبناء المدرسة نفسها، وقدم أستاذنا حسين فوزى أول أوبريت مصرية خالصة التأليف والتلحين .

قيمة تجربة المحلة أنها مضت فى الطريق نفسها التى أضاءتها كتابات فتحى فضل وجار النبى الحلو وسعيد الكفراوى ومحمد المنسى قنديل ومحمد صالح وغيرهم ، لكنها توزعت إلى طرق أخرى، اختطها المبدعون أنفسهم، وتحولت المحلة إلى مدينة إبداعية، مشابهة لمدن إبداعية فى امتداد الوطن، ربما تتفوق على عاصمة الإقليم الذي تنتسب إليه، ولعلنا نتذكر الثلاثي الشهير الخضري عبد الحميد وبهاء السيد والداخلى طه الذى جعل

للمدينة الصغيرة ملوى مكانة تسبق بها المنيا عاصمة الإقليم، وحتى لا أثير حساسيات غير مقبولة فإنى أكتفى بالإشارة إلى دور المحلة الكبرى فى حياتنا الثقافية، ولا يخلو من دلالة أنها المدينة الوحيدة-عدا عواصم المحافظات-التي تضم قصرين للثقافة .

أثق أن الدور الذي تؤديه المحلة في المجال الإبداعي والثقافي المصري، ينبهنا إلى أن الأقاليم ليست مجرد مورد طعام للعاصمة، لكنها-بالإضافة إلى ذلك-مورد إبداع يصنعه أبناؤها الذين اختاروا الإقامة فى مدنهم وقراهم .

سامول قرية صغيرة تابعة لمركز المحلة الكبرى، التابع لبندر طنطا، التابع لمحافظة الغربية.. هذه القرية الصغيرة أعطت المثل-من خلال إخلاص ومثابرة أحد مبدعيها-بما يمكن أن تضيفه إلى جماليات المشهد الإبداعي والثقافي في بلادنا بعامة . أعطت سامول فريد معوض الميلاد والتنشئة، وأعطاها المكانة المتميزة بين آلاف القرى المصرية.

صديقي الأستاذ الجامعي الدكتور صلاح ترك من أبناء المحلة. أدركته حرفة-هواية-الأدب، فاقترب من مبدعي الإقليم، يقرأ لهم ويقرءون له، ويشارك في الندوات والمؤتمرات الثقافية .

حدثني عن الظروف القاسية التي عاناها فريد معوض، وهى ظروف صحية ومادية واجتماعية، جعلت من المقولة التي ترى أن الألم العظيم يصنع فنا عظيما مجرد نكتة سخيفة، لأن الظروف-إن اشتدت في قسوتها-تفتح الأبواب لما يصعب تصوره، بحيث تنتهي العلاقة مع الإبداع إلى خواء. إنها أقرب إلى المقولة الأكذوبة أن الفقراء لهم مملكة السماء. لماذا لا يتمتعون بمملكة الأرض ؟ .

قاوم فريد معوض المرض بكل ما أسعفته به قدراته البدنية والذهنية وظروفه المادية. وفى الوقت الذي وجد من يقلون عنه موهبة-وإن فاقوه في المكانة الاجتماعية-رعاية طبية معلنة، فقد ظل فريد معوض يتنقل بين المستشفيات العامة ومستشفيات التأمين الصحي، دون أن يفقد إصراره على أن يصنع شيئا، فانتظمت ندوته الأسبوعية في بيته المتواضع بسامول، وأصدر سلسلة أدبية باسم "كتاب سامول"، وأشرف على إقامة العديد من المؤتمرات الأدبية المحلية والإقليمية .

وحين فطن اتحاد الكتاب إلى مسئوليته عن أحد أعضائه، كانت الشمس قد لملمت أشعتها، وانتهى الأمر !

يا فريد ...

بقلم

جار النبي الحلو

يطاردنا الحزن في كل آن، نعتصره لنأخذ منه شفافية الفن، نكتب حتى نعيش، ونكتب حتى الموت، وهكذا كنت أرى "فريد معوض".. يا لتلك البدايات المواجهة لقسوة الحياة، ويا للموت الذي يحط علينا بصمته وهدوئه.

يرحل الراحلون، يتركوا الدنيا ولا نتركهم. قبل رحيل "فريد" بحوالي عشرين عاما.. التقينا، حكى لي صديقي "محمد عبد المنعم"عن زميل له في العمل اسمه "فريد"يحب كتابة القصص ويريد أن يلتقي بي . فرحت ورحبت والتقيت به .

كان شابا نحيلا طيبا للغاية، يقطر محبة حتى خجلت من إنسانيته وفرط حبه لي، ولا يعرف هو كم فرحت به كما حدث من قبل عندما التقيت بـ"محمد العزوني" و "إيهاب الورداني"، كان احتفائي بالثلاثة بلا حدود، ورغم فارق السن بيننا كنت صديقا لهم، لكن فريد تخطى حدود الصداقة الشخصية لتصبح صداقة عائلية، فهو وزوجته عندنا في المحلة وأنا وزوجتي عندهم في "سامول" ، نأكل معا ونشرب معا ونحلم أيضا بمستقبل هذا الولد النحيل "فريد".

عندما يزورني يجلس كطفل يريد التهام الحياة، وأقرأ عليه قصص "يحيى الطاهر عبد الله "و "تشيكوف"، أحدثه طويلا عن جملة لـ "يحيى" أو فكرة لتشيكوف، وعندما دخل مستشفى الصدر بالمحلة كنا نجلس معا في حديقة المستشفى نتكلم في القصص والشعر، تلفحنا الشمس، فأتركه مبتسما، وفى طريق الخروج تدمع عيناي من أجل هذا الفتى، وأتذكر رحلته الصعبة مع الحياة في فلاحة الأرض والسفر إلى العراق ليعمل أمام نيران الفرن ليرسل ابتسامة صغيرة على وجه الأم الحبيبة، وظل حريصا على البحث عن الابتسامة العذبة ليضعها على وجوه الآخرين، حتى وضعها على وجوه الأطفال في كتاباته للطفل .

وتنقل من مجلة لمجلة ومن كتاب لكتاب ومن شخص لشخص، حتى أصبح "فريد" هو "سامول" وحوله يلتف شبانها ومنه نتعرف على "متولي الشافعي"، و"محمود" و"عزيز " و"جمال" و"مجدي" و"صادق". وسطع الضوء في قريته الصغيرة، ثم أصدر مع رفاقه كتاب "سامول" الذي طالني بحبه .

في رقدته الأخيرة، ذهبت إليه في "المبرة" لم أستطع أن أجالسه لفترة طويلة، قلبي يرتجف من ألمه، أخرج للشرفة لأقف مع "لطفي مطاوع" و"المطارقي" و"أحمد طايل" و أرجع، أجلس بجواره، أربط لساني، فإن تكلمت سأتكلم حزنا، وأقوم للشرفة، أرجع، كان يحاول الكلام وأدرك أنه في أشد الألم، أمنعه بيد حنون، لا تتكلم، أعرف يا فريد كل ما تريد أن تقوله لي.. لا تتكلم.

تركته.. وعند باب الحجرة وقفت و... لوحت له بيدي كالأطفال وحال لساني يقول: إلى اللقاء يا فريد .

فريد معوض .. القرية على هيئة إنسان

بقلم

محمد فتحي الشرقاوي

لن أجاري المشاركين في هذا الكتاب مقدرتهم النقدية ولا حسهم الأدبي في تناول أعمال كاتبنا الموهوب فريد معوض.. فأنا في نهاية الأمر لست أديبا.. لكنني قد أجاريهم في الكتابة عن الجانب الإنساني للرجل.. بل وأتفوق عليهم.. فقد اقتربت منه بما يكفي أن أعرفه .. وابتعدت عنه بما يكفي لأن أراه .

قد أخرج بكلماتي عن سياق الكتاب.. لكن هذه شهادتي.. وهذه كلماتي التي أستطيع أن أشارك بها في تكريمه وإن كنت أعتقد أن الكلمات مهما أوتيت من فصاحة لن توفيه حقه ..

لا يختلف اثنان على موهبة الرجل وأصالة ما يقدمه للمكتبة العربية.. سواء من أعمال الطفل أو القصص القصيرة أو الروايات.. تشهد له أوراقه.. وجوائزه.. وأصدقائه ومريديه.. وتلاميذه..

ولو كان العدل حاضرا في توزيع أضواء الشهرة في بلدنا.. لا نسحب الضوء عن كثيرين لا يستحقونه.. ولوقف فريد معوض في دائرة ضوء تبهر العيون وتتضاءل أمام وهجها أضواء أنصاف الموهوبين..

لكنه قدر الرجل.. كما هو قدر كثيرين في مصرنا المحروسة..

أما ما أتحدث عنه.. وهو الجانب الروحي للرجل والذي كان الأصل في تعارفي به.. فحدث ولا حرج.. تعرفت عليه منذ سنوات في حفل توزيع جوائز سينما الطفل في أحد الفنادق الكبرى..

عرفته منذ النظرة الأولى.. هو مثلي من أبناء الأقاليم.. الذين يخوضون في أضواء القاهرة رافعي الرأس.. لا تبهرهم ولا تحني جباههم.. وعندما دققت النظر رأيته من أبناء أقاليم الأقاليم.. من قرية.. ومن القليلين الذين يفخرون بأصولهم..

رأيته قرية في ثياب إنسان.. بكل ما تحمله القرية من أصالة وتقاليد وأخلاق وقيم ومبادئ تاهت في الزحام وبهتت وسط أعراف مستحدثة تعلي من شأن النفاق والتدليس.. وتقدس الرياء..

رأيته يساعد كل من يريد المساعدة.. سواء في مجال الأدب أو بعيدا عنه..

رأيته يتلقى طعنات ممن ساعدهم ويبتسم ببساطة.. كأن ما يحدث له هو من بديهيات حياته التي يرتضيها..

رأيته يتجاوز عن إساءات لا يتجاوز عنها إلا من يمتلك إرادة.. وسماحة نفس.. وإيمان.

لا تكفي الصفحات لأقول ما رأيته.. فمعرفتي به على المستوى الشخصي على مدى سنوات.. جعلتني أرى منه الإنسان قبل أن أرى الأديب أو الفنان.. لهذا لم يتم تعاون فني بيننا إلا بعد خمس سنوات كاملة من تعارفنا فقد جمعتنا الصداقة قبل أن يجمعنا الفن..

فريد معوض لم يسع إلى الأضواء قدر ما سعت هي إليه.. لم يدق أبواب ذوي الأمر قدر ما دقوا هم على بابه ، قدم أعمالا تغوص في أعماق القرية المصرية.. صادقة ناصعة.. أبعد ما تكون عن الافتعال.. لسبب بسيط.. أن الرجل من هناك.. وما زال يعيش هناك.. وما زال يفخر أنه من هناك.

وكلما زاد نجاحا وصعودا.. زاد تمسكا بتراب أرضه ودفء أهله وتحصن بحضن أحبته وأصحابه..

على عكس ما نراه من تطور طبيعي لمن تزداد شهرتهم وتألقهم.. فيهاجرون إلى دنيا الأضواء والشهرة.. فيفقدون أكثر مما يكسبون..

قرأت الرجل في أوراقه.. فتركت عالم دراما الطفل إلى عالم دراما الكبار.. كتبت معه سهرة عزاء أهل القرية ومسلسل المرسي والأرض.. ومسلسل المنادي.. ومسلسل وعات القلوب.. وفي الطريق يتم إنتاج مسلسل البصمة.. ومسلسل أرض الهويس..

وحتى كتابة هذه السطور لم أكتب سيناريو لأديب غير فريد معوض.. الرجل لم يحتكر جهودي.. لكنني ببساطة لم أستطع منه فكاكا.. فكلما انتهيت من عالمه في أحد الأعمال إلا وقذف بي إلى عالم جديد..

تكفيني منه فكرة.. كلمات.. لأجد ما أحبه..

إلى هذا الحد أصالة هذا الأديب الفنان وروعة موهبته.. أن يأخذ بيدك إلى عالمه.. بمجرد أن تتحاور معه..

هو لا يحتاج أجواء خاصة للإبداع.. أو وقتا للتركيز.. أو انتظار لوحي.. هو حالة إبداع دائمة..

يرى الفن في كل ما حوله.. ينسج خيوط قصصه ببساطه مذهلة.. يجد في أهله وقريته كل ما يحتاجه عالمه الأدبي من رؤى وتصورات..

وبخبرتي المتواضعة أرى أنه يحمل كنزا أدبيا لم يرينا منه إلا القليل.. فالرجل مخلص إلى أبعد الحدود..

يفني نفسه لخدمة الجميع ولو على حساب نفسه.. اسألوا عنه سامول.. تخبركم .

لو تمتعت أيها الفنان بقدر من الأنانية.. لنلت من الشهرة والنجاح والمال أضعاف ما أنت عليه..

لكنك يا صديقي لم تكن عندها ستبقى فريد معوض الذي أحبه الجميع.. هذا هو قدرك.. وهذا ما اخترته لنفسك.. وهذا ما لن تندم عليه..

قديما قالوا.. ألسنة الناس أقلام الحق.. ومن يتكلمون عنك في هذا المحفل وفي غيره.. هم خير شهود لك.. أنك إنسان أولا.. ثم فنان..

يكفيني شخصا فخرا أن يوضع اسمي بجوار اسمك على عمل فني.. وأن يقال عني-حين قال-هو أحد أصدقاء الأديب.. فريد معوض .

بقلـم

ربيع عقب الباب

كنت أؤجل زيارتي إليك في الفترة الأخيرة.

حتى كانت ليلة مغادرتك، فجأة صحوت مرتبكا، أسأل نفسي ما الأمر؟

اشتعلت النار في صدري، و انتابتني نوبة أرتيكاريا حادة، مزقت جسدي

و أنا أردد لم أزل : ما الأمر.. ما الذي يحدث ؟

و لم تمر بعد ظهور نور الصبح ساعة حتى جاءني الخبر، هنا فقط ارتخت كل عضلات جسمي، و أنا أحدق أيامنا معا، لقاءاتنا أحزاننا، أفراحنا، و عندما اشتد غضبي، انخرطت في صلاة، و استودعتك الله، كنت كبيرا، حتى و أنت لم تزل غضا !!

نم هانئا فريد.

فأنت هنا.. هنا لن تغيب.. لن تغيب !!

فريد محمد معوض .. المحب

بقلم

عبده الزراع

لازال الموت يتربص بمبدعينا ويختطفهم واحدا تلو الآخر، وهم لازالوا في ريعان شبابهم وعز عطائهم، ففي السنتين الأخيرتين غيب الموت يوسف أبو رية، وخيري عبد الجواد، ونعمات البحيري، ومحمد الحسيني، ومحمد عبد المعطى، ليلحق بهم الأديب فريد معوض، الذي رحل عن دنيانا صباح يوم الأربعاء الموافق ١٧فبراير الحالي بعد صراع طويل مع المرض، عن عمر يناهز التاسعة والأربعين وهو في عز عطائه الإبداعي، ظل يكتب حتى آخر أيام حياته، مراهنا على مشروعه الإبداعي، ورغم أن المرض-فيروس سي-اللعين كان يهاجم جسده وينهش في كبده منذ سنوات طويلة إلا أنه لم يشتك، ولم يلجأ لأحد بل ظل حاملا للمرض راضيا بما قسمه الله له، وأعطى كل وقته للكتابة والإبداع، وكان يقتطع من قوت أولاده للعلاج، ومنذ أكثر من عام ونصف كان قد ثقل عليه المرض، وعندما نما إلى علمي خبر مرضه اتصلت به هاتفيا ، وأخبرته برغبتي في السعي لدى أحد الأصدقاء للحصول على قرار علاج له على نفقة الدولة، ولكنه رفض بشدة، وقال لي: (الحمد لله مستورة) وطلب مني بألا أكرر هذا مرة أخرى، واحترمت رغبته ونبل موقفه، فلم يتسول يوما بمرضه ولم يتاجر به، بل ظل صابرا محتسبا إلى أن رحل.

ولد فريد معوض بقرية سامول مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية عام ١٩٦١، حفظ الكثير من القرآن الكريم بكتاب القرية، وكان لنشأته الدينية أثر كبير في عشقه للغة العربية، وحبه للقراءة والتحصيل منذ الصغر، وكان نابها ينبأ بمستقبل باهر، فأكمل دراسته الابتدائية ثم الإعدادية، ولأنه نشأ في أسرة فقيرة فوالده كان فلاحا بسيطا مكافحا، فتعلم فريد من والده الكفاح وحب العمل وكيف يمسك بالفأس ليضرب به الأرض بقوة فتخضر، وبسبب مرض والده المبكر عمل فريد منذ صغره بأعمال الزراعة لمساعدة الأسرة، وكان قد اتجه للتعليم الفني لذات السبب حيث حصل على دبلوم الصنايع قسم طباعة عام ١٩٨٠، وكان قارئا نهما حيث كان يلتهم كل ما يقع تحت يديه من كتب، وقد استفاد فريد مثل كل أبناء القرى من الموروث الشعبي الخصب والثرى المتمثل في حواديت الجدات والأمثال والمواويل والأغاني، وتأثر بالمنشدين الشعبيين، وعازفي الرباب الذين كانوا يتوافدون إلى القرية وأدهشه قدرة الراوي على جذب الناس إليهم، كل هذه المشاهدات والرؤى والقراءات وما استمع إليه في طفولته اختزن بداخله ليتفجر لديه ينبوع الإبداع الأدبي مبكرا، ليصبح بعد سنوات قليلة أحد كتاب القرية بامتياز ليترك لنا ميراثا كبيرا من الإبداع القصصي والروائي وأدب الأطفال، لتتعلم منها الأجيال الطالعة.

تعرفت على فريد معوض لأول مرة عام ١٩٩١ حينما ذهبنا سويا إلى قصر السينما لاستلام جوائز المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة، فقد كنت فائزا بجائزة القصيدة العامية، وكان قد فاز هو بجائزة الرواية عن روايته البديعة (المرسى والأرض) أتى لاستلام الجائزة برفقة زوجته وكان-على ما أذكر متزوجا حديثا-عاد أدراجه-بعد استلام الجائزة-إلى المحلة الكبرى، وعدت أنا إلى كفر الشيخ، وظللنا نتراسل سنوات إلى أن ألهتنا الحياة بتفاصيلها الكثيرة، وانقطعت الرسائل إلا أنني لم أنقطع يوما عن مطالعة قصصه المنشورة في

الدوريات الثقافية المختلفة، ومتابعة أعماله المنشورة في كتب بعد ذلك، إلى أن أتيت إلى القاهرة في سنة ١٩٩٥ وعملت في مجلة قطر الندى ليكون فريد من أوائل كتابها البارزين، وقد استمرت إبداعاته في المجلة على مدى خمسة عشر عاما لم تنقطع، و حتى صدور العدد قبل الأخير من المجلة، ومازال لدينا الكثير من إبداعاته المتميزة والتي ستنشر تباعا، وكأنه مازال يحيا بيننا، وإن كان-رحمه الله-رحل بجسده فإبداعه مازال وسيظل باقيا، فكما قيل (من كتب لم يمت)

وكان حضوره طاغيا في الحياة الأدبية، وشارك في عشرات المؤتمرات داخل مصر، ولم يقل نشاطه إلا في السنوات الأخيرة بسبب المرض.

وترك للمكتبة العربية العديد والعديد من الكتب، فقد صدر له في مجال القصة والرواية ما يلي: "تبات ونبات" قصص-كتاب مشترك-أدب الجماهير ١٩٨٨، "المرسى والأرض" رواية-قصور الثقافة ١٩٩٢، "عود ثقاب" قصص-هيئة الكتاب ١٩٩٢، "أيام في الأعظمية "رواية-قصور الثقافة ١٩٩٩، "أغلى من كل الناس" قصص-سلسلة إبداع الحرية ٢٠٠٢، "في وجه الريح" سلسلة إبداع الحرية، وله رواية تحت الطبع هي: "أرض الهويس" في الهيئة العامة لقصور الثقافة.

وفي مجال أدب الأطفال صدرت له العديد من الكتب منها: ودائما تشرق الشمس، حكايتي مع الطائر، نشيد الشمس، التبة المسحورة، قصص وقطط، الحكيم وحكايات الفن، علمنا الطير، الأرض تعلمنا، أول رسالة، قصة حياة كوبري، أم الحواديت، حكاية جدي والحصان، بستان الحكايات، زمان في قريتي، سيناء تغني، الديك والدجاجة.

وصدر له أيضا عددا كبيرا من سلاسل كتب الأطفال منها: مكتبة الصيصان (لأطفال ما قبل المدرسة) من قصص النجاح، أمير الحجر، حروف القدس، رحلة إلى الأقصى، لمحات علمية.

كما كتب القصة والسيناريو والحوار للعديد من المسلسلات التي أنتجها صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات منها: عندما غنت سيناء، التبة المسحورة، من قصص النجاح، تعالوا نكتب قصة، كما حولت بعض أعماله لدراما تليفزيونية منها: المرسى والأرض، عزاء أهل القرية، ويتم حاليا تصوير مسلسل (المنادى)

وقيد التصوير مسلسل (وعاشت القلوب هناك).

فاز فريد بالعديد من الجوائز الأدبية في مصر والوطن العربي، على سبيل المثال: جائزة سوزان مبارك "لعدة دورات"، جائزة أبها السعودية، جائزة الإتحاد العام للفنانين العرب عن روايته التبة المسحورة، جائزة الشارقة للإبداع العربي، جائزة يوسف السباعي، جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة "لعدة دورات".

ظل فريد طوال حياته مثالا للعطاء لم يبخل على أحد بنصيحة أو مساعدة، بل ظل يعطى دون انتظار المقابل، وفتح قلبه على مصراعيه، وأقام بمنزله صالونا أدبيا استمر ما يقرب من عشرين عاما قدم من خلاله العديد من الأدباء الجدد الذين يدينون له بالفضل، لتتحول "ساموك" قريته الأثيرة ومسقط رأسه إلى "جيتو" أدب الأطفال بفضل صالونه الذي كان قبلة لهؤلاء الأدباء.

ومنذ ما يقرب من شهر أشتد على فريد المرض، و سعى صديقه الكاتب المسرحي محمد عبد الحافظ ناصف، لدى إتحاد الكتاب، ليتدخل رئيسه الكاتب محمد سلماوي ويتم نقل فريد إلى معهد ناصر بقسم الكبد، وعندما علمت بخبر نقله إلى المعهد، قمت بزيارته قبل وفاته بعشرة أيام أنا والكاتبان: السيد القماحي ونشأت المصري، صعدنا ثلاثتنا إلى الحجرة التي كان يقيم بها في الدور الثالث لنجده برفقة زوجته و الكاتب محمد العزوني، وعندما رآنا تهلل وجهه الشاحب بالفرح، رحب بنا وصوته لا يكاد يبين، وراح يعرف بنا للعزوني، فطلبنا منه عدم الكلام لأنه كان مجهد، وظل ينظر إلينا مليا وكأنه يودعنا، قالت لنا زوجته: أنه لم ينم ليلة أمس وظل يتألم طوال الليل، وقال فريد بصوت واهن: "الدكتور عايز يكتبلى خروج بكره وأنا لسه تعبان" قلنا له: لا تخف سنذهب إلى مدير المعهد ولن تخرج حتى تمتثل للشفاء، طمئنا فريد وانصرفنا جميعا متجهين لمكتب مدير المعهد هبطنا في الأسانسير إلى الدور الأرضي، فلم نجد سوى نائب المدير شاب وسيم بشوش شرحنا له حالة فريد وقلنا له إنه أحد كتاب مصر الكبار، فكيف يخرج قبل أن يمتثل للشفاء تماما، كنا غاضبين ولكن الدكتور ببشاشته امتص غضبنا ووعدنا بأنه سيبعث له حالا الدكتور المختص لكي يقرر حالته بالضبط، ولو كانت حالته ليست مستقرة سيظل بالمعهد حتى تستقر، خرجنا من باب المعهد لنجد أمامنا محمد عبد الحافظ ناصف، في طريقه لزيارة فريد، أخبرناه بما حدث وقال لنا: اطمئنوا إنني سأتابع الحالة مع الدكتور، والحقيقة أن ناصف كان لا يترك فريد طوال فترة تواجده في المعهد، بل كان دائم التردد عليه ملبيا له كل مطالبه، خرجنا من المعهد في طريقنا لاتحاد الكتاب، وأنا موقن أنني لن أرى فريد مرة أخرى، فقد كانت حالته في غاية السوء، وبالفعل ظل فريد في المعهد عدة أيام بعد هذه الزيارة، عاد بعدها إلى سامول، فاشتد عليه المرض مرة أخرى، فنقل إلى المبرة بالمحلة الكبرى، لتفيض روحه إلى بارئها، رحم الله الكاتب الإنسان فريد محمد معوض.

بقلم
محمود عبد الله محمد

يقولون الجمال يبعث في النفس الشعور بالحب والجاذبية.. وأدنى تعريفات الجمال.. أنه كل ما يستريح له الذوق ويثير الإعجاب في النفس والجمال ما ترتاح له النفس.. ومن منا لم ترتاح نفسه إلى فريد محمد معوض؟!

..:: فريد ::..

كان يسعدك أي نجاح لأي أديب.. لأنك كنت أديب حقيقي.

وكان يفرحك أي اهتمام من الدولة بالأدباء.. لأنك كنت أديب حقيقي.

كنت تقول الأديب حقه مهضوم.. يكافح حتى يتعب ولا يجد من يثني عليه أو يعطيه حقه.

وكنت تبكي حين يموت أديبا.. ويذهب اسمه وأعماله الأدبية إلى طي النسيان.

فريد في تشييع جثمانه :

أول مرة بسامول نرى نعشين في مشهد واحد.. حتى أن الناس كانت تسأل:

(فريد في الأمام أم في الخلف ؟)

ولم يرد أحد.. فالمشهد مهيب.. وجلال الموت يعظ النفوس.. ولأن فريد أراه دائما في الأمام.. منذ أن كان يعمل إماما متطوعا بمسجد شمس.. ومنذ أن رأيته يقاوم مرضه ولم يستسلم إليه لفترة لا تقل عن ثلاثة وعشرون عام.. فهو في الأمام.

وفريد في الخلف.. لأنه كان كثيرا ما يؤثر غيره على نفسه بالسير في المقدمة واليوم بالذات أراه يفعل كذلك.. "فالحاج لطفي جودة" شريكه في الجنازة.. رجل جدير بالاحترام.. وفريد كان يحبه.

وفريد على الأعناق يتجه بثقة نحو المقابر.. لأنه لم يخف يوما من الحق وكان يقول: أنا مستعد له في أي وقت.. حتى وصل الموكب المهيب إلى المدخل.. فانحرف نعش الحاج جهة اليمين إلى مقابر عائلات جودة.. بينما ظل فريد في طريقه حتى مقابر أبو دشيش.. وأبو دشيش هنا يا سيادة.. هو اسم عائلة فريد.. وليس الفنان حمدي أحمد بطل مسلسل فريد الطفولي الجميل.. والذي كان يلعب دور أبو دشيش.

فريد في مرضه :

فأطبائه الذين كانوا يتابعونه.. وأصحاب الخبرات ممن مات لهم أقارب بمرض الكبد وأصابهم السرطان في آخر حياتهم-أعاذنا الله وإياكم شروره وآلامه-أخبرونا بأننا سنعاني مع فريد كثيرا.. عندما ينشط الفيروس اللعين.. فأحد أصدقائي قال لي: الله يكون بعونكم.. فأخي كان يهرول بالشارع من شدة الألم.. ونجري خلفه حتى يسقط مغشيا عليه.. فنحمله ونعود به إلى فراشه.

وكنا مستعدين لأن نتألم.. راضين بقضاء الله وقسمته.. حتى جاء اليوم الصعب وطرأت عليه تغيرات كثيرة.. أهمها كان قلقه وتوتره في نومه وجلسته.. ومع أن ابتسامته لم تفارق وجهه الجميل.. إلا أننا أيقنا أن رحلة الألم قد بدأت حتى دخل في غيبوبة طويلة.. انتقل على أثرها إلى العناية المركزة في الظهيرة.. وظل هكذا حتى أفاق لدقيقة أو دقيقتين.. ضمّ فيهما مصحفه إلى صدره ونطق الشهادتين وفارق الحياة.. فارقتها قبل أن تشعرنا بآلامك يا أعز الناس.

فريد في حياته :

لم يكن له سوى أخت أحبها وأحبته.. لم ينقطع يوما عن زيارتها أو الاتصال بها.. لكنه آخى الدنيا كلها.. بقلبه الطفولي الكبير.. وبحنانه وسعى صدره تعامل مع كل أفكار الأصدقاء والأدباء والساسة باحترام وتقدير.. فكان إذا اختلف.. اختلف بودّ ورفق.. لدرجة كانت تضايقني في أحيان كثيرة.. خاصة عندما كان يتحدث إلى إنسان على استعداد أن يخسر أهله من أجل حزب ينتمي إليه ..

- لكنه كان يبتسم إليّ ويقول مقلدا: "محمود عبد العزيز في مسلسل بشاير":

يا محمود أفندي يا جوز أختي.. كل واحد له أفكاره ووجهة نظره.. ووجهات النظر لابد أن تحترم.. فليس لنا على الناس سوى النصيحة والكلمة الطيبة.

فريد في عمله :

يحب جميع زملائه ويغير عليهم.. حتى أنهم جميعا أحبوه واحترموه.. كان عنوانا رائعا للشئون الاجتماعية.. فمكتب شئون سامول.. اقترن باسمه.. فإذا ذُكر ذُكر معه فريد.

أنا أيضا شاركته العمل بأفران الصمون بالعراق.. أياما كانت صعبة هوّنها هو عليّ.. بصبره وجلده وكلامه الحلو.. لن أنسى تلك الليلة.

كان يعمل بفرن صمون أبو فراس.. بحي الأعظمية بالعراق عام ١٩٨٥ مع خمسة أفراد من قرية واحدة تابعة لمحافظة المنوفية.. بينهم إيهاب المسكين.. فرّان ومناول طاولة.. وبائع وموزع وعجّان.. وأنت يا فريد وزان.. تزن بالعدل وأجرك على الله.. خمسة أفراد يحبونك ويحترموك.. أما إيهاب المسكين.. فلا أحد يحبه سواك.. أنت فقط من يعطف عليه ويتحدث معه بودّ.. أنت فقط من يقوي قلبه ويشد أزره في العمل بينهم.. إيهاب أيضا كان لا يحبهم.. ولا يأمنهم.. حتى أنه في غيابك يصبح لا حول له ولا قوة.. يسخرون منه ولا يأكلون معه.

ذات ليلة حضرت إليك كما طلبت مني.. لتنتقل معي إلى فرن الرصافة بحي السفينة.. وبعد محاولات كثيرة لإقناعهم وتقديم الحجج إليهم.. وافقوا الخمسة على انتقالك بشرط أن تزورهم كل أسبوع مرتين.. ليتها خرج إيهاب معنا ليودعك وأمام مسجد أبي حنيفة النعمان.. أخذ يبكي لفراقك وهو يقول لك:

- ستذهب يا فريد وتتركني غريبا بينهم ؟!

فضممته إلى صدرك طويلا.. حتى حل بي التعب من قلة النوم.. فانفعلت أنا رغما عني :

- ياللا يا فريد.. أنا عايز أنام.. عندي شغل الساعة اتنين

وإذا بك تفاجئني: معلهش يا محمود افندي يا جوز اختي.. أنا مش حقدر اسيب إيهاب

وفي اليوم التالي جئتني لتعتذر لي.. فقبلت اعتذارك وأنا أقولك لك :

- لو كنت في مكانك.. لفعلت ما فعلته أنت

فريد في الأدب :

أثر في كل من حوله.. جعلهم يحبون الأدب والأدباء.. حتى صارت سامول غير كل القرى.. واسألوا أناس من خارج قريته: من تعرف من الأدباء؟ سيقولون لك: محفوظ وإدريس والعقاد وحسين والحكيم وحقي .

واسألوا الناس في قريته.. سيضيفون: ومطاوع وجار والعزوني وسركيس وعيد وعساكر وأحمد عزت وعيسى والشريف والمصري وعبد ربه وعبد الباسط والدش والمرسي وشلبي وحمزاوي وحافظ وعقب الباب وفراج وميرفت.. ثم القعيد والغيطاني وأصلان والكفراوي وقنديل وابو سعده ودويدار وحجازي والفيل والشاروني ويوسف والقماحي وسلامة وسلماوي والزراع وبكر وابو دومه وثريا وسهير وسكينه وابو العلا والنجار وجبريل والعسال وشومان.. ثم الشافعي وصادق والفقي وعزيز ومراد وعاشور والمرحوم محمدي الشافعي .

وفريد يكون أسعد الناس وأشدهم فرحا.. لو حصل أي أديب من أدباء المحلة أو الغربية على جائزة.. لدرجة تجعلك تشعر بأنه أسعد ممن حصل على الجائزة فهو كان دائم التعامل مع الأدباء.. على أنهم في بوتقة واحدة.. غير متنافسين .

فالفوز فوزا للأدباء جميعا.. والقصة الجميلة ترفع من شان كل الأدباء .

ولهذا منحه رب العزة جائزة كبرى.. ليست من جوائز الدولة التي كان يستحقها.. ولكنها جائزة روحانية هو تمناها لنفسه كثيرا.. ألا وهي: حب الناس والأدباء .

والآن أكتفي... ليس لأن الكلام قد انتهى.. ولكن لأنني أتساءل الآن... ولا أسأل غير نفسي وأنا خجلا... أما كان يجب أن يكون هذا التكريم في حياة فريد... أما كان يجب أن أقول له ما قلته الآن على مسامعه... ألم يكن يستحق مني على الأقل الاعتراف أمامه بجميله علي... آه يا فريد.... يا أستاذي وحبيبي وصديقي.. تصوّر... ما زلت أطمع في كرمك رغم الفراق وأطلب منك الصفح والسماح... رحمة الله عليك وبركاته .

صراع الأشجار

بقلم

عبد الرحمن بكر

تبسمت شجرة الصفصاف وقالت:

أحبك يا فريد.. نعم أحبك، وكيف لا أحب من رواني بكلماته، وأخبر الناس عني وحببهم في ظلي، ووصف لهم أوراقي..؟

لكن شجرة الجازورين قالت لها غَيريً:

بل أنا أحببته قبلك.. فكم داعبني والتقط الندى من على أوراقي وسقى منه العصافير فأخذت تطير داخل دفتره الرائع وبين الخطوط الزرقاء في صفحاته البيضاء، التي لم يبللها تساقط الندى..!

لكن شجرة جميز عجوز قالت لهم وهى تسند جزعها على الأرض في استرخاء: تتكلمون عن فريد.. ومن كفريد..؟ كم ذكرني في قصصه الرائعة.. كم ذكر عمري المديد وقال إنني جميلة.. دائما جميلة، وقال أنني كريمة أجود بظلي الحاني على الفلاح بعدما يشقى، وأمحو عنه حر أيامه..

كنت قبل أن يكتب عنى لا أعرف قيمتي..لا أعرف غير أنى قائمة في الحقل صابرة طوال الدهر، وكلما أعطيت وأثمرتِ يتمتعون بثمري دون أن يذكر أحد فضلى. لذلك فأنا أحب فريد.. أحبه أكثر منكم جميعا.

لكن نخلة بعيدة تمايلت بتاجها الجميل وقالت لهم سعيدة:

قولوا ما تقولوا.. فلست منكم أغار..؟ لأنني وفريد لقائنا يكون ألف عيد، فعندما تصفحت أوراقه في ساعة الصفاء.. وقرأت كلماته تمايلت في حياء، لأنه بقلمه الرشيق كتب عنى ما لا تحلم به الأشجار.. واخبر الناس ما يبهر الأبصار، فعندما يكتبني، يعانق حبره الأوراق فيطعم الناس تمري ويذيقهم حلاوته..ويحدثهم عن جزعي ويصف لهم رشاقته، ويريهم حمار خدودي وما به من بلح غزير.. وسعفي الذي يرفرف فى الهواء كالحرير..قال اننى أعطى بسخاء، و أن تمرى دواء ..جذورى ضاربة فى الأرض، وفرعى يناطح السماء.. وبلا كبرٍ أعشق الكبرياء.. شبهنى بجده الفلاح فى صبره.. فى عشقه للكفاح قال إننى مِثله لا أنحَنى إلا للعطاء.

لا تعجبوا يا صحاب..!! فما أراه دائماً هو أن فريد أحبنى أكثر منكم كلكم.

وهكذا علا صوت شجار كل الأشجار، ولم يهدأ إلا فى ساعة الضحى.. حينما مر فريد وفى يده قلمه الحبيب..جاء كعادته يكتب كأنه يغنى فى الحقل.. بلا قيود..يكتب لكل ما أحب.. يكتب لمن يحب..

لكنهم تعجبوا جميعاً حين رأوه جالساً على شط الجدول الصغير يداعب نبته نمت على ضفته .. يصف خضرتها بصفاء القلوب.. يقول أن قلبه فى حبها يذوب..!!

حينها دبت الغيرة فى قلوب الجميع.. ونادوه:

حبيبنا فريد.. أخبرنا الآن من منا له مكان..؟ فى قلبك الكبير، فقد حيرتنا لكنه تبسم وكتب فى دفتره مخاطبا لهم.. صدقونى يا صحاب أنا أيضا مثلكم ابن هذا الطين لا أنمو إلا هاهنا..! جذورى مثلكم مربوطة بالأرض وهاهى أوراقى دائما تملاء دفترى وقلمى الصغير يأخذ المداد من نهرى الكبير، ما إن وضعته، لحظة على الصفحات إلا وجدته عنكم قد كتب..

عنكم وعن أبى،.. أبى الفلاح المخلص البسيط،الذى زرعكم لأنه أحبكم ولطالما رأيتموه عند نموكم رأيتم ظهره الذى قد انحنى، رأيتم عرقه الذى روى مع الماء أرضكم .. وعاش عمره بينكم.. ولأجلكم، لأنه أحبكم، وأنا مثل أبى يا أخوتى أحبكم .. كلكم.. كلكم.

معوض يصعد السماء

بقلـم

محمد عبد الحافظ ناصف

حيث سمعت اسمه لأول مرة كان صابرا على المرض، قال أحد الأصدقاء:سنزور فريد معوض. ثم تلاقت الوجوه والتقت القلوب ولم يفرقها إلا الموت الذي غيب قبله الراحل جمال عساكر من عشرة أعوام.

شكل الروائي و السيناريست فريد معوض وتدا أساسيا ومهما في مجموعة دلتا التي شكلت ملامح التسعينيين في المحلة الكبرى في فنون القصة والرواية وأدب الطفل والسيناريو وكان قدره أن يفتح دائما الباب بهدوء وصبر وتحدّ ثم ندخل بعده، فعل ذلك في أدب الأطفال حين كان يطرق أبواب المجلات ثم ينقل لنا التجربة ويدعوننا للكتابة ويكون حلقة للوصل أحيانا بين المسئولين وأصدقائه الكتاب.

وكانت التجربة الأصعب وهي كتابة السيناريو واختراق أروقه التلفزيون المصري التي تزيد عن المتاهة أحيانا ، وتعاونا معا في مسلسل حارة الموناليزا للأطفال وكان القدر أراد أن يربطنا معا بعمل مشترك نحاسب عليه معا أمام الله .

ولم يكن الأمر مقتصرا على جيله من أبناء المحلة لكنه جعل بيته في سامول كل جمعة دوارا وصالونا ثقافيا جمع حوله القلوب في كل مكان، فأصدر كتابا أدبيا بسلسلة أدبية تسمى "سامول الثقافية" تنشر كتبا نقدية للأسماء المهمة واللامعة في الأدب المصري وأصدر كتبا للروائي محمد جبريل والروائي فؤاد حجازي والروائي جار النبي الحلو وآخرون .

ثم لمعت أسماء مهمة من مرتادي الصالون من أبناء سامول وحولوا سامول إلى قرية مبدعة في أدب الأطفال وشكلوا ظاهرة تستحق التوقف عندها وأدعوهم جميعا إلى استمرار صالون فريد معوض وأن يحمل الكتاب القادم اسم فريد معوض.

وأخيرا أصر فريد معوض أن يموت في سامول بعد أن رفض العلاج في معهد الكبد بكفر الشيخ على نفقة اتحاد الكتاب بعد أن أصر مسئولو معهد ناصر أن يخرج بعد أن استقرت حالته قليلا، ثم تدهورت بعد يوم واحد من خروجه، أصر أن يموت في سامول التي لم يكتب إلا عنها كل قصصه ورواياته وصارت القرية النموذج للقرى المصرية عند المشاهد العربي للتلفزيون بعد عرض ثلاثة مسلسلات في رمضان هي "المرسى والأرض" و "المنادى" و "عادت القلوب" وكان في انتظار تنفيذ مسلسلين جديدين هما "أرض الهويس" و "البصمة" الذين أعد لهما السيناريو والحوار الفنان محمد فتحي الشرقاوي الذي شكل مع فريد توأما فنيا يصعب تكراره بسهولة، هي روح الجماعة التي يدعو لها فريد معوض ويعشقها فهل نتمسك بها ؟!

لكنه لم يمت !!

بقلم

محمد المطارقي

كنت أخطو نحوه، بعد معاناة شديدة، ومحاولة لاجتياز تلك المنطقة الحائرة، الوعرة.. كانت يدي تنتفض، وشريط من الذكريات يتحرك بسرعة الحلم.. أخيرا انتصرت على ذاتي، والتقطت السماعة وقررت الاتصال.. إنها المرة الأولى التي أعلم فيها أنه غير موجود البتة.. ولن يكون. انتظرت، كانت ثمة أقدام تتحرك، تقترب، قلت ربما هو، سيعانق صوته الدافئ الحنون مسامع قلبي.. برغم حضوري مراسم الدفن.. ودمعاتي السخينه.. وصلني الصوت، ويا له من صوت، كانت هي. تلك التي خرج من بطنها إلى العالم، استحالت الكلمات إلى صورة مضيئة تنبض بالحياة، قلت لها هو لم يمت، نحسبه من الشهداء فقد صارع المرض كما صارع الحياة.. كم جاهد وانتصر .. تذكرت اللقاء الأول ، كنا لا نزال نخطو خطواتنا الأولى نحو مدن الكتابة، حين صعد إلى الفصل سكرتير مدرستي التجارية، كاتبنا المتألق "جار النبي الحلو".. قال لي بابتسامته الطفولية المحببة، أريدك الآن، سأعرفك على كاتب قصة. والتقينا، واستمعنا إلى (عود ثقاب).. تأملت بعمق، كان يحمل على وجهه كل أمارات القرية: البساطة، التلقائية، العذوبة، الحميمية، حملت حقيبتي المدرسية، وانطلقنا في شوارع المحلة ننسج أحلامنا الطازجة، فلم يكن أحدنا قد نشر أي قصة.. وتوطدت العلاقة بيننا. ذهبت إلى قريته، فصارت قريتي ودخلت بيته فصار بيتي.. وتعرفت على أسرته فكانت أسرتي.. ومن خلاله تعرفت على كل الأصدقاء بسامول، ليؤكدوا معاني الحب والوفاء، وتعددت اللقاءات والحوارات، وفي قصرَي ثقافة المحلة (محب والغزل) كان صوته الرقراق يتسلل إلى حنايا القلوب، وينفث من روحه الدافئة قصص وحكايات كأنما ضفرت من خيوط الشمس. ونسمات الليل، وضياء القمر. وانفتحت أبواب القلوب و.. البيوت.. قرأنا بشغف روائع يوسف إدريس، ويحيى الطاهر عبد الله، وتشيكوف، ومكسيم غوركي، كنا نتجرعها حتى الثمالة، وكانت قصصنا الأولى المعجونة بالبكارة والدهشة. وحين تولدت قصتي "الفجر جلباب أبيض" على صفحات البراعم الكويتية كأول عمل للأطفال يتم نشره لواحد من أبناء جيلنا، كانت سعادته تفوق سعادتي، وعلى صفحات المساء وبين يدي أستاذنا الرائع محمد جبريل كانت قصصنا تتوالى.. لكن ثمة سياج حادة وعالية تحول بيننا وبين التحقق المنشود، ربما لقلة بضاعتنا ونفوسنا الطيبة إلى حد السذاجة، استطاع هو أن ينطلق كالسهم في عالم يموج بالمراوغة والخداع، وقوة الحناجر واستعراض العضلات.. لكنه-برغم بساطته-إلا أنه كان صلبا، قويا، يجيد النزال بشكل مذهل، وهكذا تفجرت عبقريته العجيبة، في ميدان القصة القصيرة فكانت أول مجموعة تصدر لواحد من أبناء الجيل.. (عود ثقاب) وفي مجال الرواية استطاع أن يحرز جوائز من الدرجة الأولى.. في مجال الكتابة للأطفال انطلق بقوة واستحوذ على جوائز سوزان مبارك أكثر من مرة.. في النقد.. في مجال الدراما مسلسلات كثيرة .

تجلت عبقريته، وتعددت أشكال الكتابة، وصار اسمه مألوفا في العديد من المجلات المصرية والعربية .

وهو برغم ما وصل إليه فقد كان لا يزال "فريد معوض" الفلاح البسيط الذي التقيته أول مرة؛ نموذج رائع لكل معاني الإنسان الشهم، الكريم، المتواضع، البسيط جدا، المحب

لأصدقائه والمخلص لهم، العاشق لأرضه وقريته وفنه، فكانت كتاباته تحمل كل طزاجة اللحظة الأولى.

قالت الأم : فريد لم يمت.. وبيته لا يزال مفتوحا.. هاهم أولاده بارك الله فيهم

قلت: نعم.. وكتاباته التي تحمل كل القيم النبيلة لا تزال تنبض بالحياة. ولسوف يتربى عليها أجيال وتتحقق كل أحلام فريد، وأحلام كل الكتاب المخلصين، الصادقين على أيديهم.

وضعت السماعة وإحساس طاغي بأنه لم يمت .

ورحل محتضنا الكتاب

بقلم
مجدي محمود الفقي

أوتيت أمانة الكلم وسطر التاريخ الإبداعي لك سطورا مضيئة عبر الدهور، نزلت إلى ساحة الإبداع بآخر "عود ثقاب" يضيء خطاك، واثق الخطوة مستهل الوجه مبتسما متفاخرا "سعيد بكوني فلاح له قلم ومنجل.. لي حكايات مع أبي.. ولأبي حكايات مع الشقاء".

نعم ها أنت ألقيت حكاياتك بين أيدينا يا فريد، ممزوجة بطين هذه الأرض، خرجت من رحم هذه الأرض الطيبة محملة بعبق أخلاق أهلها الطيبين، ناطقة بلسان حال شخوصها.. أخلاقهم.. عاداتهم.. مشكلاتهم.. همومهم.. شقاءهم، شقاء لم تشهده على أبيك فقط بل شاهدته على كل أهل هذه القرية، شقاء الطهر والجهاد "عرق العافية كما يسمونه".

ما إن تلتقط ملكاتك الفكرة وتبلورها وتنحت لغتها بأزميل دقيق تحملها بين يديك يتصاعد فيها عبق الإبداع، يتطاير في المكان مع فرحتك بها، تناديني كي أسمعها، تحرضني على ترك العمل، كي أظل بجوارك أسمع وأبدي الرأي فيما تكتب، كنت تأنس لجواري وأطوق شوقا إلى جوارك، ها أنا اليوم نقدت كل دساتير الإبداع، قديما كنت أعبر عن مشاعر الجفاء والفرقة والفراغ ولا أحس بهم، شعور متأجج بالزيف، كي يعايش القراء الحس الإبداعي وها أنا اليوم يا فريد أشعر بطاحونة الفرقة والجفاء تطحن كل مشاعري.

لا يحس ولا يحسن كل مبدعي العالم تصوير أحاسيس من الفراغ والفرقة، أناجي الليل والمبيت مناجاة البارودي بلا فائدة.

يناديك أطفال العروبة أن تحكي عن الساقية والشجرة، عن الفلاح والقدس، عن خارطة للوطن الأكبر بلا حدود، طابور المحبة من صغار تربوا على أفكارك ينحبون حزنا، تسابق العبرات سطور قصصك، ينادونك بكل جديد أين أنت يا فريد، جف المداد وذبلت الأفكار حزنا على من حكى لنوابغ الشطار.

هنيئا له فريد.. ما خطت يداه ما فشل وما استكان لمَ فعل.. لكن نهر إبداعه ظل دائم الجريان حتى لفظ أنفاسه، هنيئا لك يا فريد متّ ممسكا بكتاب الله بين أحضانك وستبعث بإذن الله ممسكا به.

فريد.. لا يعوض

بقلم

فرج مجاهد عبد الوهاب

عندما أمسكت القلم لأكتب عن فريد معوض عجز عن تسطير الحروف وخانتني العبارات.. ماذا يمكن أن أخط من حروف عن فريد معوض ؟!

كل الحروف تعجز أن ترثى هذا الرجل.. هذا المبدع.. هذا الصديق.. هذا الأخ.. هذا المعلم.. هذا الجيل.. هذا الرمز.. هذه الصلابة.. هذا الصاحب.. هذا الرفيق.. هذا المثقف.. هذا الباحث.. هذا القاص.. هذا الروائي.. هذا الخلق.. هذا الطفل.. هذه الجوائز.. هذا الأدب.. هذه المواقف.. هذا المغبون.. هذا الرائد.. هذا الفنان.. هذا المشعل.. هذا السامولى.. هذا الوجه الطيب.. هذه البشاشة.. هذه الطيبة.. هذا الجسر.. هذا الفريد.. هذا الذي لا يعوض.. هذا المصري.. هذه الرسالة.. هذا المشارك.. هذا الغالي.. هذا السيناريست.. هذا الثقة.. هذا الخبير.. هذا الرزين.. هذا الأعلى من كل الناس.. هذا.. وهذا.. وهذا..

هو هذا وكل هذا وأكثر.

قد تحسبوني أبالغ لا والله لا أبالغ ..

فمن يعرف فريد معوض جيدا يدرك أنني لا أبالغ .. بل ربما أنقص من قدره فهو أكثر من ذلك وأكبر ..

هذا الفريد الذي كنت أعده توأم روحي .. المضيء الشهاب اللامع، لقد ولدنا في عام واحد، ومارسنا فعل الكتابة في زمن متقارب وعندما التقينا منذ سنوات بعيده أحسست أنني ألتقي نفسي، ثم دام التواصل بريديا أو عبر الرسائل البريدية أو الرسائل الالكترونية التي ساعدنا فيها محمد ، محمد فريد معوض ، ومحمد فرج مجاهد وكلاهما طالب في كلية التجارة ، التقينا كثيرا في مؤتمرات وفى ندوات ودعاني مرارا لزيارة قريته "سامول" مركز المحلة الكبرى، والتي حولها إلي مركز إشعاع ثقافي ليس علي مستوى المحلة فقط بل علي مستوى القاهرة بما كان يقدم فيها من ندوات ومطبوعات تقدم وجبات ثقافية دسمة لكل مثقف ومتذوق للثقافة، بل إنه كان يقدم "سامول الثقافية" مجانا ويرسلها لمن يطلبها بالبريد مؤمنا بحق المثقف وحق المواطن في المعرفة كما أنه كوّن جماعة "سامول الثقافية" التي اصدرت فيما بعد – "مجلة سامول الثقافية" وقدمت أعلام القرية، ضمن ما قدمت، وقدمت – وهذا هو الأهم – أسماء كبيرة الآن في سماء الأدب والثقافة المصرية والعربية ، انتشرت وذاع صيتها في مجالات مختلفة مثل أدب الطفل، القصة القصيرة والرواية، النقد والمسرح.. وغيرها من مجالات؛ ظهرت أسماء "محمود عبد الله، محمد المطارقي، مجدي الفقي، متولي الشافعي ،....."

أسماء كثيرة ربما تخونني الذاكرة لو حاولت أن أحصيها ولا أبالغ لو قلت أن قرية سامول أصبحت الآن القرية الأولي في وطننا العربي التي قدمت هذا الكم من الأدباء وخاصة في مجال "أدب الطفل".

قدم فريد معوض الكثير والكثير بدون تعالي أو تكبر ولم يصاب يوماً بآفة الغرور أو النرجسية، بل كان رمزا للتواضع، تراه فتحسبه واحدا من زمرة الناس البسطاء، وهو فعلا منهم إلا أنه كان يشع معرفة وذكاء وحبا للجميع وخاصة لأهل قريته فقد كان يحمل هموم القرية علي عاتقة وكأنه مسئول تنفيذي كبير، بل تعدى الأمر إلي أكثر من هذا إذ أنه ما أن يعلم بمشكلة حلت بأحد الأدباء أو الأصدقاء في محافظات أخري حتى يسارع بالسؤال وتقديم العون إن كان في استطاعته، وفي هذا السياق أذكر عندما حلت بي مشكلة ابنتي آلاء منذ سنوات عندما اضطهدتها وزارة التربية والتعليم بسبب موضوع تعبير في الصف الأول الثانوي وأعلنت رسوبها وحرمانها من التعليم لمدة عاميين وازدادت الأزمة وتناولتها أجهزة الإعلام المختلفة من صحافة وقنوات فضائية وغيرها، وتم تصعيد القضية ونوقشت في مجلس الشعب حتى صدرت الأوامر للأجهزة المعنية من السيد رئيس الجمهورية بأن يعاد تصحيح أوراق الطالبة آلاء دون حجر علي رأيها وأعلن الوزير – ونحن في مكتبه – نجاحها وأتصل بنا السيد رئيس الجمهورية مشجعا لها علي الكتابة وناصحا لي علي ألا أعنفها بسبب رأيها بل يجب أن أشجعها دائما أقول في خضم هذه الأحداث كلها كان فريد معوض من القلائل الذين حرصوا علي الاتصال بي والمتابعة حتى بعد انتهاء الأزمة، وعند اللقاء في مؤتمر من المؤتمرات الأدبية كان يطلب مني الاتصال بآلاء وكان يبثها كلماته المشجعة الرقيقة المحفزة ..

فريد معوض لا تكفيه كلمات رثاء ولو ملأت كتاباً، بل يجب جمع أعماله وطبعها وعمل مؤتمر لمناقشة أعماله سواء الأعمال الأدبية أو الأعمال الفنية التي قدمها للشاشة، هذه الأعمال التي حرص فيها علي قيم المجتمع المصري حرصه علي الجمع بين الفن والفضيلة.

"فريد معوض" يستحق الكثير والكثير منا علي مستوى الأقوال والأفعال فقد كان رجلاً.. أعلى من كل الناس.

موال ساامول الأصيل

بقلم

لطفي مطاوع

المتأمل في اسم الأديب الأصيل (فريد محمد معوض أبو دشيش.. قرية ساامول) وكذلك في اسم قريته، يخرج بدلالات فيها من الأصالة والعراقة المصرية الكثير، فاسم أبو دشيش يُحيل إلى أصل ألقاب المصريين قديما، فقد كانت تشتق وتصاغ أغلب الألقاب من أسماء (المهنة للفرد-أو الوصف له مدحا أو قدحا-أو البلد النازح منها) ولقب أبو دشيش يشير إلى المهنة التي كان يمتهنها الجد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إذا بحثت عن أصل اسم القرية ساامول في معجم البلدان تجده (سامون) وهو اسم قبطي (مصري) مكون من كلمتين (سا) بمعنى ابن و (آمون) الإله الفرعوني آمون، إذن ساامول بمعنى ابن آمون، الخلاصة والمعني الذي أرمي إليه هو أن هذا الأديب فريد معوض خرج من صلب الأرض المصرية أبا عن جد ومعجون من طمي النيل، وخاصة إذا تأملت سحنته الخمرية وملامحه المسالمة وعرفت طباعه ساعتها تقول كأنه هبط من نقش فرعوني إخناتوني (فالروحي في جيناته أعلى من منسوب الأرضي بكثير جدا) وبالتالي ليس غريبا أن معظم أعماله سواء الروائية أو القصصية للكبار أو للأطفال تنحى المنحى الاجتماعي الريفي الشديد المصرية والإنسانية (فكل ميسر لما خلق له) وحيث أنه كما يقال لا يوجد أديب كبير إلا ويسكنه إنسان أكبر، فأنا أشهد ومعي في هذا كل أصدقائه ومعارفه أن فريد معوض كان شديد الطيبة والشفافية والأصالة ويحزُّ في نفسي أن أقول كان-فقد تعرفت عليه أنا والشاعر فراج مطاوع منذ بدايات الثمانينات كنا نكتب الشعر وكان يكتب القصة القصيرة المستوحاة من عبقرية المكان خاصة قريته ساامول التي ظلت ملهمته حتى آخر نفس في حياته.. هو يكتب ليس فقط ما يعرف ولكن عما يعيش ويكابد مكابدة يومية، مات أبوه الشيخ محمد معوض وهو ما يزال صبيا ولم يترك له مالا أو عقارا ووجد فريد نفسه مسئولا عن أمه وأخته، فخرج الصبي يطلب عملا كان في الصيف يعمل في فرق دودة القطن (تمليا وكل من يعيش في القرية أو له جذور ريفية يعرف معنى هذا المصلح جيدا وكيف أن يظل منذ شروق الشمس حتى غروبها منكفئا يفرز أشجار القطن ويقطع أوراق اللطع (بيض الدود) والعفش، وفي الشتاء يدور في الصبي على مصانع المركز-مركز المحلة الكبرى-فمرة عمل نساجا ومرة حلاجا ومرة عامل نظافة ومرة.. ومرة..

هكذا عاني فريد معوض وكأن الأيام تقوى شكيمته وإرادته لتعده لشيء ما ينتظره فأبوه مثل معظم آبائنا جميعا نحن أبناء الريف-كان قبل الثورة عامل زراعة أو عامل تراحيل وصار بعده يرث الشقاء، كما عبّر في إحدى مجموعاته (لأبي حكايات مع المنجل ولي حكايات مع الشقاء) حتى بعد قيام الثورة لم يرفع عنّا الحرمان والغبن وواصلنا العمل (كتملية) في الغيطان عند ملاك الأراضي الصغار والكبار، لم يُمنح الشيخ محمد معوض أبو دشيش كما كانت تردد أغنية الثورة (فدادين خمسة-خمس فدادين) ولا احد في قرية ساامول ولا في القرى المجاورة.

وعرف فريد معوض الكتابة والقراءة بعد أن نال قسطا متوسطا من التعليم وأحب الحكي من أصحاب السير الشعبية والمنشد الديني والحواديت ومن كتب المطالعة في المدرسة وصنع نفسه بنفسه قراءة وكتابة ، وانشأ مكتبة بما تيسر له من القروش، وحاول أن يقلد الحكايات

خاصة بعد أن وقعت في يده مجموعة (أرخص ليالي) ليوسف إدريس وأثرت في نفسه أثرا عظيما ووجد نفسه وأهل قريته مادة حية في قصص المجموعة وقال في نفسه: هذه بضاعتنا ونحن أولى بها، ولأن فريد معوض ابن الموال الأصيل وابن الأغنية الشعبية وابن العدودة وابن الأمثال وابن الكتّاب وابن الجميزة وابن طمي النيل وابن المنجل والسنابل وابن نواطير الغيطان ودود الأرض وابن السواقي والمحراث والنورج وهو التملي ابن عامل التراحيل، أقول لأنه ابن هذا الواقع المعدوم والمطحون ولأنه ابن المعذبين في الأرض، جعل مادته وشخوص قصصه عن آمال وآلام الفلاحين والبسطاء، فهو الذي عبر عن حال أهل القرية آنذاك في الشتاء في قصة (أوعية كانت فارغة) حين أمطرت السماء وأوحلت الأرض راح أهل الدار ودور القرية جميعا يجمعون الأواني الفارغة ويوزعونها حول الأطفال هنا وهناك وهم نيام لتستقبل الأمطار التي تتساقط عليهم وتنهمر عبر السطوح المعروشة بفروع الأشجار والغاب والقش، وهو الذي عبر عن الجوع والمرض في قصة (ثقوب في السقف الوحيد) حين عاد أبوه من الترحيلة مريضا يتساند على رفقائه واحتار أهل البيت والواقفون حوله هل يعطونه ماء بالسكر أم الملح (دلالة على الفقر والعوز وقلة الحاجة) وهو الذي عبر عن عزة نفسه رغم الفقر في قصة للطفل حين طلب مدرس الرسم من التلاميذ جميعا أن يرسموا شخصية وطنية مثل أحمد عرابي أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر لكن الطفل رسم شخصية أخرى لم يعرفها المدرس، لكن فريدا يعرفها جيدا وحين سأله المدرس من هذا يا فريد؟ قال له في عزة وفخر: هذا أبي

من هذا المعين الذي لا ينضب اغترف فريد معوض شخوصه الروائية والقصصية والسيناريوهات الدرامية ودارت أحداثها في حواري وغيطان ودور سامول الصغرى والكبرى، وأصدر مجموعة (عود ثقاب) و (أعلى من كل الناس) و (المرسي والأرض) وحين استشعر في التسعينات أن بعض عادات وتقاليد وطقوس القرية المصرية هجرها الناس وتحنطت ودخلت إلى المتاحف مع ظهور واقعية جديدة ودخول عصر العولمة، ولاحظ أن الكثيرين من الآباء أبناء الريف تائهون لا يعرفون كيفية التعبير عن ماهية التغيير والتطور وراحوا يقلدون أنفسهم ويدورون حول ذواتهم وسجنوا أفكارهم وأحداثهم في قرية يوسف إدريس وتخلفوا عن ركب التطور والحداثة و ضلت خطاهم وسقطوا في منتصف الطريق، راح يفكر فريد معوض يفكر ويتأمل ويراقب ولم يهجر عالمه الريفي ومنجمه التراثي الزاخر الذي يغترف منه سواء للكبار أو للطفل ولكنه جدد نفسه وتأمل الواقع المتغير مرة أخرى وراح ينتقي ويفرز ويسلط الضوء على كل نفيس وأصيل في القرية ويستبعد كل رخيص وسطحي ودخيل، وقدم شخوص القرية وأحداثها وتفاصيلها بجلبابها العصري الجديد وتجلياتها الحداثية المتجددة وأعلن أن هذه الشخوص الريفية الأصيلة والتي يهجرها أربابها من الأدباء أبناء القرى أحق ألف مرة من أي شخوص أخرى في التعبير عن أحلامها وتطلعاتها نحو مستقبل أفضل، فهذه الشخوص وغيرها من شخوص الطبقات الشعبية في أطراف المدن والتي تزخر بها مصر هي أول من دفع ضريبة الدم في كل الحروب التي خاضها مصر مع العدو الصهيوني وآخر من استفاد من الانتصار، فقد كانت تستدعي في المغارم ولا تستدعي في المغانم وهي التي عبر عنها عنترة العبسي قائلا: (يخبرك من شهد الوقائع أنني/أغشى الوغى وأعف عند المغنم) وكما عبر عنها أمل دنقل (أدعى إلى الموت/ولا أدعي إلى المجالسة). وهي الشخوص التي عاشت تحت جلد فريد معوض فهم أصحاب البيئة التي تنامي تحت شمسها وظلها ولعب في حواريها وشوارعها ومشى على جسورها وترعها وعايش ملامحها وتفاصيلها ودقائق حياتها وغنى لأشجارها وطيورها وظل يكيت عن انكساراتها وأحلامها وأنجز الكثير من المجموعات القصصية والروائية ودراما التليفزيون للكبار والأطفال مثل المنادي/أرض الهويس/علمنا الطير/العودة إلى الصفصاف/أيام في الأعظمية بالإضافة إلى ما ذكرت سابقا (عود

ثقاب/المرسي والأرض/أعلى من كل الناس) وحصل على الجوائز الكثيرة عن هذه الأعمال مثل (جائزة المجلس الأعلى للثقافة وجائزة الشارقة الإماراتية وجائزة سوزان مبارك وجائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة وجائزة الهيئة المصرية للكتاب)

وظل فريد معوض هذا الأديب الأصيل إلى آخر نفس في صدره وفيا ومخلصا إلى واقع سامول الصغرى وسامول الكبرى، حتى فاضت روحه الذكية يوم الثلاثاء١٦/٢/٢٠١٠ وكان سبب وفاته (وهو الكبد) دليلا آخر ودلالة قوية أخرى تؤكد على شدة انتمائه وولائه وأصالته وعشقه لماء وتراب هذا الواقع النبيل، لأن هذا المرض صار دليلا قويا على المصرية حتى النخاع لمن يصاب به، لأنه مستوطن في مصر منذ زمن بعيد ولكنه اشترى وتوحش في الثلاثين سنة الأخيرة ومن أعجب العجائب أن ترى النظام المصري مهموما بأمراض مثل الإيدز وأنفلونزا الطيور والخنازير الذي يموت بسببها واحد أو اثنان كل أسبوع ويوفرون العلاج والأمصال ويدربون الأطباء؛ ألم يكن الأولى أيضا بالاهتمام مقاومة ومحاصرة هذا الوباء الكبدي الذي يموت بسببه يوميا المئات من بسطاء وأفذاذ هذا الوطن من أمثال الأديب الأصيل/فريد معوض، ولكن النظام يعيرنا أذنا من طين وأذنا من عجين، فوالهفي على أكبادنا التي تمشى على الأرض، وتحية ورحمة إلى روح صديقي ورفيق الطريق فريد محمد معوض والى اللقاء يا حبيب العمر.

فريد معوض أعلى من كل الناس

بقلم

علي الفقي

رحل عن عالمنا الأدبي الكاتب العذب الأصيل فريد محمد معوض في صمت وهدوء مثل سمته الدائمة، وابتسامته الودودة المرحبة لا تفارق عيوننا، ترك الحزن يخيم بمفاجأته على كل من عاصروه وعرفوه من أدباء مصر، حتى قراءه خاصة الذين كانوا يتابعون إنتاجه الأدبي للأطفال في مجلات قطر الندى، ماجد، علاء الدين، العربي الصغير وغيرها من الدوريات والمجلات الأدبية المصرية والعربية التي كانت تحتفي بإبداعاته المتميزة للطفل العربي مما جعله يحصد العديد من الجوائز الهامة في أدب الطفل مثل جائزة سوزان مبارك عدة مرات وجائزة المركز القومي لثقافة الطفل بالتعاون مع اليونيسيف، وجائزة الشارقة للإبداع العربي، جائزة الاتحاد العام للفنانين العرب، وجائزة سلسلة روائع أدب الطفل بخلاف جوائز هيئة قصور الثقافة كما اختير أفضل كاتب قدم أعمال للطفل المصري وترجمت بعض أعماله للطفل إلى عدة لغات.

بخلاف المقالات والدراسات النقدية في ذات المجال كما كتب العديد من القصة والسيناريو والحوار لأعماله التي تحولت إلى مسلسلات للأطفال لاقت نجاحا كبيرا وقت عرضها أما بالنسبة للكبار فأثرى فريد معوض بالعديد من الروايات والمجموعات القصصية الهامة التي لاقت استحسانا وإجماعا من النقاد والأدباء على جودتها وجديتها منها "عود ثقاب"،"المرسي والأرض"،"عزاء أهل القرية"،"في وجه الريح"وروايته الفذة "أيام في الأعظمية" التي تناولها الكتاب والنقاد باحتفاء بالغ والتحليل الأدبي الرفيع حيث وهبنا الكاتب الراحل محاوله غير مسبوقة من حيث الزمان والمكان الذي تدور فيه أحداث الرواية فكأن القاري قد ذهب بالفعل إلى أرض العراق يحيا اللحظة الإبداعية بكل أبعادها وخصائصها ومقوماتها ومجموعته القصصية الرائعة "أعلى من كل الناس" التي اعتمد فيها بالتدفق السردي مضفرا بشاعرية وغنائية مما جعل في كل قصة تناسقا مع الإنسان المصري البسيط في كل مشكلاته وأزماته المعاصرة.. هذا عن الإبداع أما عن الإنسان فريد معوض فمنذ معرفتي به ما يقرب من خمسة عشر عاما وهو يحتل مكانه خاصة بقلبي وعقلي.. وكلما تعرفت على كاتب، سارعت بمعرفته وزيادته لفريد معوض مثلما حدث مع محمود عرفات، محمد إبراهيم طه، وغيرهما من أدباء الجيل فيلم يبرح الراحل قريته "سامول" التي جعل منها حكايات، وحكايات ترددها الألسن العربية في كل مكان سواء عن طريق إبداعه أو عن طريق إبداعات الآخرين الذين كانوا يلجأون له لمساعدتهم في نشر إبداعهم-بخلاف تعليمه لهم فنون وأصول الكتابة خاصة للأطفال عن طريق ورشة إبداعية أسبوعية في بيته-فيواصلون النشر في المجلات العربية بكتابة مقدمات تزكي كتاباتهم للنشر، وقد لمست ذلك بنفسي عند زياراتي له في بعض أيام الجمع، فتقابلني والدته الست أم فريد بكل ترحاب ومودة كأنني ابنها فعلا وتسألني عن أحوالي وأحوال أسرتي وأولادي وتعد لنا-ضيوف فريد-أحلى الأكلات فتعمر الطبلية بكل الخيرات من أنواع اللحوم والمأكولات والأرز المعمر بالإضافة لقطع الجبن القريش-ايه ده كله يا حاجة-ترد بكل تواضع وحب.. ده من خيركم وأقل من الواجب.. نكتشف ونحن نأكل، بأن فريدا لا يأكل إلا الجبن القريش وله علاج قبل الأكل وبعده، فقد كان يعاني من تليف الكبد بعد عملية استئصال الطحال... عاني من الآلام المبرحة

والأمراض المزمنة سنين عددا، ومع ذلك لم يحظ بالشهرة التي ينالها-عادة-المرضي من الأدباء والكتاب، ونجد أخبارهم باستجداء المسئولين في الثقافة عن علاجهم في كل صفحه من صفحات الأدب.

لم يبرح راحلنا من قريته التي أعطاها كل فكره ودمه؛ ظل مواظبا بدأب على حضور ندوات أصدقائه مشاركا فعالا بدراساته القيمة سواء في اتحاد كتاب طنطا، أو في قصر ثقافة المحلة الكبرى الأثري.. بل إنه-وقد رأيت ذلك-في إحدى زياراتي له في قريته سامول، رأيته يتلقى التبرعات من الأهالي لبناء مجمع صحي-مستشفى متكامل به وحدة لغسيل الكلى، وأمراض الكبد المتوطنة ليخدم قريته والقرى المجاورة، فلم يفرغ البيت من المتبرعين ولم يتوانى الأهل من الضيافة ولم يهدأ فريد من تدوين التبرعات وإعلانها.. كم يتكلف هذا العمل من مشقه وجهد مضاعف على صحته الواهنة، كان يتغلب على ذلك بابتسامته المضيئة كأنه يغير المستقبل لقريته وأهلها .

فكان الراحل كالشجرة الخضراء الوارفة المحملة بالثمر الطيب، يثري من يشاء يقطف هذه الثمار كما يشاء ، فأنها تظل تثمر دون انقطاع كلما قطف منها ثمرة، أكثر من ربع قرن من الإبداع المستمر دون ضجيج، عندما تقابله لا تستطيع أن تتركه بسهولة، فيض من المشاعر الإنسانية، وأسئلة تثير الدهشة حول أحوال هذا الإنسان في القرية والمدينة والتحولات التي أصابت هذا الإنسان في أكثر من عشرين كتابا ما بين روايات وقصص للأطفال، وأخرى للكبار لخصت بشكل مدهش رؤية فريد معوض للعالم وتحولاته ومواقفه رؤية خاصة به وحده ، ظل مخلصا لقريته ومواقفه، قريته التي أصبحت في السنوات الأخيرة مزارا أسبوعيا للأدباء والمفكرين، وصار اسم سامول معروفا باعتباره ورشه دائمة لإبداع كتاب الأطفال الذين تمتلئ بهم وبأسمائهم صفحات مجلات الطفل في مصر والعالم العربي .

عاش الراحل مرتفعا عاليا عن بعض المتشدقين، الذين يتسولون العلاج، والذين يتوجون إنتاجهم الأدبي بألسنتهم الطويلة، أو بأصدقائهم من الإعلاميين، والذين يروجون لأنفسهم بالزحام على صفحات الجرائد الأدبية بأخبارهم الرثة،.... إلخ.. وهم أنصاف مواهب وأشباه مبدعين...

رحم الله صديق الجيل الذي عاش كما مات مستظلا بالهدوء، عاليا عن كل الناس.

(مَن سيعوِّض فريد معوَّض)

بقلم

وفاء عبد الرازق

بلا شك لا أحد..

علمني هذا الصديق الغائب الحاضر أن أمرِّرَ أصابعي على الليل وأكتشف من سواده سرَّ البياض.

عرفني إليه صديقنا المشترك الأخ "أحمد طايل" الذي يحرث أرض الوفاء ليكتشف الأوفياء في تربتها.. وكانت نتيجة حرثه ثلة من المبدعين والمثقفين جمعتني بهم الكلمة وقربني منهم الإخاء والصدق.

لعلك ترانا الآن يا معوَّض ونحن نحرث ونبحث عمَّن يعوِّضك.. ولعل روحك تبتسم وهي العارفة أن لا أحد .

بكيتُ كثيراً وبحِزن أكثر ولمتُ الأحبة والأصدقاء كونهم عرفوا بمرضك ولم يخبرني أحد منهم، ربما خوفا من ألم سيحرق روحي أو نسيانا دون تعمّد حتما.

وإن لم يخبرني أحد منهم.. فها هي ابتسامتك التي تشربت بطيبة الريف وهدوء نظرة العارف في عينيك، العارف بمن حوله خاصة في تلك الجلسة الجميلة التي جمعتنا ذات ترتيب من أخينا المشترك بالحب أحمد طايل.

أشياء كثير يا فريد نحولها نحن المبدعون إلى جمال حتى المسافات بقسوتها نحولها إلى أجنحة، ومن الصمت نبتكر الكلام .

أحسُ بالشجر يصغي إليَّ وأنا أتساءل: مَن يعوضك يا فريد؟

هل لأنه صنو صوتك؟

أم له هويتك ذاك الحفيف على أغصانه؟

لم يبق للكلام وجه أو صوت فلتعذرني روحكَ لأني في حضرتها. ستظل عناقيد نبوءاتها ناضجة في سلالنا.

فريد معوض .. فرحة لم تكتمل

بقلم
جمال مراد مصباح

خمسون عاما إلا عامين.. عاشها فريد معوض بين الكفاح والمرض والنجاح والصبر وأخيرا انتهت تلك الرحلة بكل ما فيها.. ولكن لن أنساك أبدا ما حييت .

فراقك يا أعز الأحباب كنت لا أتمناه أبدا..

خمسون عاما إلا عامين فرحنا معا وبكينا معا وسافرنا معا وعملنا معا ورجعنا معا..

كلماتك سوف تبقى نورا يضئ لنا الطريق عرفتك أخا وجارا وصديقا وحبيبا.. مع كل طلعة شمس كنت تطمئن علينا.. وكنت تسأل عن الغائب حتى يعود، وعن المريض حتى يشفى وعن الحزين حتى يفرح ..

خمسون عاما إلا عامين مرت الأيام والسنين سريعا يا فريد .

رحلت وتركتنا نعاني في تلك الحياة.. فالحياة بدونك ليست حياة .

(أعز الأحباب فريد)

علمتنا كيف نكتب وعلمتنا كيف نحب وعلمتنا الا نكره أحدا .

خمسون عاما إلا عامين عشت شجاعا مكافحا صابرا لم تفرح إلا قليلا.. تحملت الهموم والصعاب، رغم مرضك كنت قويا.. رغم فقرك كنت غنيا.. رغم نجاحك كنت متواضعا .

لن أنسى أبدا ما حييت كل لحظة عشتها معك .

خمسون عاما إلا عامين.. صرت أديبا لامعا وكاتبا حقيقيا وكنت قبل ذلك إنسانا رائعا .

فراقك يا أعز الناس أنساني كيف أكتب.. تاهت الكلمات بعدك ورحلت الأفكار معك.. لكن عزائي الوحيد هي كلماتك وكتبك وأعمالك التي لا تنسى.

أخي.. وحبيبي.. وصديقي ..

نم مستريح البال.. وكن مطمئنا فأنت بيننا لم تمت .

نم مستريحا فمحمد وأحمد وإيمان.. امتداد لك.. بارك الله لهم فقد كنت فرحة لم تكتمل.

فريد الاحتضان الإبداعي

بقلـم

أحمد طايل

بداية لابد لي من الاعتراف والإقرار بأن هذه الكتابة من أصعب الكتابات عليّ.. ذلك لأن من أكتب عنه إنسان اقتربت منه على مدار أكثر من خمس وعشرين سنة متواصلة.. تقاربت معه إنسانيا وفكريا وثقافيا.. لذا فليعذرني الجميع حين لا أجد التعبير جيدا عن إحساس وعمق حزني وألمي لفقد هذا الإنسان النبيل.. فريد معوض باختصار شديد وهج إنساني وإبداعي متفرد.. كان بإمكانه أن يتبوأ أعظم المناصب الإبداعية لو تعامل بمنطق هذا الزمان ولكنه فهم رسالة الإبداع فهما صحيحا تماما.. استوعب أن الإبداع رسالة أخلاقية لها أهداف سامية لترسيخ قيم ومبادئ وأعراف توارثناها أجيالا وراء أجيال.. استوعب أن المبدع يكتب ذاته.. ولابد أن تكون له بصمته الخاصة والتي يتميز بها.. فريد معوض هذا العاشق حتى النخاع لبلده "سامول" التي لا أعتقد أن هناك عملا من أعماله المتعددة لم تذكر به "سامول" القرية الحلم له.. العاشق لأهل قريته الذي كان يسعى سعيا متواصلا ودءوبا من أجلها.. من أجل أن نرتدي أبهى حللها.. إنسان تفاعل مع الجميع.. اقترب من الجميع.. بل هم الذين كانوا يهرعون إليه ملاذا بإنسانيته وبعطائه المتوهج.. ولا يفوتني أبدا أن أذكر أن أهم منجز قدمه فريد معوض هو مدّ يده للجميع.. لجميع من بدأ طريق الكتابة.. كان الدليل وكان المرشد ولم يصرح بهذا أبدا لأحد بل كان يتفاخر بهم كتابا سوف يفتح الغد لهم أبوابه.. إلى اللقاء يا فريد.. يا أخي الحبيب.. يا من كنت لا أعرف كيف أبدأ دون أسمع صوتك مرات ومرات تأتيني جملتك الشهيرة المغلفة بلكنتك الخاصة..

- السلام عليكم ..

كم أفتقدك.. كم يفتقدك الجميع ولكن عزاءنا أنك بالفعل برعاية المولى.. رحمك الله يا أعلى الناس..

قيثارة الطمي

بقلم

إيهاب الورداني

ها أنت يا فريد تمضى ككل الطيبين..

تترك في القلب غصة، وفى الروح شهقة، وفى العين مئات الأسئلة..

تروح وتجيء كأطياف الزمان..

هل كنت تعرف موعدك؟

كل الملابسات تقول:

أنت الذي اخترت.. أنت الذي سعيت..

أنت الذي آثرت أن تعرف..

على الرغم من أن ما بك تدركه من زمان بعيد..

منذ أن وعيت وأنت تدرك أن البلهارسيا تمكنت من الجميع.. وهكذا كنت تقولها صريحة بلا مواربة: المرض ركبنا كلنا..

وتضحك.. أنظر في عينيك الحادتين العميقتين وأضحك غصبا عنى وأدهش من مقدرتك على لم الملك هكذا واحتوائه..

وكيف تقدر على جمع النقيضين معا.. كل هذا الألم وكل هذا الأمل؟

كل هذا الإصرار والتحدي في ظل كل هذه الاحباطات والأذى؟

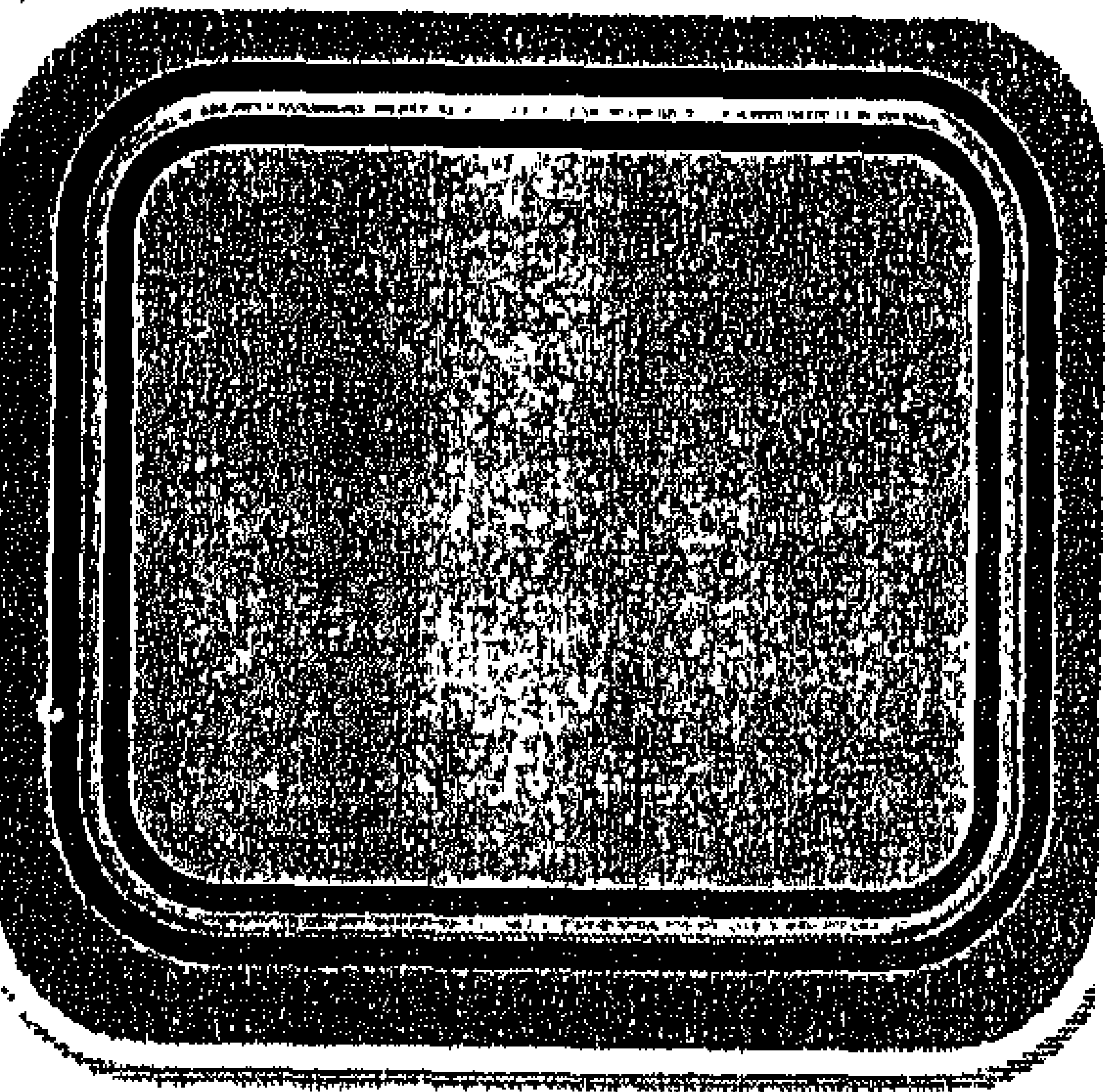
وفى كل مرة.. تحصد أنت.. تربح أنت.. حتى في لحظاتك الأخيرة وأنت تعانقنا توصينا.. وتقاسمنا محبتك وكأنك تعزف لنا لحن الصمود .

يـــاه.. يا فريد..

الآن أدرك.. معنى أن تكون فريدا..

لك المجد.. ولنا الصبر..

وعلى الدنيا السلام .





قصائد وداع

عصفور فريد معوض

وبنت تقرأ له

شعر

فــاروق خلــف

نشف ريق العصفور على قطرة ماء

طار ولف ودار على قطرة ماء، وتشقق حلق العصفور.

وقف عن قرب .

يرقب البنت الجميلة

ذات العيون البندقية

تشْرب من الدورق

عرف أنه الماء

لأنه رآه ينسكب صافيا

داخل العنق الوردي الشفاف

وعندما مثّلها حاول أن يشرب

وجد الماء بعيدا عن الحافة

التقط حصاة و أسقطها في الدورق

وحصاة وحصاة وحصاة

حتى اقترب الماء من الحافة

شرب العصفور ،

بإهاب من ذهب

وتلفت حوله ، ولم ير البسمة التي كانت تراقبه .

شقشق وطار ، ومن الآن فصاعدا .

تحرص البنت على أن تملأ الدورق إلى آخره .

لكن العصفور لا يأتي أبدا .

"فريد معوض"

بين قوسين من أغنيات وفاكهة (*)

شهادة شعرية

نشأت الشريف

رحت إلى هناك؛ إلى "فريد معوض" الذي عند أعتابِهِ تحتويك الموسيقا وتخطف منك الأنوف، ولأن هذه المرة لم يكن "فريد معوض" هناك.. فخطف أنفي لحن جنائزي!. أشار "محمود عبد الله" إلى الباب، فرأيت على الباب ألفَ ملاكٍ يطوف.

كانت هناك "إيمان" ترتب أشياءها الصغيرة، وهي تبتسم في فرحها الطفولي الخاص، ولأن سِنَّ "إيمان" الصغيرة لا تدرك ـ بعد ـ سر الحياة!، فقد اصطنع وجهي ابتسامة تذوقتُ فيها طعم الخل!، وسِنُّ "إيمان" الصغيرة لا تدرك ـ بعدُ ـ سـر الخَـل.

اجتزت عتبة الباب، ها أنا دخلت، جلستُ، كنت إذا دخلتُ.. ألَقُ الدار يرسل في خيمة العُمْي دفئا يغازل طقس الضيوف.

هذه اللحظة لم يغازلنا ألَقُ الدار.. كلنا في غرفته الآن، نتلفت يمينا وشمالا بحثا عن الدفء، فلا نجد الدفء، أتربة فوق كرسيِّهِ أشارت إلى سريره، قالت لي: السريرُ غادرهُ دفءُ الأمس، مخَدّته اليومَ باردة.... قُطن المرتبة يبحث بيننا عن دفءٍ ويضيع بحثه سُدَى!.

دخلت "إيمان"، من خلال الأسى داعبتُها:

وما الإيمان يا "إيمان"؟

مدّت يدها بشيء من الألوان، وهي تقول:

خـذِ "الشكلاتة" الحمرا!.

❖❖

وجهُ "جمال مراد" ازداد احمرارا ـ عندما رأى "إيمان "واقفة بين يديّ ـ قال في اعتراض يغافل به نفسه:

لم يمُت،

فهو المستعد.. لكي يترضّى أقاربَهُ،

والحصانَ الذي فوق أكتافِهِ،

فيعاطيهمُ بوصلة الواثقينَ،

وخارطةً للضياء،

و"إيمان" داخلة ..

في ملامحِهم تتَّحِدْ؟

❖❖

بمجرد ذكر "إيمان".. أطل "فريد" من جديد، حرارته المعروفة مدت يدها لنا واحدا واحدا، وهو يعتذرعن التأخير، عاجله "محمد المطارقي" بالسؤال:

أتموتُ؟، وأنت تقدّم للسنبلاتِ الجبّانة..

كلُّ العيادة..

والغيْظ، يسعى إلى ساعديكَ..

إذا عزّ فيه المددْ؟.

❖❖

"محمد العزوني" - المنفتح على كل الناس - فتح حقيبته، خاطبها، طارحا على أوراقها السؤال الكبير:

حبرُنا ما نفدْ (❖)

فلماذا يموتُ؟،

هل الورقات استجرنَ؟،

أَنِفنَ من الضوء،

والضوء في سرطان الحقول انغمدْ

هل أطباؤهُ الغافلونَ عن السرطان..

أصيبوا بداء الرمدْ؟!.

❖❖

انتصب "إيهاب الورداني"، دخل في "الكادر"، مال برأسه على "العزوني" هامسا:

ربما هم أعاروا ابيضاضَ "بلاطيِّهمْ"..

لخفير يُمَشِّط سوق القرابين..

بحثاً عن الظل في بهجة ابن البلد؟.

❖❖

"محمد ترك" دخل الغرفة، صرخ:

أيها الدم عد

ما الذي قتَّلكْ؟،

"المَبَرَّةُ" في مهرجان الأطباء..

قالت تعالَ، فها - من جديدٍ - أنا هِئتُ لكْ

والضماداتُ في يد "إيمانَ".. ثائرةٌ،

تتقافز في لونها،

كي تواجهَ هذا الحلَكْ

❖❖

"عبد الباسط أمين" صرخ مقاطعا:

الضماداتُ تصرخ:

يا أيها الدمُ قف.. لا تَرُم مقتلكْ

بُصَّ للقادمين مع الرحلة العائدة

واستجب للذي كان فيك يغامرُ إذ.. يتّقِد

ويضوِّؤنا حبرُهُ المستعدّ الذي..

شاف عُمْيُ البلاد أشعّتَهُ و يَدَهْ

❖❖

الإخلاص الكبير لم يمنع الانفعال عن عدودة "لطفي مطاوع":

أيها الدمُ: قف،

هل سئمتَ التخطي وأنت الوسيعُ الخُطى

شوقنا الآن يدعو خطاك إلى خطوة واحدةْ

أيها البحر رُدّ

هل أتاك البريد بزنزانةٍ تتحرّى الجَمالَ،

أم الدارُ يدخلها الاغتيالُ..

الذي " فبركوه " بداء الكَبِد؟!.

أم لأنك أنت اختلطتَ بسربِ الإوَزّ،

ائتلفتَ مع النيلِ،

خضتم معا مائةً من سنيٍّ التزاوج؟،

- والحقل للحفل يرقصُ؟ -

أم انّه الحقلُ كان بكفّيكَ مثل الأظافر..

يخلعه من محاجرك الأصدقاءُ الجُدَدْ؟!.

❖❖

من ركنه المنزوي في إحدى حارات "سامول".. قفزت عيون "محمود صادق" إلى عيوني وهو يسأل:

هل يموت الفراشُ احتجاجاً..

على سفَر القطن في سُفُن الرقّ،

كي تستريحَ الجواربُ في قدم الطائراتِ..

التي لا تحمّل إلا عِصِيَّ العُمَدْ؟.

"متولي الشافعي" اشتبك معنا في الذهول، مسك أكتاف قميصه، ما فتئ يرفعها ويخفضها، ويخفضها ويرفعها وهو يستكمل التساؤل:

أم لأن الحقولَ التي خاصمت كل رائحتي..

أغضبَت عَرَقي؟..

حين حنّت إلى "سلوفان" الأجانبِ..

حتى يقيمَ الأَوَدْ؟!.

"مجدي الفقي" داس على نفسه، وقال متحسرا وهو ينادي غائبا تخلى عنه:

أيها الفرح الخائفُ:

كم سواهُ يُعبّئ في جُرحِنا بسمةً..

- لتعالج كل المسافاتِ -

قبل الذي ينزفُ؟

كم سواهُ يباعد بين المفاتيح واللصّ،

والحقلُ في رملِهِ تائهٌ..

بين أخضرٍ وَرَدٍّ ؟

"ياسر عزيز" تلَقّف الكلمات من "مجدي الفقي"، ونادى:

أيها الفرحُ الخائفُ:

- الآن - مَنْ بعدهُ..

يرفع الدارَ في كتفيهِ..

و"إيمانُ" تنعس،

تصحو،

وتدخل..

تخرج.. يسبقها المعزَفُ؟

ويراقصُها،

وينادي على الموجِ..

حتى تجيءَ القوافلُ من بين جَزرٍ ومَدٍّ

❖❖

"محمود عبد الله" تجاوز اللحظة، ربما لأنه قارن بين وجوهنا المدهونة بالخل.. ووجه "إيمان" الذي لم تستطع اللحظة أن تدهنه بالخل، نادى على غائب:

أيها الفرحُ الخائفُ:

- الآن - كم واحداً بعدَهُ..

يستريح إلى كَسْر أعسالِنـا..

حتى يرشّ نُهـوراً،

و"إيمان" ضاحكـةً تقطفُ

❖❖

أما نحن ـ كلنا في وقتٍ واحد ـ فقد رأينا شجاعتنا تضع يديها على وجهها، أما "إيمان" ـ التي لا تدرك سر الموت ولا سرّ الحياة ـ واجهت اللحظة بوجهها المغسول برائحة الطفولة؛ وجهها يعاتب جمعتنا المتحلق حول تكشيرة كبرى.

نعم، كلنا كنا جبناءَ أمام اللحظة!، و"إيمان" لم تكن كذلك، كانت تناولني "الشوكولاتة" الحمرا!!.

❖❖

حان ميعاد انصرافي من "ساموول"، لمحت "إيمان" تمسك بيدها العسراء عروستها، ويدُها اليمنى تقبض على قطعة "الشوكولاتة" الحمرا، وتلوك شيئا بين أسنانها، تأملت وجهها، قلت لها:

أين "فريد"؟

ضحكت براءتها وهي تقول: في الجنة.

احكي لي عن الجنة يا"إيمان" فأنا في أسفل سافلين، ولا أعرف شيئا عنها، نظرَت إلى السماء ولم تنطق.

إلى حيث نظـرَت رفعت رأسي؛ إلى أعلى عِليين، مجموعة منتقاة بيَـد من أبدع الخلق، والمنتقون واقفون بين قوسين من أغنياتٍ وفاكهةٍ، تبيّنتُ منهم وجهَ شيخي "عبد الحفيظ صقر" الذي ياطالما بثّ بيننا روائحه العطرة، والذي رسمت يد الله على وجهه أمارات السماح، بجانبه "جمال عساكر" الذي ـ من يوم أن ذهب إلى هناك ـ أصبحنا نفتقر إلى الحب والبراءة، وبجوارهما "محمد الشافعي"؛ ابن "ساموول"؛ الأستاذ الذي من الجامعة نزل إلينا.. فأدخلنا الجامعة إذ رفعَنا إليه، واختلط بنا.. فآخانا، ها هو.. أراه متهلل الوجه، وهو يقول "لفريد معوض" مرحبا يا الذي انفلت ـ الآن مثلي ـ من داء الكبد!!، وأصبح معنا الآن بين قوسين من اغنياتٍ وفاكهةٍ.

وهنا.. خفضتُ رأسي، وقلتُ لنفسي ولكل الذين معي في أسفل سافلين:

أيها المغمضونَ شبابيكَكُم:

انتمُ أولُ،

أنتمُ آخرُ

ها هو الموتُ أعلنهُ الزائرُ

فتعالوا إليّ،

ولا تتخفّوا، ولا تدخلوا

سيطولكمُ الطائلُ

فاخرجوا من مساكِنكم كلِّكُمْ

قبل أن تخرجوا واحداً واحداً..

في السرابِ الذي يكسِرُ (**)

***

(*) "بين قوسين من أغنيات وفاكهة" هذا التشكيل ورد بالنص في قصيدة "زيارة" - ديوان "تجلدات أبي الفهد" - محمد نشأت الشريف.

(**) الأسطر الشعرية من قصيدة "من عليه الدور"- محمد نشأت الشريف - بتصرف يسير حسب مقتضى الحال والمقال.

عزّ الرثاء

شعر

عزت عبد الله

الدمع لا يطفي لظى وجداني   والحزن لا يقوى عليه جناني
والحرف في خلقي تحشرج بعدما   أضحى عليلا لا يطال لساني
عز الرثاء على من فرط الأسى   ماذا يخط من الرثاء بناني ؟!
فيراعتي تبكي بغير مدادها   عجزت عن التصوير للأحزان

جفت لهاتي عندما أجهشت ما   ذا سوف يروى غلة الظمآن ؟!
غير البكاء وليته ينتابني   لكنه أيضا أبى سلواني
وكما تحجرت الدموع بمقلتي   قلمي تأبى أن يخط بياني
يا ويح قلبي يا (فريد) فإنه   متفطر جزرا من الأشجان

أو كلما أختار خلا خذته   وتركتني ربي بلا أقران ؟!
حاشاك تسأل يا إلهي .. ربما   من فرط حزني قد هوى ميزاني
وجنحت نحو الغي من عدم الرضا   فرحيل خل صادق أضناني
وفقدت في بحر القريض مجادفي   فالهوج هبت واختفى رباني
والكل منا (في مهب الريح) لا   نقوى على رد القضا الرباني
لكننا نرضى القضاء تعبدا   رحماك ربي بالفتى الريان

علما ومعرفة وحسن طوية   بمحاسن الأخلاق والإيمان
وتواضع جسم به بلغ السها   بل فاقها أفقا على الأخدان

فهـو الـذي مـلأ القلـوب محبـة ... وأقـام فيهـا منـزل العرفـان
دماثـة الأخـلاق عُرِّفنـا بـه ... كيـف الوصـول لخلـة الإحسـان

ريـح الصبا أنفاسـه وعبيرهـا ... كالياتجـان ونفحـة الريحـان
ولسـانه عـف يقطِّـر زمزمـا ... لا شـوب فيمـا فاهـت الشفتان
فحديثـه لحسـن الصبا أنغامـه ... ومـن الحجـاز مقامـه الروحـاني
والـدين فـي أعماقـه متجـذر ... يـا طيـب معشـره مـع النـدمان
مهمـا بـدا البـون السحيق مباعـدا ... عنّـا (فريـدا) هـان فـي الأزمـان
فالبعـد بالأجسـاد لـيس نهايـة ... والقـرب بـالأرواح عمـر ثـان.

و (عـزاء أهـل القريـة) الشمّاء أن ... (سـامول) منّـا فـي الحشا الجـواني
قـد كنـت تاجـا فـوق رأس رجالهـا ... تزهـو بـك (الـدلتا) وأي مكـان
كنـت (المنـادي) بالشمائل بيننـا ... حتـى نـصون قداسـة الأوطـان
ألزمـت (مرسـي) الأرض يعـرف قـدرها ... مـن يعرقـون لريهـا بتفـاني
(عـادت قلـوبهم) عليـك حزينـة ... أن شـيعو نفسـا مـن الـرحمن
قـد كنـت فـيهم رائـدا ومعلمـا ... لمحبـة الإنسـان للإنسـان
فحـضنت طفـلا تبتغـي إسـعاده ... فـي (تبـة مسحورة) بأغـاني
ناديتـه ورفاقـه بتـدلل ... هيـا (لنكتـب قـصة) ببيـان
سـيناء غنـت بعـضها بينـاً بـدا ... (إشـراق شـمس الحـب) للـصبيان
و (الأعظميـة) عـشت أيامـا بهـا ... عبـق الأصـالة عبـر كـل زمـان
بغـداد تـصمد يـا (فريـد) ولـن تمـو ... ت كمـا كتبـت ورحـت للـديان
(جفـت ينـابيع) الهنـا رغـم المنـى ... وخبـا "بـصيص العـود" رهـن ثـوان

كم كنت طفلا يا (فريد) وداعة ... بشمائل النبلاء والفرسان
نازلت أهل الزيف في زمن الخنا ... بنزاهة القلم الشريف الشان
فقدرت معني كلمة الرحمن (كُن) ... فعلا لخلق العرش والأكوان
ورفعتها عما يسوء دلالة ... ممن أساؤوها بلغو لسان
فرقيت في علم الكلام معارجا ... وعلوت للملكوت بالإحسان
فنجوت من سم الزواحف بيننا ... ونعيق بوم الشوم والغربان

لكأنني بك يا (فريد) أراكَ في ... حلل البهاء بجنة الرضوان
تحظى بحور العين حولك ناعما ... في جوسق من خالص العقيان

رباه هذا العبد جاءك طائعا ... ببراءة الأطفال والولدان
فاقبله ربي كيفما ترضى له ... من رحمة وبراءة وحنان
من تحته الأنهار تجرى كوثراً ... متمتعا في روضة وجنان
إن أنسَ لن أنساه حتى نلتقي ... تحت اللوا بنبينا العدنان

حكاية إيمان

(طفلة الأديب الراحل : فريد معوض)

شعر

لطفي مطاوع

قالت لي تلك البنت الصغرى إيمان
ذات السبع شموعٍ
: يا عمّاه
أين أبي ؟!
أريد فريد أبي !
هل سافر حقا عند الله ؟!
آه !
من يحكي لي قصصا وروايات
كان يؤلفها من أجلي
من يلعب يا عماه معي ؟
حين أعود إلى البيتِ فيستقبلني
بين جناحيه ويرفعني
ويقبلني سبعاً سبعا
ويدور يدور يدوِّخني
حتى أضحك بين حنانيه وأبكي
فيهدهدني

من يحملني مثل جمال المِلح ويمشي ؟

يتهادي فوق الفرشِ

من يهديني لعبة عيد الميلاد ؟

من يشري لي فستان الأعياد ؟

قل لي يا عماه .. فواكربي

قلت لها : يا إيمان القلبِ

لا كرب اليوم على الحِبِّ

يا بنت الحِبِّ

كان أبوك فريداً

يحمل قلباً تتسع محبَّته للخلق وللأديانْ

وأراد الله له

أن يجعله مِلكاً للناس لكلِّ الناسِ

فأوحى لملاكٍ

أن يمسك روحه بالرفق وبالقسطاسِ

يوزعها ما بين القمرْ

الوردْ ،

الطفلْ ،

الكروانْ .

فتهلل وجه البنت الصغرى إيمانْ

وأشارت قائلةً: انظر يا عماه

يا سبحان الله !!

طلع القمر على البستانْ

ويحوم صفير الكروانْ

قلت لها: حسبُك

حسبُك يا إيمانْ

فأبوكِ يطل علينا الآنْ .

***

اللّه يعوض

شعر
هانم الفضالي

وعرفت تسرق يا قدر من وسطنا الشاطر
لا كان على البال الفراق ولا كان على الخاطر
ولا سد هوجتك فلاح ولا صدك الحاضر
برقت برقة عدم صبح الوجع فاطر

كان الفراق في اللقا قلبه شفافية
وضحك سنه لنا حكاية مروية
الأرض فيها البطل والوطن قرية
الكل فيها عزف مرحب يا حرية

هدهد على ولادنا كانت شباكه صيد
قيمة ومبادئ عظيمة ولبكره لازم عيد
أصل الكرامة فينا ملغية م المواعيد
زرعت فيهم أمل حتى ولو في البيد

نادي المنادي عليه خنقتنا أحكامه
لا قدرنا نرفع ألم ولا شلنا أحماله
قلب الصحاب انفطر عاجز عن اوصاله
قلب الحجر انشطر قال الفريد ماله

لا شمسه يوم هتغيب ولا نجومه تقل
ولا يطويه برد ليل ولا يداريه الضل
نفس الحكاوي نغم في مهد عين بتطل
تلفزه مسرح رداوي تاريخه مايبنشل

الله يعوض يا أدب بفريد معوض تاني
وإن كان ده حلم بينشطب ماتشطبوش تاني
ومع الحكاوي انكب والحزن مش فاني
والصبر لو ينشري أردب ما كفاني

يا خالق الأكوان نور كبد قبره
تقلّه في الميزان ولا تحرموش أجره
في الآخرة وبالحسن والحسين صاحبه
وألهمنا ويا الصبر دعوة بترجع له

دموع الحبيب

شعر

أحمد السيد

عزيــزٌ علــيَّ دمــوع الحبيــبِ ... وآهــاتُ قلــبِ الأديــبِ النَّجيــبِ
وكيــف أكفكــفُ مِــن دمعــهِ ... ولــيسَ يَكُــفُّ عليــهِ نَحيبــي

و كيــف أروحُ عنــه وقلبــي ... حــزينٌ يُغنــي بلحــنٍ كئيــبِ؟
لقــد أبصرَ الــدهرُ غـصنَه رطْبًـا ... فــآثرَ مَــصَّ اللُّبــابِ الرطيــبِ

و ظَّــل يُقطِــفُ أزهــارَه ... ليظفــرَ منهــا بِعطْــرٍ وطيــبِ
و أســرجَ مــن نــورِه نجمــةً ... ليــأنس بــالنورِ بعــدَ المغيــبِ

فلمــاً تَدلَّــة فــي حُبِّــهِ ... رمــاهُ وســمَّى بــسهمٍ مُــصيبِ
وضــمَّهُ ضــمَّةَ قَبْــرٍ لِحَــيٌّ ... وقــال: هَلُــمَّ إلــيَّ حبيبــي

فأضْــحى فــؤادي كجيــبِ الأديــبِ ... وضــاقَ بهــذا الفــضاءِ الرحيــبِ
و أمــسى تعيــسًا بقفْــرٍ جــديبِ ... وكــان هنيئًــا بمرعــىً خــصيبِ

فعاتبــتُ دهْــري لمــاذا حبــاهُ ... مــن الحادثــاتِ بــأوفى نــصيبِ؟
فــأنكر قــولي وقــال: عجيــبٌ ... أهــذا يليــقُ بفكْــرِ اللبيــبِ؟

ألــستُ بقــربِ حبيبــيَ أولــى؟ ... و أنــتم تُحبــون قُــربَ الحبيــبِ
سأنــشرُ مــنْ وُدهِ رحمــةً ... تــؤلفكمْ مثــلَ رحْــمٍ قريــبِ

و أقــبِسُ مــنْ نُــورِه حكمــةً | لتمحـــوَ بـــالحقِّ شــكَّ المُريـــبِ
و أنــشيءُ مــن طيبــهِ جنــةً | جــزاءً وفاقًــا لكــلِّ مُنيـــب

فقلــتُ رضــيتُ بمــا ترتــضيهِ | فيــا عــينُ قــريّ ويــا نفــسُ طِيبــي
فــإنَّ الخَلِــيَّ ولــو عــاش دَهْــرًا | فــسوف يمــرُّ مـــرورَ الغريـــبِ

و أمــا الــشجيُّ فلــو عــاش يومًــا | يُخَلــدُه الــدَهرُ مثـــلَ الأديـــبِ

أيقونة

شعر

محمد عبد الستار الدش

أيقونة قروية فتحت طريقا للحياة

بطعم رائحة الحقول

و أسرجت هذا الطريق

بشمس فطرتها النقية

أطلقت أفراخها في كل ساحات الطفولة

تستعيد الذكريات

تحرك الأرواح

نحو بكارة عاشت عليها الأغنيات

بلا خنوع

صفقت

رقصت بيوت خلفها

دخلت إلى الميدان

تبحث عن هوى

ما كان إلا ما هوت

تلك البيوت وما هوت

أيقونة .....

من جذر سامول استطالت

في غُنى تعطي الحضور ثمارها

من غير نقصان الثمار

ولا تملّ

فتدخل الطبقات

في قصر الخلود

تعيش بهجتها البريئة

إنها مدد على مدد

على مدد ومدّ

نهض الفؤاد إلى الأبد

ما كان هذا النجم مسجونا بحدّ

هو عالم أعلى من الناس[٢٦] استطاع

بكل حب أن يكون كما أراد

بلا قناع

يصطفي أحلامه

من بين آلاف ويشعل روحه

عود الثقاب[٢٧]

ويرتقي ..

لا ينتهي ..

لا ينتهي .. لا ينتهي

فيه ارتقاء دائم

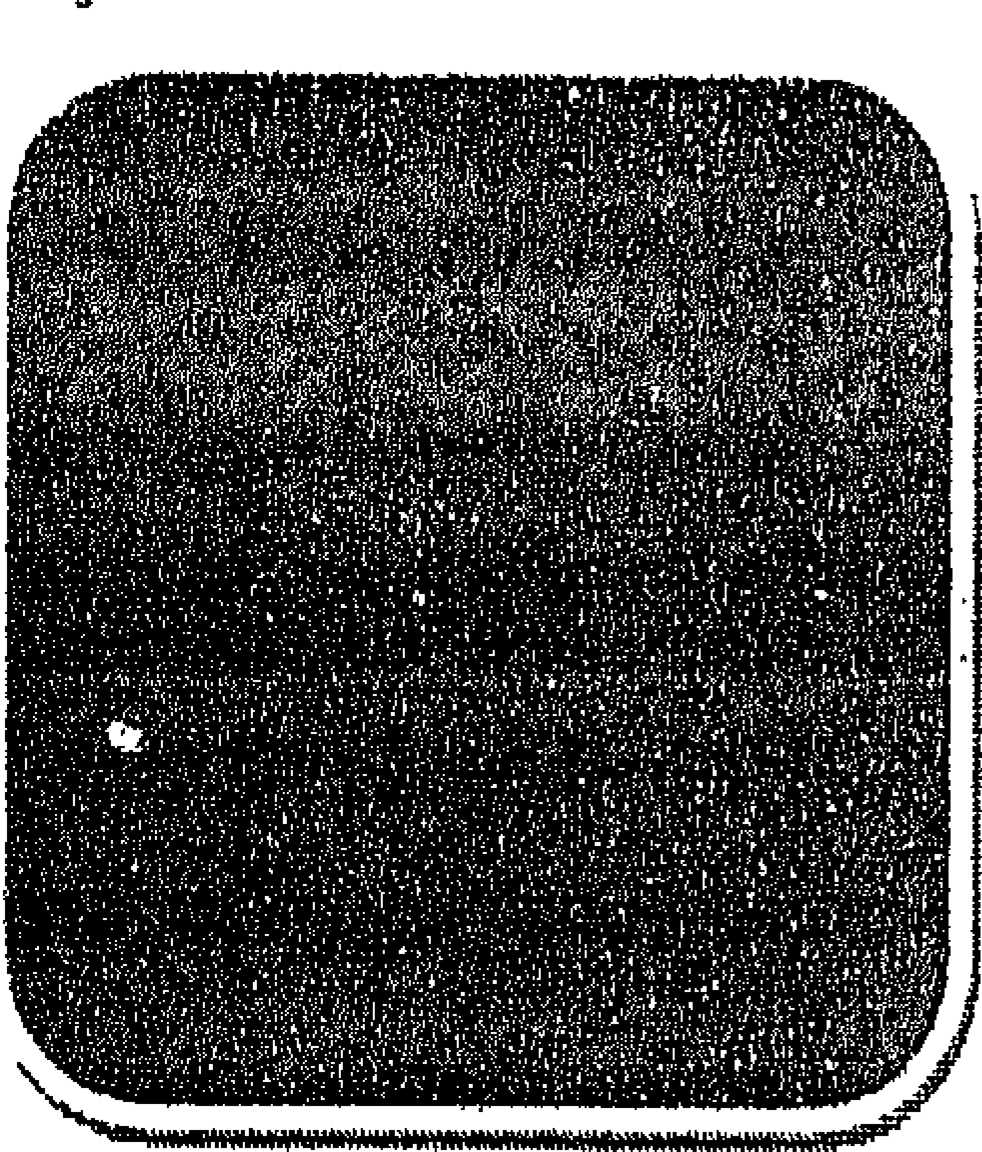
والناس في الطرقات ترقب أن يعود

بشمعة أخرى لمن لا يبصرون .

---

[٢٦] مجموعة قصصية بعنوان "أعلى من كل الناس" للأديب فريد محمد معوض

[٢٧] مجموعة قصصية بعنوان "عود ثقاب " للأديب فريد محمد معوض


سيرة ذاتية




فريد محمد معوض



اسم الشهرة فريد معوض

"عضو اتحاد كتاب مصر"

من مواليد قرية سامول مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية عام ١٩٦١ .

حفظ الكثير من القرآن الكريم في طفولته وهو يدين لنشأته الدينية التي جعلته يعشق اللغة العربية ويحبها .

اكتسب خبرات كثيرة في الحياة حيث عمل في فترة طفولته في أعمال الزراعة بسبب ظروف مرض والده.. و كان قد اتجه للتعليم الفني لذات السبب حيث حصل على دبلوم صنايع قسم طباعة عام ٧٩ / ٨٠ .

استمع لغناء النسوة في الحقول.. راقب الفلاحين الطيبين وتعلم من ملامحهم الصادقة وكتب عنهم .

تأثر بالمنشدين الذين كانوا يتوافدون إلى القرية وأدهشته قدرة الراوي على جذب الناس إليه.. تأثر كثيرا بشخصية أبيه وتعلم من كفاحه وصلابته ومجابهته لقسوة الحياة رغم ظروف مرضه ولذا أهدى أول مجموعة قصصية صدرت له في أوائل التسعينات إلى الذي علمني كيف يمسك بالفأس ولم يمسك في حياته غير القلم إلى الذي صنعني بيديه المشققين إنسانا إلى أبى وإلى أمي التي ما تزال تعطى بلا حدود".

و"رئيس نادي الأدب بقصر ثقافة غزل المحلة"

و"عضو أمانة مؤتمر أدباء مصر لعدة دورات "

و"عمل أستاذا زائرا لأدب الطفل في كلية التربية جامعة طنطا" أعوام٩١ و ٩٢ و ٩٣

و"كرمه مؤتمر أدباء مصر في دورته المنعقدة في بسوهاج بمصر عام ٢٠٠٦ عن مجمل أعماله الأدبية المنشورة" وباعتباره الشخصية الأدبية العامة في الوجه البحري المصري.

و"المندوب التحريري لمجلة أحمد اللبنانية في مصر".

و يكتب بابا ثابتا في مجلة قطر الندى المصرية بعنوان "زمان في قريتي".

الجوائز الأدبية والتكريم والترجمة في مصر

جائزة سوزان مبارك عام٨٩ و ٩٠ و ٩٣ (في مجال أدب الطفل)

فازت إحدى كتبه بجائزة سوزان مبارك أحسن كتاب للمحترفين "الأرض تعلمنا" عام٢٠٠٦.

جائزة أبها السعودية الأولى على مستوى العالم العربي عن مجموعته "عم مرجان والحب الذي كان" عام ١٩٩٥.

جائزة الاتحاد العام للفنانين العرب عن روايته "التبة المسحورة" عام ١٩٩٦.

جائزة الشارقة للإبداع العربي عن مسرحيته للأطفال "الديك والدجاجة" عام ١٩٩٩.

جائزة يوسف السباعي الأولى في مجال النقد الأدبي عام ٢٠٠٢.

جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة بالمركز الأول لعدة سنوات عن رواياته "المرسى والأرض" و"أيام في الأعظمية" و "أرض الهويس".

رشح المجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية مجموعته القصصية "أعلى من كل الناس" للترجمة للغة الإنجليزية بلندن عام٢٠٠٤ ضمن عشر مجموعات قصصية لأدباء مصريين.

اختارت منظمة الأمم المتحدة للأطفال"اليونيسيف" بالتعاون مع وزارة الثقافة بمصر كتابين له بعنوان "حكايتي مع الطائرة" و "نشيد الشمس" وتم ترجمتهما لعدة لغات حية عام١٩٩٢.

تناولته العديد من الدراسات الهامة لكبار الكتاب والنقاد حول أعماله القصصية والروائية وأدب الطفل.

كتبت عن أعماله الدكتورة أميمة جادو دراسة مطولة بعنوان "الخطاب التربوي في أدب الطفل فريد معوض نموذجا " نالت عنها درجة الدكتوراه

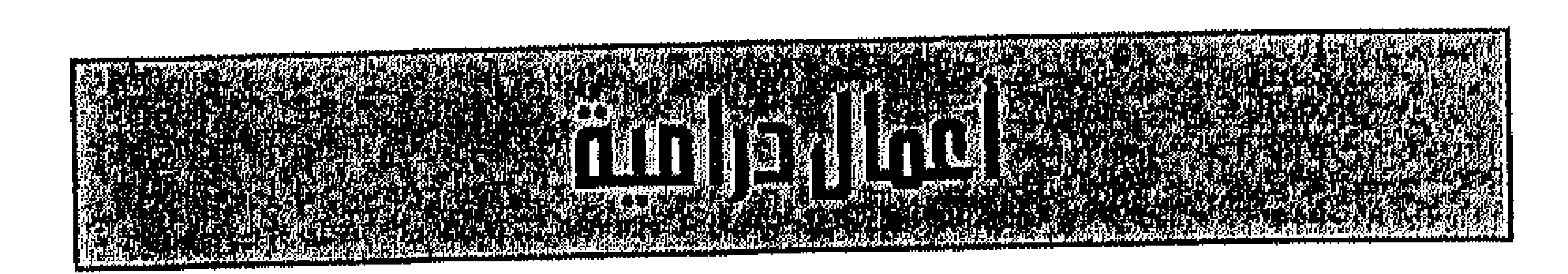
حظيت روايته أيام في الأعظمية بأكثر من عشرين دراسة باعتبارها تنبأت لاحتلال العراق وقد صدرت عام١٩٩٩.

من الأقلام التي تناولتها "يوسف القعيد" و "محمد سلماوي" و "أسامة فرج" و "حلمي القاعود" و "الدكتور مصطفى عبد الغنى" و "فتحي سلامة" و غيرهم.

الجائزة الأولى في مسابقة "يوسف السباعي" في مجال النقد في دراسات في أدب الطفل "أفراح وأحزان طفل هذا الزمان".

كرمه مؤتمر أدباء مصر عام ٢٠٠٦ والذي عقد في سوهاج حيث تم اختياره الشخصية الأدبية الوحيدة عن الوجه البحري المصري ونال درع وزارة الثقافة وطبع له أعمال قصصية مختارة وزعت ضمن أوراق المؤتمر.

ترجمت قصته "كراسة" للغة الإيطالية قامت بترجمتها ماريا لويزا البانو وعرضت بمعرض بولونيا الدولي ٢٠٠٩.



كتب القصة والسيناريو والحوار للعديد من المسلسلات التي أنتجتها صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات منها:

أعمال درامية للأطفال:

١. عندما غنت سيناء
٢. التبة المسحورة
٣. من قصص النجاح
٤. تعالوا نكتب قصة

بالإضافة إلى:

٥. حارة الموناليزا - عن قصة للكاتب محمد عبد الحافظ ناصف

مسلسلات تلفزيونية للكبار:

مسلسل "المرسى والأرض" سيناريو وحوار محمد فتحي الشرقاوي إخراج محمد السيد عيسى وبطولة كمال أبو رية وجيهان فاضل والسيد راضي و سهير المرشدي وغيرهم إنتاج شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات٢٠٠٤.

"عزاء أهل القرية" سهرة تليفزيونية من إنتاج صوت القاهرة سيناريو وحوار محمد فتحي الشرقاوي إخراج دكتور أحمد فهمي عبد الظاهر٢٠٠٤.

"المنادي" المأخوذ عن إحدى رواياته .. والذي تم عرضه في شهر رمضان عام٢٠٠٦ سيناريو وحوار محمد فتحي الشرقاوي إخراج رضا النجار وإنتاج صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات بطولة أحمد بدير ورياض الخولي وسوسن بدر ونهال عنبر وآخرين ٢٠٠٦.

مسلسل "وعادت القلوب" قصة فريد محمد معوض وسيناريو وحوار محمد فتحي الشرقاوي تمثيل : عزت العلايلي- خالد زكي -رجاء الجداوي - أحمد فريد معوض إخراج : عمرو عابدين .

"أرض الهويس" تحت التصوير .

الأعمال القصصية والروائية

ثَبات ونَبات	قصص.. كتاب مشترك .. أدب الجماهير١٩٨٨ .
المرسي والأرض	رواية.. سلسلة أصوات أدبية.. هيئة قصور الثقافة١٩٩٢(وهي الرواية الفائزة بجائزة وزارة الثقافة وتحولت إلي مسلسل تليفزيوني٩٠/١٩٩١)
عود ثقاب	قصص .. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ .
أيام في الأعظمية	رواية.. سلسلة الجوائز.. هيئة قصور الثقافة١٩٩٩(وهي الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة هيئة قصور الثقافة٩٦/١٩٩٧) .
أعلى من كل الناس	قصص.. سلسلة إبداع الحرية٢٠٠٢ وتترجم حاليا للإنجليزية في لندن بترشيح من المجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية .
أرض الهويس	رواية .. تحت الطبع في الهيئة المصرية العامة للكتاب
"في وجه الريح "المنادي	رواية.. سلسلة إبداع الحرية ٢٠٠٤
هجرة بلا حدود	الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفي مجال النقد :

الحكيم وحكايات الفن	الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٩.
أفراح وأحزان طفل هذا الزمان	الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨.

في أدب الأطفال

ودائما تشرق الشمس	قصة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠(وهي المجموعة الفائزة بجائزة سوزان مبارك في أدب الطفل١٩٨٩).
حكايتي مع الطائرة	قصة..المركز القومي لثقافة الطفل بالتعاون مع اليونيسيف١٩٩٢ (وهى القصة الأولي التي اختارتها اللجنة للكاتب كواحدة من أفضل عشرة أعمال قدمت عن الطفل المصري.. عدد النسخ المطبوعة مليون نسخة.. وترجمت لعدة لغات)
نشيد الشمس	قصة..المركز القومي لثقافة الطفل بالتعاون مع اليونيسيف١٩٩٢ (وهي القصة الثانية التي اختارتها اللجنة للكاتب كواحدة من أفضل عشرة أعمال قدمت للطفل المصري.. مليون نسخة.. وترجمة لعدة لغات)
التبة المسحورة	رواية للطفل..الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ (وهى القصة الفائزة بجائزة سوزان مبارك في أدب الطفل عام١٩٩٣)
العم سلامة	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى ١٩٩٥-طبعة ثانية٢٠٠٣
الديك والدجاجة	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى١٩٩٥ -طبعة ثانية٢٠٠٣
خضر يزرع شجرة	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى١٩٩٥ -طبعة ثانية٢٠٠٣
الذبابة	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى١٩٩٥-طبعة ثانية٢٠٠٣
رحلة فاشلة	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى١٩٩٥-طبعة ثانية٢٠٠٣
سامية ودانة	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى١٩٩٥-طبعة ثانية٢٠٠٣
الصديقتان	مكتبة الصيصان-دار الحدائق طبعة أولى١٩٩٥-طبعة ثانية٢٠٠٣
قصص وقطط	قصص.. كتاب قطر الندى.. هيئة قصور الثقافة ١٩٩٦
	((أجمل القصص العربية ثلاث قصص في كتابين أصدرتهما الأهرام ضمن مطبوعات علاء الدين رقم٣،٤ تم اختيارها للكاتب لنشرها ضمن مجلد"أجمل القصص العربية"))
الحكيم وحكايات الفن	هيئة قصور الثقافة.. سلسلة عين الصقر١٩٩٧.
علمنا الطير	قصص.. هيئة قصور الثقافة – كتاب قطر الندى٢٠٠٠.

	(مختارات من مجموعته الفائزة بالجائزة الأولى في المسابقة العربية التي نظمها نادي أبها السعودي عام١٩٩٥) .
الديك والدجاجة	مسرحية للطفل.. دائرة الثقافة والإعلام الشارقة٢٠٠٠ الإمارات(وهى المسرحية الفائزة بجائزة الشارقة للإبداع العربي عام١٩٩٩).
لا تلقني في النهر	قصص.. دار المعارف٢٠٠٢ .
سيناء تغني	رواية للطفل.. دار المعارف٢٠٠٢ (وهى الرواية الفائزة بجائزة الاتحاد العام للفنانين العرب١٩٩٦).
صوت عبد الرافع	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
مدينة الورد	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
حكاية طبيب إنسان	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
من يكسب السباق	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
صيام محمود	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
حجرة القرآن	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
دعني أعلمك شيئا	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
مريم تهدي فوزها	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
الجائزة	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
النجار الفنان	سلسلة من قصص النجاح — مكتبة الإيمان ٢٠٠٣
أمير الحجر	قصص—سلسلة روائع أدب الطفل.. دار أم القرى ٢٠٠٤
حروف القدس	دار أم القرى ٢٠٠٤
رحلة إلى الأقصى	سلسلة روائع أدب الطفل.. دار أم القرى ٢٠٠٤
الأرض تعلمنا	كتاب قطر الندى.. هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٤
العودة	من حكايات الإمام—دار العلم والإيمان ٢٠٠٤

البنت التي افطرت قبل الآذان	من حكايات الإمام – دار العلم والإيمان ٢٠٠٤
فانوس من دقادوس	من حكايات الإمام – دار العلم والإيمان٢٠٠٤
البحث عن حيلة	من حكايات الإمام – دار العلم والإيمان٢٠٠٤
أقوى من القطار	من حكايات الإمام – دار العلم والإيمان٢٠٠٤
حتى يمضي القطار	من حكايات الإمام – دار العلم والإيمان ٢٠٠٤
"من حكايات الإمام"	مواقف من حياة الشيخ محمد متولي الشعراوي..مكتبة العلم والإيمان ٢٠٠٤
أول رسالة	مجموعة قصصية للطفل..الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٥
حكاية قطعة من الخشب	سلسلة لمحات علمية – هيئة النيل للنشر والتوزيع٢٠٠٥
حكاية مع الحرارة	سلسلة لمحات علمية – هيئة النيل للنشر والتوزيع٢٠٠٥
أغنية للشمس	سلسلة لمحات علمية – هيئة النيل للنشر والتوزيع٢٠٠٥
حوار مع الساعة	سلسلة لمحات علمية – هيئة النيل للنشر والتوزيع٢٠٠٥
ولكنها تدور	سلسلة لمحات علمية – هيئة النيل للنشر والتوزيع٢٠٠٥
من يطرق النافذة	سلسلة لمحات علمية – هيئة النيل للنشر والتوزيع٢٠٠٥
	((لمحات علمية سلسلة قصصية..الشركة العربية للنشر والتوزيع "سلسلة توظف المعلومة العلمية داخل نصوص إبداعية ٢٠٠٥))
قصة حياة كوبري	رواية للطفل.. دار الأمناء ٢٠٠٦
أم الحواديت	رواية للطفل .. دار الأمناء ٢٠٠٦
حكاية جدي والحصان	رواية للطفل .. دار الأمناء ٢٠٠٦
حكاية فيها ابتكار	مكتبة مصر–سلسلة حكايات أخلاقية
بطل الفيلم الجديد	مكتبة مصر–سلسلة حكايات أخلاقية

بستان الحكايات	(مشروع يتبنى إبراز القيم الإيجابية الموجودة في المجتمع العربي والتي أوشكت على الانقراض في عصر السماوات المفتوحة داخل نصوص قصصية) دار أم القرى ٢٠٠٦
زمان في قريتي	(مشروع يتبنى إبراز القيم الإيجابية الموجودة في المجتمع العربي والتي أوشكت على الانقراض في عصر السماوات المفتوحة داخل نصوص قصصية) دار أنس بن مالك للنشر والتوزيع طبعة أولى٢٠٠٦- طبعة ثانية ٢٠٠٩
المكان المناسب	البراعم الوردية - دار العلم والإيمان٢٠٠٦
الهدف المناسب	البراعم الوردية - دار العلم والإيمان٢٠٠٦
هيا نلعب من جديد	البراعم الوردية — دار العلم والإيمان ٢٠٠٦
ملابس جديدة	البراعم الوردية — دار العلم والإيمان ٢٠٠٦
أول وردة	البراعم الوردية — دار العلم والإيمان ٢٠٠٦
حكاية نمولة	البراعم الوردية — دار العلم والإيمان ٢٠٠٦
العيد الحقيقي	دار المعارف جمهورية مصر العربية ٢٠٠٦
بقية القصة	سلسلة مكتبتي دار المعارف ٢٠٠٦
نصيبنا في الحكاية	مكتبة مصر ٢٠٠٦
قطار البلاد النائمة	الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦
أغلى مسبحة	دار المعارف ٢٠٠٧
عندما حلمت شمس	سلسلة عالم الأحلام — مكتبة الصفا ٢٠٠٧
عندما انطلق القمر	سلسلة عالم الأحلام — مكتبة الصفا ٢٠٠٧
عندما تتداخل الأحلام	سلسلة عالم الأحلام — مكتبة الصفا ٢٠٠٧
عندما بكت الآلة	سلسلة عالم الأحلام — مكتبة الصفا ٢٠٠٧
عندما عاد حسان	سلسلة عالم الأحلام — مكتبة الصفا ٢٠٠٧
غرفة الدكتور	سلسلة مملكة الحكايات — مكتبة الصفا ٢٠٠٧

قطة تطرق الباب	سلسلة مملكة الحكايات – مكتبة الصفا ٢٠٠٧
قميص الشتاء يحكي	سلسلة مملكة الحكايات – مكتبة الصفا ٢٠٠٧
في صحبة عمتي	كتاب قطر الندى - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٨
عندما تنطق اللوحة	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
الكتاب والمغارة	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
صوت عبد الجواد	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
ظهور الجدة الكبيرة	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
حسام ومدينة الأحلام	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
حلم الشرطي	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
الحساب	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
في انتظار السوق	سلسلة حكايات المساء – مؤسسة حورس الدولية ٢٠٠٨
الحكاية والعدد للبنت والولد	دار الصحابة - ٢٠٠٨
بيعنخي جبل الجنوب	رواية للطفل - دار الهلال ٢٠٠٨
حكاية البنت والألوان	سلسلة حكايات البنات – دار الأمناء ٢٠٠٩
درجات إيمان	سلسلة حكايات البنات – دار الأمناء ٢٠٠٩
نحمّده	سلسلة حكايات البنات – دار الأمناء ٢٠٠٩
المذيعة الصغيرة	سلسلة حكايات البنات – دار الأمناء ٢٠٠٩
أنا لا أحب البرتقال	سلسلة حكايات البنات – دار الأمناء ٢٠٠٩
العودة إلى الصفصاف	مشروع روافد - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت ٢٠٠٩

دراسات عن أعماله في كتب ودوريات :

تأسيس أدب جديد د.عبد المنعم تليمة ضمن دراسة عن مجموعة كتاب١٩٨٨ أدب الجماهير .

عصفور وناي.. محمد أبو قمر.. الرافعي.. العدد التاسع١٩٨٩ .

القرية عالم فريد.. محمد المطارقي.. المساء٢/٩/١٩٩١

جائزة سوزان مبارك تكشف عن كنز كتاب الطفل بالأقاليم.. هناء عبد الجواد.. الحياة٣/٣/١٩٩١

نفحة ريفية صادقة.. فتحي سلامة.. "عن المرسى والأرض" الأهرام١٠/١/١٩٩٣

المرسي والأرض.. محمد سلماوي.. الأهرام ٢١/٥/١٩٩٣

الكتابة الطالعة من رحم الموت.. حول روايات الثمانينيات ودراسة مطولة عن المرسي والأرض.. صالح سليمان عبد العظيم.. إيقاعات.. الكتاب الثاني١٩٩٤

نشيد الشمس.. قصة علمية جميلة.. مصطفى عبد الوهاب.. الصناعة والاقتصاد٢٢/٦/١٩٩٣

المواويل تموت على شفاه البسطاء.. دراسة عن المرسي والأرض.. زينب العسال الأهرام المسائي٣/٥/١٩٩٤

الرواية والتحول الاجتماعي في العقدين الأخيرين "دراسة عن المرسي والأرض" كتاب "بحوث الرواية والقصة القصيرة" د .مصطفى عبد الغني١٩٩٣ هيئة قصور الثقافة .

"آباء الستينات " محمد جبريل.. الإشارة في الكتابة عن الريف المصري مكتبة مصر١٩٩٥

دراسة مستفيضة عن قصة "رأيته يتعثر" الفيصل السعودية.. د.محمد صالح الشنطي يونيو ٩٥

"قصص وقطط" يعقوب الشاروني-الأهرام ٢٩/٦/٩٦

ملف خاص عن الكاتب-مجلة الرافعي ١٩٩٧

صورة الطفل في القصة القصيرة وأدباء الثمانينيات.. مصطفى القاضي.. هيئة الكتاب١٩٩٨.

المقابلات الدالة عند فريد محمد معوض.. دراسة عن عود ثقاب.. للدكتور حامد أبو أحمد-كتاب المشهد الروائي والقصص بالغربية .

حول إبداع فريد معوض.. د. صلاح ترك.. الصيد ٢٠٠٠/٦/١٥

موال في الأعظمية.. الجمهورية٢٠٠٠ محمد عبد الحافظ ناصف

أيام في الأعظمية.. رواية جميلة.. د. حلمي محمد القاعود الجيل السعودية ٢٠٠١

دراسة حول قصة "رجوع" عبد الجواد الحمزاوي.. الرأي المصري ٩٥

إبداع الغربية في العقد الأخير-دراسة عن المرسي والأرض-محمد عبد الحافظ ناصف-إصدارات مديرية الثقافة ٢٠٠٠ .

أيام الحرب والغربة في الأعظمية.. محمد حمزة العزوني ضمن كتاب "يوميات لم تكتب بعد" كتاب غزل يونيه٢٠٠١ .

توظيف الموروث الشعبي في الدراما الموجهة للأطفال..دراسة نظرية بالتطبيق على مسلسل "التبة المسحورة "د. أسماء أبو طالب.. مجلد مؤتمر فنون طفل الصعيد٢٠٠١

المكان والزمان في أعظمية فريد معوض.. كتاب سامول الذي يشرف عليه فريد معوض٢٠٠١ د.صلاح ترك

المرسي والأرض والمونولوج النفس العميق والميلودراما القوية المدمرة-أحمد التهامي قاسم الصيد٢٠٠٠.

الحكاية ومفردات التجريب عند فريد معوض.. د. محمد زيدان الإسكندرية٢٠٠٢

التبة المسحورة تعيد روح أكتوبر للأطفال-مصطفى خالد٢٤/ ٢٠٠٠/٩ الأهرام المسائي

القصة القصيرة المعاصرة-دراسة ومختارات د.صابر عبد الدايم -أصوات أدبية .

أيام في الأعظمية للمصري فريد محمد معوض "صور الرئيس لا مفر منها والحرب تلت حروبا في العراق" يوسف القعيد.. الحياة اللندنية السبت ٢٠٠٣/٣/٢٢ العدد رقم ١٤٦٠٧

في حب الفلاحين والطين.. محمد حمزة العزوني.. الموقف العربي العدد ١١٤٨ مارس ٢٠٠٥

المرسي والأرض.. محمود علوان.. المنصورة الثقافية.. مايو ١٩٩٣

جريدة Le Progress Egyptian.. محمد عبد الحافظ ناصف .

سناء تغني لفريد معوض الأهرام المسائي ٢٠٠٣/٢/٢٥

سامول ملهمتي في كل إبداعاتي ١٩٩٩/٣/٢٩

القرية عالم فريد.. المساء ١٩٩١/٩/٢

أعلى من كل الناس.. الأهرام المسائي ٢٠٠٢/٦/٥

عود ثقاب في ليل القهر الطويل.. د. مصطفى عبد الغني.. الجمهورية ١٩٩٣/٧/٢٢ الجائزة الأولى لأفراح وأحزان طفل هذا الزمان.. يعقوب الشاروني.. الأهرام ٢٠٠٤/٥/١٠

كسر الخاطر (قراءة في رواية أيام في الأعظمية) أسامة فرج.. الأهرام ٢٠٠٣/٧/١٥

قراءات في القصة القصيرة.. د. حامد أبو أحمد.. دراسة حول مجموعة عود ثقاب ٢٠٠٣

أنشطة ومشاركات ورسائل علمية :

أقام صالونا أدبيا في منزله منذ أكثر من عشرين عاما.. قدم العديد من المواهب الأدبية .

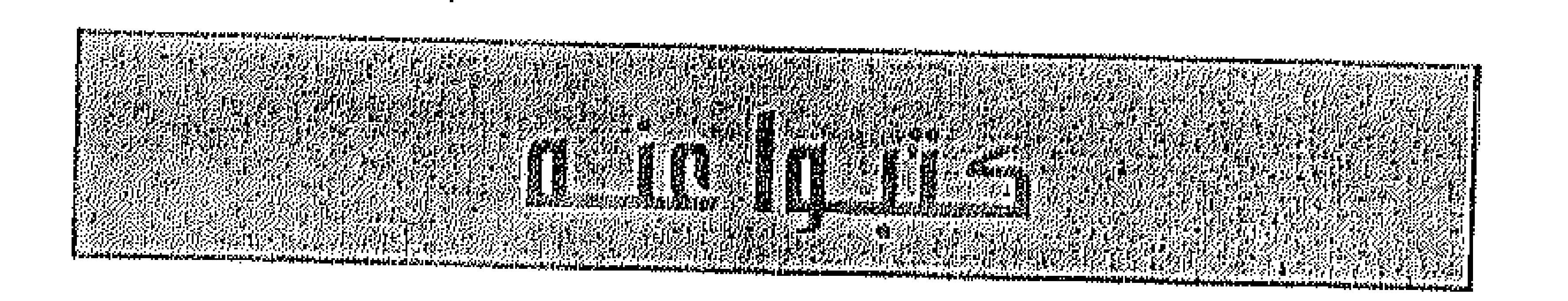
تناولت العديد من الرسائل و الأطروحات "ماجستير ودكتوراه" بكلية تربية جامعة طنطا أعماله الأدبية في أدب الطفل على سبيل المثال رسائل هؤلاء دكتورة "الطاهرة محمد الطحان" د. "ناهد شعبان" د." محمد متولي قنديل" د. "زينب شقوير" .

شارك في مؤتمر المنصورة القومي عن الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة بدارسة أدبية مطولة .

شارك في عشرات المؤتمرات داخل مصر منها مؤتمر أدباء مصر لعدة دورات منها "دور الفنون لمواجهة الأمراض" .

نشر أعمال عديدة في الدوريات العربية المختلفة وأخرى خاصة بالطفل في مجلات :

((مجلة ماجد-أطفال اليوم-أحمد "اللبنانية"-براعم الإيمان-جندي المستقبل-مجلة باسم
مجلة قطر الندى - علاء الدين - سمير- ميكي- توت- الفردوس- الجيل الجديد - فراس "الأردنية"-مكي "السعودية" وغيرها من المجلات ....))



سامول ملهمني في كل إبداعاتي.. الروائي فريد معوض

كتب عنه الأستاذ حزين عمر في جريدة المساء يقول :

هو واحد من المبدعين الأصلاء، المرتبطين بتراب الوطن قولا وعملا، فلم يبرح قريته "سامول" بالغربية إلا قليلا، ولم ير في أضواء القاهرة ما يستهويه للإقامة بها كما فعل الكثيرون من الأدباء .

فريد معوض يغترف من هواء قريته، ومن خضرتها، ومن صفاء ناسها، ومن أحلامهم الصغيرة المشروعة ليصوغ إبداعا جيدا في الرواية والقصة القصيرة وأدب الأطفال.. فكانتا

روايتا" المرسى والأرض" و"أيام في الأعظمية" و"أرض الهويس" و"في وجه الريح" ومجموعة "عود ثقاب" بالإضافة لعدة مجموعات للأطفال.. كلها تنطلق من القرية وتستلهم حياتها وبساطة ناسها، مع الاحتفاء بالقيمة الجمالية لكل ما يقدم: رواية وقصة وأطفالا ، وأعمالا درامية أيضا .

عن قريته وارتباطه بها يقول فريد معوض: اكتب منها ولها وعنها، ملهمتي المبدعة وقريتي الرائعة.. أهديت لها روايتي الأولى "المرسى والأرض" في رحابها وعلى ترابها الثرى نشأت وتعلمت وسعدت وشقيت، اخرج منها لأدخلها، وأنطلق منها وأحلق في فضائها.. قد أذهب بعيدا عنها.. أحيانا.. لكن حنينها الدافق يشدني.. وكلما أردت أن أعبر عما يدور خارجها، وجدت سر ذلك التعبير بالغوص فيها .

حينها كتبت روايتي"أيام في الأعظمية" كان هدفي أن أستنطق حيا عراقيا عشت فيه فترة، فوجدتني أستنطقه بفصاحة قريتي ، ووجدتني أبث قريتي همي، وأحكى لها شجني .

كثيرا ما حصلت على جوائز، و كانت قريتي تفوز معي، كنا معا نردد نشيدا واحدا، لعله حبي لها، ولعله حب ناسها لي، ولعله ذاك الفرح الذي أستشعره كلما طالعني أحدهم يسألني عن آخر ما كتبت.

لم أبرحها للآن، ولن أبرحها إلا ان يشاء الله، توقيعها ممهور على كل إبداع لى "المرسى والأرض" "عود ثقاب" "أيام في الأعظمية " "حكايتي مع الطائرة " " دائما تشرق الشمس " " التبة المسحورة" "نشيد الشمس" الحكيم وحكايات الفن".. كلها كتب نبعت من ضمير قريتي وتشكلت فيها .

في أول محاولة لي في الدراما التليفزيونية في السيناريو والحوار لقصتي "التبة المسحورة" كانت التجربة صعبة.. لكن بالتأمل فيما حولي، وباتساع المشاهد في قريتي، وسخونة تراب السكك، وثراء الأماكن تدفقت التجربة تدفقا عذبا، ونبعت نبعا صافيا رقراقا..

القرية هي موطني الأجمل والمكان الوحيد الذي أشعر فيه أنى أمتلك العالم، وأطمئن فيه على أهلي وأولادي .. إنها أغنيتي الرائعة وشمسي الساطعة وأعمالي التي كتبتها، والتي لم أكتبها بعد .

يرى الأستاذ يعقوب الشاروني في كتاب الهلال للأولاد والبنات فبراير٢٠٠٣ أن فريد معوض من أهم كتاب الجيل الجديد في مجال الكتابة لأنه يكتب القصة والرواية وأدب الطفل ويمارس النقد والكتابة للتليفزيون متمسك بقريته، ويضيق ذرعا بزحام القاهرة وهناك في قريته سامول بجوار المحلة الكبرى، يعيش وسط الناس في الحقل، يفتح قلبه وبيته لكل ذي موهبة، قدم مجموعة من المواهب من أبناء قريته أصبحوا أدباء معروفين، أصدر مجموعة من الكتب النقدية والأدبية بالاشتراك مع أبناء قريته تحت عنوان "سامول الثقافية" و"كتاب سامول" .

ويشيد الكاتب عبد التواب يوسف في الأهرام ٢٠٠٢/١٢/١٩ بموهبته حيث يقول بالنص لدينا عدد من المواهب من الجيل الجديد مثل فريد معوض و محمد المنسي قنديل وغيرهم ..

"عندما تعود بي الذاكرة إلى طفولتي وأتذكر ذلك اليوم الذي هطل فيه المطر علينا ونحن في الحقل وأصر أبي ألا يعود حتى يكمل عمله، وأصرت أمي ألا تتركه، فأخذت أنا أغني للمطر عندما أتذكر ذلك اليوم أدرك أنني تعلمت منهما كيف أكون شجرة صلبة يتعاقب عليها الليل والنهار والصيف والشتاء لكن جذورها تبقى قوية ثابتة في أعماق الأرض".

فريد معوض الأهرام "ألف حكاية حكاية" تقديم يعقوب الشاروني الأهرام ١٩٩٦/١٢/٣٠

وفي قصة "التوت" للكاتب فريد محمد معوض يستنكر الأب أن يكون التوت للبيع فهو-التوت-في القرية لكل أحد خاصة الأطفال، لكن عدوى "البيع" تلحق بالأب فيحاول طرد الأطفال عن شجرة التوت أمام داره، بيد أن الأم-وهي هنا محور رمزي دال على الجذور والأصول-تعيده إلى ذات نفسه الأولى فيخرج ليروي الشجرة والمغزى أن تستمر في عطائها لكل أحد.

د/ عبد المنعم تليمة.

دراسة حول نماذج قصصية لمجموعة من الكتاب، كتاب "تبات ونبات" ١٩٨٨

تعالوا إلى هنا.. حيث اللازحام.. "والحب السرمدي"

ها هو ذا يدعوك إليه، فإذا لبيت دعوته فأنت ذاهب إلى حيث الحب ممتداً امتداد البراح من قلب فريد معوض حتى انتهاء العالم، انت ذاهب إلى حيث لا زيف، حيث يتآلف كل شيء في تناغم شفيف لا نهائي، حيث يتوحد الإنسان بالكون، ويتوحدان معا في روح هذا الفنان الذي وُهب منذ وعيه بالحياة نايا فقبل ثغره، وانطلق في صفاء اللون يغني فكان كما يقول في معزوفته "صوت الناي" لم أحاك أحدا في أغنية.."قلت أغنية جديدة"، صار "فريد" منذ ذلك الحين يكتب ما يحسه وما يعرفه معرفة أكيدة، أخذ يؤلف بين أوتار الحياة من حوله: الإنسان وأدوات اتصاله بالعالم وسعيه فيه، الإنسان والأرض، الإنسان وقوى القهر وصولا إلى الموت، الإنسان وأماله تذوب في عالم تسوده الفوضى والاستبداد والظلم.

محمد أبو قمر.. الرافعي العدد التاسع/ السنة السابعة ١٩٨٩م

والحق أن فريد معوض يمتاز بهذا اللون من القصص المشوق الموحي، لهذا فإني اعتقد أن هذه المجموعة -عود ثقاب-ينبغي أن يعاد طبعها في سلسلة أكثر انتشارا وأكثر أهمية. لأنها تكاد تخلو تماما من عيوب البدايات فهي قصص ناضجة أشد ما يكون النضوج وتدل على وجود وعي جيد لدى كاتبها بأصول الفن القصصي ومذاهبه وتوجهاته، وإلا ما اختار لنفسه هذا اللون المتميز القائم على إيقاعات محددة وممتدة على طول المجموعة.

د/ حامد أبو أحمد [عود ثقاب ١٩٩٢

رواية "المرسي والأرض" للصديق فريد معوض لا تتحدث عن مجتمع القرية المصرية فحسب ولكنها تتغنى بحب الأرض هذا الحب الذي افتقدناه هذا الزمان.. إن ابلغ ما قدمته

الرواية هو هذه العلاقة الحميمة بين المرسي والأرض، صحيح أن المرسي قد مات لكنه يعود متجسدا لعبد النبي في صحوه ومنامه ليذكره بالأرض فالمرسى "كان يعشق الأرض والصفصاف وكان يفرش ثوبه القديم على حافة الترعة ويصلي" ص٧.

محمود علوان .. المنصورة الثقافية .. مايو ١٩٩٢.

رسم لنا فريد معوض هذه الصورة المترعة بالألم في روايته "المرسي والأرض" أننا أمام تغيرات حادة في هذا المجتمع تحيل أفراده وخاصة إذا كانوا من المتعلمين إلى كائنات تعسة.. إن إهداء الرواية يرسم مفتاح هذا المناخ" للأطفال الذين أهلكتهم الغربة وللأرض التي كانت خصبة...الخ

د/مصطفى عبد الغني.. من دراسة له منشورة في كتاب "الرواية والتحول الاجتماعي" في العقدين الأخيرين هيئة قصور الثقافة ١٩٩٣.

الرواية التي تحمل رقم (٢٩) من إصدارات سلسلة أصوات أدبية للأديب "فريد محمد معوض" بعنوان "المرسي والأرض" تجعلنا أكثر إدراكا لأهمية نشر الأعمال الأدبية التي يمكن أن تتصدى لحل الكثير من مشكلاتنا الاجتماعية دون اللجوء إلى بدائية المباشرة في وسائل الإعلام والرواية لا تحمل هذا الإعلام صراحة، بل هى في الواقع، محاولة أدبية وفنية متميزة لكاتب لم اقرأ له من قبل وان كنت أشعر انه متمرس بالعمل الإبداعي إلى حد بعيد، والرواية نفحة ريفية صادقة.

فتحي سلامة.. الأهرام ١٩٩٣/١/١٠.

"المرسي والأرض" رواية ضاربة بجذورها في أعماق الأرض والإنسان الريفي المخضب بالتراب والنوي، ويستخدم الكاتب"فريد محمد معوض" الفلكلور الشعبي الخاص بقريته استخداما جيدا وينطلق من قول المرسي لابنه:

"كل الأراضي ملك لك يا عبد النبي وفأسي أورثتك إياها" وكانت تلك بداية الأغنية.

محمد عبد الحافظ ناصف... الجمهورية ١٩٩٣/١/٢١.

وتقدم رواية "المرسي والأرض" كاتباً روائيا جديداً يملك أدواته جيداً ويتمتع بجرأة في تصوير مشاهده لا يشوبها تردد ولا ضعف، والكاتب فريد محمد معوض، شاب في الثلاثين من عمره اكتسب حنكة السرد الروائي دون أن يفقد ارتباطه ببيئته الريفية.

محمد سلماوي... الأهرام ١٩٩٣/٥/٢١.

ثمة تقنية موظفة توظيفاً لافتاً في قصة "رأيته يتعثر" يتمثل فيما يمكن أن نسميه "المشهد الجانبي" الذي تلتقطه عين الكاميرا في زحمة "المشهد الرئيسي" وذلك لإضاءة الموقف،

وتخليص السرد من الرتابة، وهذه تقنية حديثة معروفة وقد تأتي كعنصر من عناصر "البانوراما" حيث تتنوع المرئيات في إطار اللوحة الكلية والحس اللغوي لدى الكاتب فريد معوض ينبئ عن يقظة في استخدام الصياغات والألفاظ خصوصا فيما يتعلق بفن إدارة الحوار وروايته، فالاستفهام والتقرير صيغتان يحسن الكاتب مواقع استخدام كل منهما، كذلك النفي على سبيل الإثبات، والموالاة السريعة بين ما هو حواري وما هو سردي مما يجعل السياق قادرا على الإثارة وشد الانتباه.

د/محمد صالح الشنطي... مجلة الفيصل السعودية يوليو ١٩٩٥.

الطمي فطرة الأرض، ونكهتها الموشاة بفيض آلامها وغيض أفراحها، للطمي رائحة لا يقنص أمطارها إلا شبكة إنسان نبيل، ولغة لا يحاورها إلا روح من نور متوجع، ونحن حين نقترب من فريد معوض نحس هذا الطمي/الفطرة.

وهذه الطفولة التي حُمّلت قبل الأوان أعباء الرجولة المائزة فحملتها في إدهاش متوهج بل عملت على تأصيل هذا الإدهاش حيث مشت تدعو لطفولة ندية.. وفرح سوسني.

يلهو فوق تبة مسحورة........

"سعد الدين حسن"... في تقديمه لملف خاص عن الكاتب في مجلة الرافعي العدد ٤٢،٤٣،٤٤ سبتمبر ١٩٩٧.

تعددت الأعمال الإبداعية التي تتناول رحلة المواطن المصري إلى خارج بلاده، متخليا عما إشتهر به من "قرارية" ومتجاوزا للمثل الشعبي "البطيخة ما تكبرش إلا في لبشتها"

وفريد معوض في روايته "أيام في الأعظمية" يهبنا محاولة غير مسبوقة من حيث المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، ومن حيث الفنية المتفوقة التي تفيد من تتداخل الأنواع الأدبية، والسرد الحكائي البسيط والجميل فلا يعود القارئ مجرد متلقٍ للعمل الإبداعي وإنما هو يحيا اللحظة الإبداعية بكل أبعادها وخصائصها ومقوماتها.

محمد جبريل .. المساء ١٩٩٩.

في الأعظمية تجد التدفق السردي مضفراً بشاعرية وغنائية مناسبة، ونجد حالة من تناسق الأشياء مع الإنسان. وتعددت دلالات الألفاظ في الرواية، ومن أهم هذه الألفاظ "الدراجة" التي تدور وتدور، مقلوبة تدور كالدنيا. و "نخلة" تجدها منتشرة في الرواية ككل، ويعطي معنى الشموخ والارتفاع والارتقاء، وقد وصف الروائي "أثيل" بأنها نخلة عراقية شامخة "إذا مالت النخلة تميل"، وقد مالت كما مالت وتداعت الأيام على العراق وعلى نخلتها.

محمد عبد الحافظ ناصف ...[موال في الأعظمية] المساء ٢٠٠٠/٧/٢٢.

وعبر لغة تستقي مفرداتها من الواقع الريفي المتميز ببساطته وأصالته يسرد الكاتب فريد محمد معوض، أحداث روايته "أيام في الأعظمية" ويكشف من خلالها مأساة الفقراء في أرجاء الوطن ومعاناتهم في سبيل الحد الأدنى من الحياة ومن خلال حوار داخلي "مونولوج" طويل جدا هو حجم الرواية نعيش مع شخوص الرواية في تحولاتهم وأحوالهم، وإني أعدها حوارا داخليا، مع أن السرد يتنوع من خلال الضمائر الثلاثة وهو سرد لا يتوقف عند التفاصيل الدقيقة إلا بقدر ما يكون التفصيل مهما وضروريا.

د/حلمي محمد القاعود... المساء ٢٠٠١/٢/١٩.

الأعظمية العذوبة.. التي تنساب في يسر رائحة الريحان، عبر الصفحات في رقة.. خاصة بعد المنتصف وقرب النهاية.. حين تتحول إلى شجن مقطر.. مقطر من حزن الإنسان المصري لما أصابه عبر العصور.. المتني.. لكنه مغفور لك.. فهو ألم المتعة.. وشجنك وشجنهم ينسكب في الوجدان، تكاد العينان تفرجان عن خزينهما من الدمع.. مع مصير الفران التعس.. مع عبد الرحمن وهو يلم "حق" الجنازة "وحق" زواج البنت معا.

فؤاد حجازي... في رسالة شخصية للكاتب بتاريخ ٢٠٠١/٤/٢١.

البساطة الظاهرة في مجموعة "أعلى من كل الناس" لفريد معوض وراءها عمق كبير في استكناه نفوس البشر ورصد تناقضات الحياة بين الغني والفقير والمرض والصحة والأمل واليأس والماضي والمستقبل، يغرق الكاتب في تفاصيل الريف المصري وسذاجة أحلامه واحباطاته والقهر الذي يعانيه بعض الريفيين في مواجهة أصحاب الثراء والنفوذ.

حزين عمر... المساء ٢٠٠٢/٦/٣.

ونلاحظ أن كل قصة من قصص " أعلى من كل الناس" لا تتجاوز الصفحتين ورغم هذا نراها تقدم لنا زخم الحياة اليومية وتفاصيل الحياة في القرية بشكل لم نعهده عند كتاب آخرين، وبالتالي فالكاتب في الحقيقة لديه موهبة أنه يتمكن من لغة قصصية ومن بناء عالم، ويتحرر من اسر الحكاية التقليدية التي كانت تسيطر على القصة القصيرة في بدايتها، فهو يقدم مشهدا من مشاهد الحياة اليومية، نلتقي من خلاله بمستويات عميقة من الحياة، فيها قدر كبير من الشاعرية ومن الغنائية ومن الاحتفاء بالحياة وتفاصيلها المختلفة، كما يجيد رسم الشخصيات والمواقف التي يقدمها للقارئ.

د/رمضان بسطاويسي... حديث اذاعي في البرنامج العام اذيع يوم الاربعاء ٢٠٠٢/٩/٢٥

"أيام الأعظمية" هي رواية رافضة للحرب بطريقة فنية غير زاعقة، الأمر الذي يعبر عن نضج فكر صاحبها ونظرته الإنسانية الراقية.

أحمد فضل شبلول... من كتاب الأدب بين الهوية والتحولات ٢٠٠٣.

يجدل فريد معوض أيامه في الأعظمية بعرق الإنسان ورائحة الموت وذل العوز، وضياع النفس والجسد، ويقدم من خلال ذلك رؤية فنية لذات الإنسان عندما تصطدم بالواقع.

د/محمد زيدان... الأدب بين الهوية والتحولات.. مؤتمر الإسكندرية ٢٠٠٣.

تبدأ رواية "أيام في الأعظمية" للروائي المصري فريد محمد معوض، عبر ضمير المخاطب "انت" وتتحول إلى ضمير الغائب "هو"، والبطل يبدأ من مصر وينتهي إلى مصر وان لم يُهزم في العراق فان الهزيمة كانت في انتظاره في مصر.. رحيل والده واختفاء حبيبته التي راحت هي الأخرى إلى دكرنس، وقد فازت هذه الرواية بالجائزة الأولى في مسابقة هيئة قصور الثقافة ١٩٩٦/١٩٩٧.

ونشرت في ١٩٩٩ وهى حافلة بالإستشهادات من الشعر العراقي والأمثال العراقية والفلكلور العراقي والبطل يصف حاله:

"منذ أن قدمت من مصر وأنا لا أستطيع ان أبرح الأعظمية كأنه الحب من النظرة الأولى" ومازال يردد أن بغداد لن تموت أبدا وهو الشعار الذي لا يزال العراقيون والعرب في أمس الحاجة إليه الآن.

يوسف القعيد... الحياة اللندنية ٢٠٠٣/٣/٢٢.

وما أكثر ما تحويه رواية "أيام في الأعظمية" من أشعار ومواويل مصرية وعراقية، الرواية نفسها شاعرية وكأنها موال بكل ما يمكن أن يحتويه الموال من أشجان وتحانين.. فيها جمال فطري أخّاذ، وتكاد تخلو من أي تكلف أو اصطناع في اللغة أو في طريقة السرد.

أسامه فرج... جريدة الأهرام ٢٠٠٣/٧/١٥.

استطاع فريد معوض وبحرفية فنية متميزة أن يحافظ على البناء الفني الدرامي لروايته "أيام في الأعظمية" حيث وظف المكان والزمان والشخصيات بشكل اكتملت مع عناصر الرواية فالمكان يلعب دورا حقيقيا في روايته فهو محسوس وواضح سواء في قرية سامول المصرية.. الموحية بكل المعاني المعروفة عن القرية المصرية بعاداتها وتقاليدها وأحلام ساكنيها من البشر.. كذلك تحديده للمكان الذي جرت فيه أحداث الرواية في العراق الشقيق بأحيائه المختلفة بغداد والكاظمية والأعظمية فالأماكن محددة وبشكل فني متميز.

د/صلاح ترك... الأهرام المسائي ٢٠٠٣/٧/٢٩.

لقد استطاع الكاتب فريد معوض من خلال نجاحه في رسم شخصية "أبو إسماعيل" أن يصور بشاعة هذه الحرب، وتأثيرها العنيف على حياة العراقيين كما نجح في تصوير الأثر الشديد الذي أحدثته الحرب في مشاهد قليلة.

محمد حمزة العزوني... عن كتاب مقاطع مبتورة

تقدم المجموعة القصصية "أعلى من كل الناس" قراءة فنية صادقة لمجتمع مصر الحقيقي من داخله إذ تقدم صورته على وجهيها الإنساني والاجتماعي في سياق بلاغي يجمع ما بين حساسية التناول والمعالجة دون أن يفتعل الكاتب فريد معوض ما يراه، بل انه توحد مع نبض هذا المجتمع، ليس لأنه منه فقط، بل لأنه كاتب موهوب جعل قصته صوتا مجلجلا يعكس عبر عذوبتها ومصداقيتها بلاغة الصورة وشاعرية الرؤية.

صبري قنديل...

إن فريد معوض يقدم لنا في كل أعماله تأريخاً اجتماعيا مهماً وضرورياً لكي نفهم السبب فيما نحن فيه الآن وهو بعين الفنان، وبحس المصري يعرف ماذا حدث لنا، ويحاول أن يعرف لماذا تم هذا ؟!!

عبد الجواد الحمزاوي.

كلما أمسكت بالمجموعة القصصية الرائعة(أعلى من كل الناس) أجدني أتوقف مرة أخرى عند قصة (دينار) تأخذني معها فلا أستطيع سوى أن أستسلم لسيطرتها عليَّ، وأعيش معها في عالمها، ذلك العالم الذي تنبأ الكاتب فريد معوض لفقده قبل أن يُنتزع من بين صدورنا.. انه عالم العراق الجميل.

الفهرست



سعيد بكوني فلاح له قلم ومنجل ..
لي حكايات مع أبي ولأبي حكايات مع الشقاء
لم يضع لبنة في الأهرامات ..
ولم يمت في الاستنزاف لكنه ذاب في تراب الأرض لتثمر فأثمرت
لقد مضى لكنه باق . جزء منه في الأرض .. وجزء يجري مع النيل ..
وجزء يدور مع ساقية القلب
أصدقائي كثيرون في سامول وغيرها ..
أحبهم وأقرأ لهم في الغيطان فيتهجون .
أتعلم من وجوه البسطاء في قريتي .. أنغمس فيهم وأكتـ
وأبكي كطفل حين أشعر بمرارة عيشي وعيشتهم
موظف ينتظر أول كل شهر كي يدخر من راتبه
شيئا للورق وشيئا يشد به الرحال لقاهرة المعز ..
وأشعر بالسعادة حين أنجز عملا .
فريد معوض
OURKEY